

نَقِيبُ السُّعُودِ

المُسْتَمْتَلِ بِرِشَادِ الْعَقْلِ السَّالِمِ إِلَى مَزَالِ الْفِرْعَانِ وَالْكَيَمِ

لقاضى القضاة الإمام
أبى السعود محمد بن محمد العامدى
المتوفى سنة ١٠٥١ هجرية

الجزء الثانى

الناشر
دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان

٣ — سورة آل عمران

مدنية وهي مائتا آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آل عمران ١

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٢ آل عمران

(سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية)

٢٠١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم الله لا إله إلا هو) قد سلف أن ما لا تكون من هذه الفوائج مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وباسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارا بمجرد حسبما ذكره سيديويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمتها التقاء الساكنين لما أنه مغتفر في باب الوقف قطعاً لحق هذه الفاتحة أن يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله أبو بكر رضي الله عنه رواية عن عاصم وأما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فإنما هي حركة همزة الجلالة ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها إذ ليس إسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي يبقاء حركتها في حكم الثابت المبتدأ به والميم يكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعتراض بأنه غير معبود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولا م الجلالة بعد سقوط همزتها وأنت خير بأن سقوطها مبنى على وقوعها في الدرج وقد عرفت أن سكون الميم وقفي موجب لا نقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها لا كما في الحروف والأسماء المبنية على السكون فإن حقها الاتصال بما بعدها وضماً واستعمالاً فتسقط بها همزة الوصل وتحرك أعجازها لالتقاء الساكنين ثم إن جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الإعراب كسائر الفوائج وإن جعلت اسماً للسورة فمحلهما إما الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وإما النصب على إضمار فعل يليق بالمقام ذكر أو اقرأ أو نحوهما وأما الرفع بالابتداء أو النصب بتقدير فعل القسم أو الجر بتقدير حرفه فلا مسأغ لشيء منها لما أن ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للإقسام عليه فإن الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة أي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل (الحى القيوم) خبر آخر له أو لمبتدأ محذوف أي هو الحى القيوم لا غيره وقيل هو صفة للبتدأ أو بدل منه أو من الخبر الأول أو هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيد الاسم الجليل أو حال منه وأياً ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من أن معنى الحى الباقي الذى لا سبيل عليه للبوت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة

تحققه بدونهما وقد روى أن رسول الله ﷺ قال اسم الله الأعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحى القيوم وفي آل عمران الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحى القيوم وروى أن بنى إسرائيل سألو موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم قال الحى القيوم ويروى أن عيسى عليه السلام كان إذا أراد إحياء الموتى يدعو يا حى يا قيوم ويقال إن آصف بن برخيا حين أتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحى القيوم وهذا رد على من زعم أن عيسى عليه السلام كان رباً فإنه روى أن وفد نجران قدموا على رسول الله ﷺ وكانوا ستين راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ثلاثة منهم أكابر إليهم يتول أمرهم أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الأيهم وثالثهم حبرهم وأسقفهم وصاحب مدارسهم أبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه وأكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة إلى جنبه فيبنا بغلة أبى حارثة تسير إذ عثرت فقال كرز تعساً للأبعد يريد به رسول الله ﷺ فقال له أبو حارثة بل تعست أملك فقال كرز ولم يا أخى قال إنه والله النبى الذى كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وأنت تعلم هذا قال لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالاً كثيرة وأكرمونا فلو آمانا به لأخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز وأخبره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله ﷺ بعد صلاة العصر عليهم ثياب الخبرات جيب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب النبى ﷺ ما رأينا وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا إلى المشرق ثم تكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله ﷺ فقالوا تارة عيسى هو الله لأنه كان يحيى الموتى ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة أخرى هو ابن الله إذ لم يكن له أب يعلم وتارة أخرى إنه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحداً لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله ﷺ أسلموا قالوا أسلمنا قبلك قال ﷺ كذبتم يمنعكم من الإسلام دعاؤكم لله تعالى ولدأ قالوا إن لم يكن ولدأ لله فمن أبوه فقال ﷺ أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه فقالوا بلى قال أستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وأن عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا فقال عليه السلام أستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وأن ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السلام أستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى بالصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحديث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا وأبوا إلا جحد فأ نزل الله عز وجل من أول السورة إلى نيف وثمانين آية تقريراً لما احتج به عليه السلام عليهم وأجاب

نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢٣﴾ آل عمران
 مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 ذُو انتِقَامٍ ﴿٢٤﴾ آل عمران

- ٣ به عن شبههم وتحقيقاً للحق الذي يمترون (نزل عليك الكتاب) أى القرآن عبر عنه باسم الجنس
 إذنا بأكمال تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يطلق عليه اسم الكتاب
 دون ما عاده كما يلوح به التصريح باسمى التوراة والإنجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم
 الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والنشويق إلى المؤخر والجملة إما مستأنفة أو خبر آخر عن
 الاسم الجليل أو هى الخبر وقوله تعالى لا إله إلا هو اعتراض أو حال وقوله عز وجل الحى القيوم صفة
 أو بدل كما مر وقرىء نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ أن تكون مستأنفة
 • وقيل يجوز كونها خبراً بحذف العائد أى نزل الكتاب من عنده (بالحق) حال من الفاعل أو المفعول
 أى نزله محققاً في تنزيله على ما هو عليه أو ملتبساً بالعدل فى أحكامه أو بالصدق فى أخباره التى من جملتها
 • خبر التوحيد وما يليه وفى وعده ووعيده أو بما يحقق أنه من عند الله تعالى من الحجج البينة (مصدقاً)
 حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالاً من فاعل نزل وأما على تقدير حالته
 من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال وأما عند من يمنعه فقد
 قيل إنه حال من محل الحال الأولى على البدلية وقيل من المستكن فى الجار والمجرور لأنه حينئذ يتحمل
 ضميراً لقيامه مقام عامله المتحمل له فيكون حالاً متداخلة وعلى كل حال فهى حال مؤكدة وفائدة تقييد
 التنزيل بها حث أهل الكتابين على الإيمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فإن الإيمان بالمصدق موجب
 • للإيمان بما يصدقه حتماً (لما بين يديه) مفعول لمصدق واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد أى
 مصدقاً لما قبله من الكتب السالفة وفيه إيماء إلى حضورها وكالظهور أمرها بين الناس وتصديقه إياها
 فى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والأمر بالعدل والإحسان
 وكذا فى أنباء الأنبياء والأئمة الخالية وكذا فى نزوله على النعت المذكور فيها وكذا فى الشرائع التى
 لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار ظاهر لا ريب فيه وأما فى الشرائع المختلفة باختلافها فمن
 حيث إن أحكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة إلى خصوصيات الأمم
 • المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم (وأنزل التوراة والإنجيل) تعيين لما بين يديه وتبيين
 لرفعة محله تأكيداً لما قبله وتمهيداً لما بعده إذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد فى القلوب
 قبولاً ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما فى الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام
 أى أنزلها جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وإنما لم يذكر لأن الكلام فى الكتابين لا فيمن
 أنزلا عليه وهما اسمان أعجميان الأول عبرى والثانى سريانى ويعضده القراءة بفتح همزة الإنجيل فإن
 ٤ أفعيل ليس من أبنية العرب والتصدى لاشتقاقهما من الورى والنجل تعسف (من قبل) متعلق بأنزل

- أى أنزلها من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الأمر للبالغة في البيان (هدى للناس) في حيز النصب على أنه علة الإنزال أى أنزلها لهداية الناس أو على أنه حال منهما أى أنزلها حال كونهما هدى لهم والإفراد لما أنه مصدر جعلاً نفس الهدى مبالغة أو حذف منه المضاف أى ذوى هدى ثم إن أريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الأمم الماضية من حين نزولها إلى زمان نسخهما وإن أريد هدايتهما على الإطلاق وهو الأنسب بالمقام فالناس على عمومهم لما أن هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من الأمور التي يصدقهما القرآن فيها ومن حملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي ﷺ تعم الناس قاطبة (وأنزل الفرقان) الفرقان في الأصل مصدر كالغفران أطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا إما جنس الكتب الإلهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التعميم بالتعميم إثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فأنبئنا فيها نبأً وعنباً إلى قوله تعالى وفاكهة وإما نفس الكتب المذكورة أعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الإنزال تنزيلًا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وإما الزبور فإنه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية إلى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الإنجيل عليه مع تأخره عنه نزولاً لقوة مناسبتها للتوراة في الاشتمال على الأحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر وإما القرآن نفسه ذكر بنعت مباح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيماً لشأنه ورفعاً لمكانه وقديماً أولاً تنزيله التدريجي إلى الأرض وثانياً إنزاله الدفعي إلى السماء الدنيا أو أريد بالإنزال القدر المشترك العارى عن قيد التدرج وعدمه وإما المعجزات المقرونة بإنزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والمبطل (إن الذين كفروا بآيات الله) وضع موضع الضمير العائد إلى مافصل من الكتب المنزلة أو منها ومن المعجزات وآيات مضافة إلى الاسم الجليل تعييناً لحثية كفرهم وتهويل لا مرهم وتأكيذاً لاستحقاقهم العذاب الشديد وإيذاناً بأن ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول إما أهل الكتابين وهو الأنسب بمقام المحاجة معهم أو جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولاً أولاً أى إن الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق لاسيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلاً أو بعضاً مع ما بها من النعوت الموجبة للإيمان بها بأن كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعاً لما أن تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتماً وأصالة أيضاً بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي ﷺ وغيرها (لهم) بسبب كفرهم بها (عذاب) مرتفع إما على الفاعلية من الجار والمجرور أو على الابتداء والجملة خبر إن والتنوين للتفخيم
- أى أى عذاب (شديد) لا يقادر قدره وهو وعيد جىء به إثر تقرير أمر التوحيد الذاتي والوصفي والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب الإلهية حملاً على القبول والإذعان وزجراً عن الكفر والعصيان (والله عزيز) لا يغال يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (ذو انتقام) عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افتعال من النعمة وهى السطوة والتسلط يقال انتقم منه إذا عاقبه بمجانته والجملة اعتراض تذييل مقرر للوعيد

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٣﴾ ط عمران
هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ط عمران

٥ ومؤكده (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) استئناف كلام سبق لبيان سعة علمه تعالى وإحاطته بجميع ما في العالم من الأشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرّاً وجهرّاً إثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيهاً على أن الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بم عزل من بلوغ رتبة الصفات الإلهية وإنما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء إيذاناً بأن علمه تعالى بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفية ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلال والجملة المنفية خبر لإن وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي أي لا يخفى عليه شيء ما كان في الأرض ولا في السماء أعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما أو الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وإنما عبر بهما عن كل العالم لأنهما قطراه وتقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقى من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا وقوله عز وجل (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) جملة مستأنفة ناطقة ببعض أحكام قيوميته تعالى وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود حسب مشيئته المبينة على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالأشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة يصوركم أو بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول أي يصوركم وأنتم في الأرحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية إما من فاعل يصوركم أي يصوركم كائناتاً على مشيئته تعالى أي مريداً أو من مفعوله أي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الأحوال المتغيرة من كونكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً غير مخلقة ثم مخلقة وفي الإضافة بالصفات المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة أبناء النواصيت المتقلبين في هذه الأطوار على مشيئة الباري عز وجل وكالركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ يصوركم على صيغة الماضي من الفعل أي صوركم لنفسه وعبادته (لا إله إلا هو) إذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشئون العظيمة الخاصة بالالوهية أحد

● ليتوهم ألوهيته (العزیز الحکیم) المتناهی فی القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران

- (هو الذي أنزل عليك الكتاب) شروع في إبطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف إثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهوراً تحت ملكوته تابعاً لمشيئته . قيل إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ ألست تزعم يا محمد أن عيسى كلمة الله وروح منه قال ﷺ بلى قالوا لحسبنا ذلك فعفى عليهم ذنبهم وفتنهم وبين أن الكتاب مؤسس على أصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية بطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالإيزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدرج وعدمه ولام الكتاب للبعد وتقديم الظرف عليه لما أشير إليه فيما قبل من الاعتناء بشأن بشارته عليه السلام بتشريف الإيزال عليه ومن التشويق إلى ما أنزل فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما بعد الإشعار برفعة شأنه أو بمنفعته تبقى مترتبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه إلى قسميه (منه آيات) ●
- الظرف خبر وآيات مبتدأ أو بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والأول أوفق بقواعد الصناعة والثاني أدخل في جزالة المعنى إذ المقصود الأصلي انقسام الكتاب إلى القسمين المعبودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة أو في حيز النصب على الحالية من الكتاب أي هو الذي أنزل الكتاب كائناً على هذه الحال أي منقسماً إلى محكم ومتشابه أو الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية (محكمات) صفة آيات أي قطعية الدلالة على المعنى المراد ●
- محكمة العبارة محفوفة من الاحتمال والاشتباه (هن أم الكتاب) أي أصل فيه وعمدة يرد إليها غيرها ● فالمراد بالكتاب كله والإضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فإن ذلك يؤدي إلى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة إما صفة لما قبلها أو مستأنفة وإنما أفرد الأم مع تعدد الآيات لما أن المراد بيان أصلية كل واحدة منها أو بيان أن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر [بها جيف الحصرى فأما عظامها فيبيض وأما جلدها ففصيلب] أي وأما جلودها (وأخر) نعت لمحذوف معطوف على آيات أي وآيات ●
- آخر وهي جمع أخرى وإنما لم ينصرف لأنه وصف معدول عن الآخر أو عن آخر من (متشابهات) ● صفة لآخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف أي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الإرادة بها ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق والتأمل الأنيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الأمور المتشابهة أن يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدى إليه العقل متشابهاً وإن لم يكن ذلك بسبب التشابه

كما أن المشكل في الأصل ما دخل في أشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وإن لم يكن غموضه من تلك الجهة وإنما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها ونحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد بها من الأحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائفة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان إلى المعارج القاصية وأما قوله عز وجل الر كتاب أحكمت آياته فعناه أنها حفظت من اعتراء الخلل أو من النسخ أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيقتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتاباً متشابهاً مثاني معناه متشابهه الأجزاء أي يشبه بعضها بعضاً في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول (فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة . قال الراغب، الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقراً للزيغ مبالغة في عدوهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد (فيتبعون ما تشابه منه) معرضين عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحرياً للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل (ابتغاء الفتنة) أي طالب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد (وابتغاء تأويله) أي وطلب أن يؤلوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائفة والحال أنهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) فإنه حال من ضمير فيتبعون باعتبار العلة الأخيرة أي يتبعون المتشابه لا ابتغاء تأويله والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي الذين ثبتوا وتمسكوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الأقدام في تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة أو الحقيقة لإبذان بأنهم ليسوا من التأويل في شيء وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلاً لا أنه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على إلا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على عدم إرادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به (يقولون آمنا به) أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم لظهوره أو بالكتاب والجملة على الأول استئناف موضح لحال الراسخين أو حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى (كل من عند ربنا) من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكده أي كل واحد منه ومن المحكم أو كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده تعالى لا مخالفة بينهما أو آمنا به وبحقيقته على مراده تعالى (وما يذكر) حق التذكر (إلا أولو الألباب) أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائفة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتمام إلى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إنها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكتبته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الإجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨٨﴾ آل عمران
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٨٩﴾ آل عمران

- (ربنا لا تزغ قلوبنا) من تمام مقالة الراسخين أى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق إلى اتباع المتشابه ٨
بتأويل لا تترضيه قال ﷺ قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحق وإن شاء
أزاعه عنه وقيل معناه لا تبلىنا ببلايا تزغ فيها قلوبنا (بعد إذ هديتنا) أى إلى الحق والتأويل الصحيح ●
أولاً إلى الإيمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف وإذ فى محل الجر بإضافته إليه خارج من الظرفية
أى بعد وقت هدايتك إيانا وقيل إنه بمعنى أن (وهب لنا من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب وتقديم
الأول لما مر مراراً ويجوز تعلق الثانى بمحذوف هو حال من المفعول أى كائنة من لدنك ومن لا ابتداء
الغاية المجازية ولدن فى الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرها من الذوات نحو من
لدن زيد وابست مرادفة لعند إذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف إلى
صريح الزمان كما فى قوله [تنتفض الرعدة فى ظهري] * من لدن الظهر إلى العصر | ولا تقطع عن
الإضافة بحال وأكثر ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن وصلتها كما فى قوله | ولم تقطع أصلاً
من لدن أن وليتنا * قرابة ذى رحم ولاحق مسلم | أى من لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة
الاسمية كما فى قوله | تذكر نعماء لدن أنت يافع | وإلى الجملة الفعلية أيضاً كما فى قوله | لزمننا لدن سالمتمونا
وفاتكم * فلا يك منكم للخلاف جنوح | وقلما تخلو عن من كما فى البيتين الأخيرين (رحمة) واسعة ●
تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقاً للشبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر
مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخرتبقى النفس مترتبة لوروده
لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع باللام فإذا أوردته يتمكن عندها فضل تمكن (إنك أنت الوهاب) ●
تعليل للسؤال أو لإعطاء المسئول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن وإطلاق الوهاب ليقنوا
كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير
أن يجب عليه شيء (ربنا إنك جامع الناس ليوم) أى الحساب يوم أو الجزاء يوم حذف المضاف وأقيم ٩
مقامه المضاف إليه تهويلاً له وتفظيلاً لما يقع فيه (لاريب فيه) أى فى وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر
والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسنى عندهم والتأكيد
لإظهار مأم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة (إن الله لا يخلف الميعاد) تعليل ●
لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب والتأكيد لما مر وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز
كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيّب الهائل بخلاف ما فى آخر السورة الكريمة فإنه
مقام طلب الإنعام كما سياتى وللإشعار بعلّة الحكم فإن الألوهية منافية للإخلاف وقد جوز أن تكون
الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميعات واستدل به الوعيدية

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٢٣﴾ آل عمران

كَذَابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٣﴾ آل عمران

١٠. وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل مفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقاً (إن الذين كفروا) إثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قريظة والنضير أو مشركو العرب (لن تغني عنهم) أي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جداً في استثقال الحركة على حروف اللين (أموالهم) التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار (ولا أولادهم) الذين بهم ينتصرون في الأمور المهمة وعليهم يعملون في الخطوب الملهة وتأخير الأولاد عن الأموال مع توسط حرف النفي بينهما إما لعراقة الأولاد في كشف الكروب أو لأن الأموال أول عدة يفزع إليها عند نزول الخطوب (من الله) من عذابه تعالى (شيئاً) أي شيئاً من الإغنياء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله أو بدل طاعته كما في قوله تعالى إن الظن لا يغني من الحق شيئاً أي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده بذلك أي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفي وأنت خير بأن احتمال سد أموالهم وأولادهم مسد رحمة الله تعالى أو طاعته بما لا يخطر ببال أحد حتى يتصدى لنفيه والأول هو الأليق بتفطيع حال الكفرة وتهويل أمرهم والانسب بما بعده من قوله تعالى (وأولئك هم وقود النار) ومن قوله تعالى فأخذهم الله أي أولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فإن أريد بيان حالهم عند التسعير فإثارة الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر وتقرره وإلا فهو للإيذان بأن حقيقة حالهم ذلك وأن أحوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملاستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وأن يكون ضمير الفصل والجملة إما مستأنفة مقررة لعدم الإغنياء أو معطوفة على خبر إن وأياً ما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم منه شيئاً وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر أي أهل وقودها (كذاب آل فرعون) الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه وتعب غالب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بأن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقدهم النار كما توقدهم وأنت خير بأن المذكور في تفسير الدأب إنما هو التكذيب والأخذ من غير تعرض لعدم الإغنياء لاسيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي المجوز ولا يقداد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف
- ١١

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ الْمُهَادُ ﴿١٢﴾ آل عمران

- الظاهر على أنه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالأجنبي على تقدير النصب بلن تغنى وهو قوله تعالى وأولئك هم وقود النار إلا أن يجعل استثناء معطوفاً على خبر إن فالوجه هو الرفع على الخبرية أى دأب هؤلاء فى الكفر وعدم النجاة من أخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون (والذين من قبلهم) أى من قبل آل فرعون من الأمم الكافرة فالوصول فى محل الجر عطفاً على ما قبله وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا) بيان وتفسير لدأبهم الذى فعلوا على طريق الاستئناف المبني على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى (فأخذهم الله) تفسير لدأبهم الذى فعل بهم أى فأخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله تعالى محيصاً فدأب هؤلاء الكفرة أيضاً كدأبهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على إضمار قد أى دأب هؤلاء كدأب أولئك وقد كذبوا الخ وأما كونه خبر عن الوصول كما قيل فما يذهب برونق النظم الكريم والاتفات إلى التكلم أولاً للجري على سنن الكبرياء وإلى الغيبة ثانياً بإظهار الجلالة لترية المهابة وإدخال الروعة (بذنوبهم) إن أريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جىء بها تأكيداً لما تفيد الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وإن أريد بها سائر ذنوبهم فالباء للبابسة جىء بها للدلالة على أن لهم ذنوباً أخرى فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما فى قوله تعالى وتزهق أنفسهم وهم كافرون والذنب فى الأصل التلو والتابع وسمى الجريمة ذنباً لأنها تتلو أى تتبع عقابها فاعلموا (والله شديد العقاب) تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الأخذ وتكملة له (قل للذين كفروا) ١٢ المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله ﷺ على المشركين يوم بدر قالوا والله إنه النبى الأمى الذى بشرنا به موسى وفى التوراة نعتة وهو با اتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر إلى واقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف فى ستين راكباً إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم على قتال رسول الله ﷺ فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة وعن ابن عباس رضى الله عنهم أن النبى ﷺ لما أصاب قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فحذرهم أن ينزل بهم منازل بقريش فقالوا لا يغرنك أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت أى قل لهم (ستغلبون) البتة عن قريب فى الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من أوضح شواهد النبوة وأما ما روى عن مقاتل من أنها نزلت قبل بدر وأن الوصول عبارة عن مشركى مكة ولذلك قال لهم النبى ﷺ يوم بدر إن الله غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد فيؤدى إلى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر (وتحشرون) أى فى الآخرة (إلى جهنم) وقرىء الفعلان بالياء على أنه عليه السلام أمر بأن يحكى لهم ما أخبر الله تعالى به من وعيدهم بعبارة أنه كانه قيل أدإليهم هذا القول (وبئس المهاد) إما من تمام ما يقال لهم أو استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال أهلها والخصوص بالذم

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ اتَّعْتَا فِتْنَةً تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى
الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ آل عمران

- ١٣ محذوف أى وبئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم (قد كان لكم) جواب قسم محذوف وهو من تمام القول للمأمور به جى به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود أيضاً والظرف خبر كان على أنها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التأنيت كما في قوله [إن امرأه منك واحدة] بعدى وبعدك في الدنيا لمغرور [على أن التأنيت ههنا غير حقيقى أو هو متعلق بكان على أنها تامه وإنما قدم على فاعلها لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخرأى والله قد كان لكم أيها المغترون بعددهم وعددهم (آية) عظيمة دالة على صدق ما أقول لكم لأنكم ستغلبون (في فتنين) أى فرقتين أو جماعتين فإن المغلوبة منهما كانت مدلة بكبرتها ومعجبة بعزتها وقد لقيها مالمقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على أنه
- صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الأول متعلق بمحذوف وقع حالاً من آية (التقنا) في
 - حيز الجر على أنه صفة فتنين أى تلاقنا بالقتال يوم بدر (فتة) بالرفع خبر مبتدأ محذوف أى إحداهما
 - فتة كما في قوله [إذا مت كان الناس حزبين شامت * وآخر من بالذى كنت أصنع] أى أحدهما شامت والآخر من وقوله [حتى إذا ما استقل النجم في غلس * وغودر البقل ملوى ومحسود] والجملة مع
 - ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفتنين من الآية وقوله تعالى (تقاتل في سبيل الله) في محل الرفع على أنه صفة فتة كاملة كأنه قيل فتة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من أحكام الإيمان ما يليق بالمقام مدحا
 - لهم واعتداداً بقتالهم وإيداناً بأنه المدار في تحقق الآية وهى رؤية القليل كثير أ وقرىء يقاتل على تأول
 - الفتة بالقوم أو الفريق (وأخرى) نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الأولى أى وفتة
 - أخرى وإنما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح أن التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة
 - إلى التعريف وقوله تعالى (كافرة) خبر المبتدأ المحذوف وإنما لم توصف هذه الفتة بما يقابل صفة الفتة الأولى
 - إسقاطاً لقتالهم عن درجة الاعتبار وإيداناً بأنهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبه وقيل
 - كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقنا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد إلى المبدل منه
 - مسوغلوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره أى فتة منهما تقاتل الخ وفتة أخرى كافرة ويجوز أن يكون
 - كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبراً أى فتة منهما تقاتل الخ وفتة أخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدأ محذوف
 - الخبر أى منهما فتة تقاتل الخ وقرىء فتة بالجر على البدلية من فتنين بدل بعض من كل وقد مر أنه لا بد
 - من ضمير عائد إلى المبدل منه ويسمى بدلاً تفصيلياً كما في قول كثير عزة [و كنت كذى رجلين رجل
 - صحيحة * ورجل رعى فيها الزمان فشلت] وقرىء فتة الخ بالنصب على المدح أو الذم أو على الحالية من
 - ضمير التقنا كأنه قيل التقنا مؤمنة وكافرة فيكون فتة وأخرى توطئة لما هو الحال حقيقة إذ المقصود
 - بالذكر وصفهما كما في قولك جاءنى زيد رجلاً صالحاً (يرونهم) أى يرى الفتة الأخيرة الفتة الأولى وإيثار

صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على أنها صفة للفئة الأخيرة أو مستأنفة مبنية لكيفية الآية (مثلهم) أى مثل عدد الرائيين قريباً من ألفين إذ كانوا قريباً من ألف . كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلاً رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم أبو سفيان وأبو جهل وكان فيهم من الخيل والإبل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن أصناف الأسلحة عدد لا يحصى . عن محمد بن أبي الفرات عن سعد بن أوس أنه قال أسر المشركون رجلاً من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم إلا تضعفون علينا أو مثلي عدد المرتين أى ستمائة ونيفاً وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً سبعة وسبعون رجلاً من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وكان صاحب راية رسول الله ﷺ والمهاجرين على بن أبي طالب رضى الله عنه وصاحب راية الأنصار سعد بن عباد الخزرجى وكان فى العسكر تسعون بعيراً وفرسان أحدهما للقناد بن عمرو والآخر لمرثد بن أبى مرثد وست أدرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أراهم الله عز وجل كذلك مع قتلهم إياهم وهم يمجبنوا عن قتالهم مدداً لهم منه سبحانه كما أمدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد أن قتلهم فى أعينهم عند ترائيها ليجتريا عليهم ولا يهربوا من أول الأمر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الأولى الفئة الأخيرة مثل أنفسهم مع كونهم ثلاثة أمثالهم ليثبتوا ويطمئنا بالنصر الموعود فى قوله تعالى فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لأن رؤية المثليين غير المتعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل أقل منه أيضاً فإنه روى أن ابن مسعود رضى الله عنه قال قد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا إليهم فرأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً ثم قتلهم الله تعالى أيضاً فى أعينهم حتى رأتهم عدداً يسيراً أقل من أنفسهم . قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا منهم رجلاً قللناكم كنتم قال ألفاً فلو أريد رؤية المؤمنين المشركين أقل من عددهم فى نفس الأمر كما فى سورة الأنفال لكانت رؤيتهم إياهم أقل من أنفسهم أحق بالذكر فى كونها آية من رؤيتهم مثلهم على أن إبانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بإراءتهم القليل كثيراً والضعيف قوياً وإلقاء الرعب فى قلوبهم بسبب ذلك أدخل فى كونها آية لهم وحجة عليهم وأقرب إلى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل أشد من تعلقه بالمفعول فجعل أقرب المذكورين السابقين فاعلاً وأبعدهما مفعولاً سواء جعل الجملة صفة أو مستأنفة أولى من العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركى مكة كما قيل أما إن جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لاسترة به وأما إن جعل عبارة عن هزيمة أخرى فلأن الفئة التى شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمه تارة وموصوفة أخرى ثم إسناد المشاهدة إليهم مع كون إسنادها إلى المخاطبين أوقع فى إلزام الحجة وأدخل فى التبكيك مما لا داعى إليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثانى للمؤمنين وأما قراءة تروهم بتاء

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ آل عمران

- الخطاب فظاهرها وإن اقتضى توجيه الخطاب الثاني إلى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لأنه وإن اندفع به المحذور الأخير فالأول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الأشرف من العهد والميثاق فأسندت الرؤية إليهم مبالغة في البيان وتحقيقاً لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرىء يرونهم وترونها على البناء للمفعول من الإراءة أى يريهم أو يريكم الله تعالى كذلك (رأى العين) مصدر مؤكد ليرونهم إن كانت الرؤية بصرية أو مصدر تشبيهي إن كانت قلبية أى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية بحرى رؤية العين (والله يؤيد) أى يقوى (بنصره من يشاء) أن يؤيده من غير توسيط الأسباب العادية كما أيد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به (إن في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من رؤية القليل كثيراً المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل (لعبرة) العبارة فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فإنه نوع من العبور أى لعبرة عظيمة كائنه (لاولى الأَبصار) لذوى العقول والبصائر وقيل لمن أبصرهم وهو إما من تمام الكلام الداخلة تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل وإما وارد من جهة تعالى تصديقاً لمقاتله عليه الصلاة والسلام (زين للناس) كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهد للناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس (حب الشهوات) الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده والمراد ههنا المشتبهات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبة بأفهامها كأنها نفس الشهوات أو إيذاناً بأنهم ما هم في حجبها بحيث أحبوا شهواتها كما في قوله تعالى إني أحببت حب الخير أو استرذالها فإن الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزین هو البارى سبحانه وتعالى إذ هو الخالق لجميع الأفعال والدواعى والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم الآية فإنها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة وسيلة إلى بقاء النوع وإيثار صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرىء على البناء للفاعل وقيل المزین هو الشيطان لما أن مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائى بين المباحات فأسند تزينها إليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزينها إلى الشيطان (من النساء والبنين) في محل النسب على أنه حال من الشهوات وهى مفسرة لها في المعنى وقيل/ من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهم في معنى الشهوة فإنهم حبايل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن (والقناطر المقنطرة) جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل

قُلْ أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِيْنَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا وَاَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بِصِيْرٍ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ آل عمران

- سبعون ألفاً وقيل أربعون ألف مثقال وقيل ثمانون ألفاً وقيل مائة رطل وقيل ألف ومائتا مثقال وقيل ألفا دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلاف في أن وزنه فعلال أو فععال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بكرة مبدرة وقيل المقنطرة المحسنة المحسنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض أو المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة (من الذهب والفضة) ● بيان للقناطر أو حال (والخيل) عطف على القناطر قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ● الواحد فرس وقيل واحد خائل وهو مشتق من الخيلاء (المسومة) أي المعلمة من الدومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها إذا أرسلها وسيبها الرعى أو المطهمة التامة الخلق (والأنعام) أي الإبل والبقر والغنم (والحرث) أي الزرع مصدر بمعنى المفعول (ذلك) أي ما ذكر من الأشياء المعهودة (متاع الحياة الدنيا) أي ما يتمتع به في الحياة الدنيا أياما قلائل فتفتى سريعاً (والله عنده حسن المآب) ● حسن المرجع وفيه دلالة على أن ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الإسناد يجعل الجلالة مبتدأ وإسناد الجملة الظرفية إليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزبد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية (قل أُوْنِيْكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ) إنر ما بين شأن مخرقات الدنيا وذكر ما عنده ١٥ تعالى من حسن المآب إجمالاً أمر النبي ﷺ بتفاصيل ذلك الجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير أي أخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزيينة لكم وإبهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق إليه وقوله تعالى (للذين اتقوا عند ربهم جنات) استئناف مبين لذلك المبهم على أن جنات مبتدأ ● والجار والمجرور خبر أو على أن جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل إلى الله تعالى والإعراض عما سواه على ما تنبى عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات أو متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المتقين لإظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر مبتدأ محذوف والجملة مبينة لخبر ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى أن تعليق الإخبار والبيان بما هو خير لطائفه بما يؤهم أن هناك خيراً آخر لآخرين (تجري) في محل الرفع والجر صفة لجنات على حسب القراءتين (من تحتها الأنهار) متعلق بتجري فإن أريد بالجنات نفس الأشجار كما هو الظاهر لجريانها من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مراراً (خالدين فيها) حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ● ما فيه من معنى الاستقرار (وأزواج مطهرة) عطف على جنات أي مبرأة مما يستقذر من النساء من

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ١٦ ﴿١٦﴾ ٢٣ عمران
 الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ١٧ ﴿١٧﴾ ٢٣ عمران
 شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ١٨ ﴿١٨﴾ ٢٣ عمران

- الأحوال البدنية والطبيعية (ورضوان) التنوين للتفخيم وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة أى رضوان وأى رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء (والله بصير بالعباد) وبأعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها أو بصير بأحوال الذين اتقوا ولذلك أعد لهم ما ذكر وفيه إشعار بأنهم المستحقون للتسمية باسم العبد (الذين يقولون ربنا إننا آمنّا) في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من أولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية ف قيل هم الذين ألح أو انصب على المدح أو الجر على أنه تابع للمتقين نعمتاً أو بدلاً أو للعباد كذلك والاول أظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتأكيده الجملة لإظهار أن إيمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) على مجرد الإيمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار (الصابرين) هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح بإضمار أعنى وأما على تقدير كونه في محل النصب أو الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس (والصادقين) في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم (والقانتين) المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات (والمنفقين) أموالهم في سبيل الله تعالى (والمستغفرين بالأسحار) قال مجاهد وقتادة والكلبي أى المصلين بالأسحار وعن زيد بن أسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنه يحكي الليلة ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول لا فيعاود الصلاة فإذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة إذ العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروح أجمع لاسيما للمجتهدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكاملهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها (شهد الله أنه) بفتح الهمزة أى بأنه أو على أنه (لا إله إلا هو) أى بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس وإنزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذاناً بقوته في إثبات المطلوب وإشعاراً بإنكار المنكر وقرئ إنه بكسر الهمزة إما بإجراء شهد مجرى قال وإما بجعل الجملة اعتراضاً وإيقاع الفعل على قوله تعالى إن الدين ألح على قراءة أن بفتح الهمزة كما سيأتى وقرئ شهداء الله بالنصب على أنه

- حال من المذكورين أو على المدح وبالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح أى هم شهداء لله وهو إما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف أو جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر (والملائكة) عطف على الاسم
- الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للإقرار والإيمان بطريق عموم المجاز لئى أقر وأبذل (وأولوا العلم) أى آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الأدلة التكوينية والتشريعية قبل المراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل المهاجرون والأنصار وقيل علماء مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الأخيرتين قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وأنت خير بأن ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي إلى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة وأولى العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه حينئذ كون ارتفاعهما بالا بتدما والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه أى والملائكة وأولوا العلم شهداء بذلك ولك أن تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا حينئذ يحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى (قائماً بالقسط) أى مقبلاً للعدل في جميع أموره بيان لكماله تعالى في أفعاله لإثر بيان كماله في ذاته
- وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصداقاً وإنما جاز لإفراجه مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكباً لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخير عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة إلى إقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله والسر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الإيدان بأصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه أو من هو وهو الآخر والعامل فيها معنى الجملة أى تفردوا وأحقه لأنّها حال مؤكدة أو على المدح وقيل على أنه صفة للنبى أى لا إله قائماً بالحق والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به إذا جعل صفة أو حالا من الضمير أو نصبا على المدح منه وقرىء القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة أو على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقرىء قوماً بالقسط (لا إله إلا هو)
- تكرير للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليجرب عليه قوله تعالى (العزیز الحكيم) فيعلم أنه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير أو الوصفية لفاعل شهد أو الخبرية لمبتدأ مضمرة وقدروى في فضلها أنه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله وروى عن سعيد بن جبيرة أنه كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجداً وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي ﷺ حبران من أحبار الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذى يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقال له عليه السلام أنت محمد قال ﷺ نعم قالوا وأنت أحمد قال عليه السلام أنا محمد وأحمد قالوا فإنا نسالك عن شيء فإن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فأنزل

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا
 بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٠﴾ آل عمران
 فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ
 فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣١﴾ آل عمران /

- ١٩ الله تعالى هذه الآية الكريمة فأسلم الرجلان (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للأولى
 أى لادين مرضياً لله تعالى سوى الإسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشرعية الشريفة وعن قتادة أنه
 شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرىء إن الدين عند الله للإسلام وقرىء إن
 الدين الخ على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه وبدل الاشتغال إن فسر
 بالشرعية أو على أن شهد واقع عليه على تقدير قراءة إنه بالكسر كما أشير إليه (وما اختلف الذين أوتوا
 الكتاب) نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام الذى جاء به النبي ﷺ وأنكروا نبوته والتعبير
 عنهم بالوصول وجعل إيتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فإن الاختلاف ممن أوتى ما يزيله ويقطع
 شافته في غاية القبح والسباحة وقوله تعالى (إلا من بعد ما جاءهم العلم) استثناء مفرغ من أعم الأحوال
 أو أعم الأوقات أى وما اختلفوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا بعد أن علموا بأنه
 الحق الذى لا محيد عنه أو بعد أن علموا حقيقة الأمر وتمسكوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات
 الباهرة وفيه من الدلالة على تراعى حالهم في الضلالة مالا مزيد عليه فإن الاختلاف بعد حصول تلك
 المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى (بغياً بينهم) أى حسداً كانوا بينهم وطلباً للرياسة لا لشبهة وخفاء
 في الأمر تشنيع إثر تشنيع (ومن يكفر بآيات الله) أى بآياته الناطقة بما ذكر من أن الدين عند الله تعالى
 هو الإسلام ولم يعمل بمقتضاها أو بآية آية كانت من آياته تعالى على أن يدخل فيها مانحن فيه دخولا
 أولياً (فإن الله سريع الحساب) قائم مقام جواب الشرط علة له أى ومن يكفر بآياته تعالى فإنه تعالى
 يجازيه ويعاقبه عن قريب فإنه سريع الحساب أى يأتى حسابه عن قريب أو يتم ذلك بسرعة وإظهار الجلالة
 لترية المهابة وإدخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية
 حالهم من كون كفرهم بعد إيتاء الكتاب وحصول الاطلاع على مافيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال
 ٢٠ شدة عقابهم (فإن حاجوك) أى في كون الدين عند الله الإسلام أو جادلوك فيه بعد ما أقت عليهم
 الحجج (فقل أسلمت وجهي) أى أخلصت نفسي وقلبي وجملي وإنما عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الأعضاء
 الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر وجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه
 إلى كل شئ (الله) لا أشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات
 والرسول عليهم السلام (ومن اتبعن) عطف على المتصل في أسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ
مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ آل عمران

- يجرى التأكيد بالمنفصل أى وأسلم من اتبعنى أو مفعول معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) أى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفى المتعاطفين (والأمةين) أى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) متبعين لى كما فعل المؤمنون فإنه قد أتاكم من البينات ما يوجب ويقتضيه لا محالة فهل أسلمتم وعلمتم بقضيتها أو أنتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسألة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكاً إلا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل أنتم منتبهون لآثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخرو والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعانددة وقلة الإنصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى (فإن أسلموا) أى كما أسلمتم وإنما لم يصرح به كما فى قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به حسبما لباب لإطلاق اسم الإسلام على شئ آخر بالكلية (فقد اهتدوا) أى فازوا بالخط الأوفر ونجوا عن مهاوى الضلال (وإن تولوا) أى أعرضوا عن الاتباع وقبول الإسلام (فإنما عليك البلاغ) قائم مقام الجواب أى لم يضروك شيئاً إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت على أبلغ وجه . روى أن رسول الله ﷺ لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا أسلمنا فقال عليه السلام لليهود أشهدون أن عيسى كلمة الله وعبدته ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه الصلاة والسلام للنصارى أشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبداً وذلك قوله عز وجل وإن تولوا (والله بصير بالعباد) عالم بجميع أحوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعد (إن الذين يكفرون بآيات الله) أى آية كانت فدخل ٢١ فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الإسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا أولاً (ويقتلون النبيين بغير حق) هم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حاميين حول قتل النبي ﷺ لولا أن عصم الله تعالى ساحته المنيعة وقد أشير إليه بصيغة الاستقبال وقرىء بالتشديد للتكثير والتقيد بغير حق للإيذان بأنه كان عندهم أيضاً بغير حق (ويقتلون الذين يأمرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ) أى بالعدل ولعل تكرير الفعل الإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما فى الوقت عن أبى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذاباً يوم القيامة قال رجل قتل نبياً أو رجلاً أم بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بنو إسرائيل فأمرُوا قتلهم بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار وقرىء ويقاثلون الذين (فبشرهم بعذاب أليم) خبر إن والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فإنها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تأكيداً وكذا الحال فى النسخ بأن المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن الله خمسُه وكذا النسخ بلمكن كما فى قوله [فوالله ما فارقتكم عن ملالة] ولكن ما يقضى فسوف يكون وإنما يتغير معنى الابتداء

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ آل عمران
 أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ
 مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ آل عمران

- ٢٢ في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيدي به والآخر إلى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقاً فالخبر عندهما
 قوله تعالى (أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) كما في قولك الشيطان فاحذر عدو مبین
 وعلى الأول هو استئناف واسم الإشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد الدلالة على تراعى أمرهم في الضلال
 وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره أى أولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة
 أو المبتلون بأسوأ الحال الذين بطلت أعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها أثر في الدارين بل
 بقى لهم اللعنة والحزى في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم من بأس الله
 وعذابه في إحدى الدارين وصيغة الجميع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الأنصار من كل واحد منهم كما
 ٢٣ في قوله تعالى وما للظالمين من أنصار (ألم تر) تعجيب لرسول الله ﷺ أو لكل من يتأتى منه الرؤية من
 حال أهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من أن اختلافهم في الإسلام إنما كان بعد ما جاءهم العلم
 بحقيقته أى ألم تنظر (إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) أى التوراة على أن اللام للعهد وحمله على جنس
 الكتب الإلهية تطويل للساقفة لإتمام التقريب حينئذ يكون التوراة من جملتها لأن مدار التشنيع والتعجيب
 إنما هو إعراضهم عن المحاكاة إلى مادعوا إليه وهم لم يدعوا إلا إلى التوراة والمراد بما أوتوه منها ما بين لهم
 فيها من العلوم والأحكام التي من جملتها ما علوه من نعوت النبي ﷺ وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب
 للإشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقاً من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير
 للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقييد حالهم (يدعون إلى كتاب الله) الذي أوتوا نصيباً
 منه وهو التوراة والإظهار في مقام الإضمار لإيجاب الإجابة وإضافته إلى الاسم الجليل لتشريفه وتأكيد
 وجوب المراجعة إليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجيب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل
 ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يدعون إلى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول (ليحكم بينهم)
 وذلك أن رسول الله ﷺ دخل مدارسهم فدعاهم إلى الإيمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على
 أى دين أنت قال عليه الصلاة والسلام على ملة إبراهيم قال إن إبراهيم كان يهودياً فقال ﷺ لهما إن بيننا
 وبينكم التوراة فهلوا إليها فأبوا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فإنهم قد
 علوا أنه كتاب الله ولم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بأن أسلم
 بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وعاداهم الآخرون (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد
 عليهم بوجوب الرجوع إليه (وهم معرضون) إما حال من فريق لتخصصه بالصفة أى يتولون من المجلس
 وهم معرضون بقلوبهم أو اعتراض أى وهم قوم يدينهم الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل .

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمْسَنَ النَّارَ إِلَّا آيَاتًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ آل عمران
فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ آل عمران
قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ
تَشَاءُ يَدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ آل عمران

- (ذلك) إشارة إلى ما سر من التولي والإعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أي حاصل بسبب أنهم ٢٤
- (قالوا لن نمسنا النار) باقتراف الذنوب وركوب المعاصي (إلا آياتا معدودات) وهي مقدار عبادتهم العجل
- ورسخ اعتقادهم على ذلك وهو نوا عليهم الخطوب (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من قولهم ذلك وما
- أشبهه من قولهم (إن آباءنا الأنبياء يشفعون لنا أو إن الله تعالى وعدي يعقوب عليه السلام أن لا يعذب أولاده
- إلا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح (فكيف) رد لقولهم المذكور ولإبطال لما غرهم ٢٥
- باعتظام ما سيدهمم وتهويل ما سيحقق بهم من الأهوال أي فكيف يكون حالهم (إذا جمعناهم ليوم) أي
- لجزاء يوم (لا ريب فيه) أي في وقوعه ووقوع ما فيه . روى أن أول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفر
- راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار (ووفيت كل نفس ما كسبت)
- أي جزاء ما كسبت من غير نقص أصلا كما يزعمون وإنما وضع المكسوب موضع جزائه الإيذان بكال
- الاتصال والتلازم بينهما كأنهما شيء واحد وفيه دلالة على أن العبادة لا تحبط وأن المؤمن لا يخلد في النار لأن
- توفية جزاء إيمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخوله فإذا نهي بعد الخلاص منها (وهم) أي كل الناس
- المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عذاب أو بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه
- ﴿قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه ٢٦
- مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل أصله يا الله أمنا بخير أي أقصدنا به نخفف
- بجذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته (مالك الملك) أي مالك جنس الملك على الإطلاق ملكا
- حقيقياً بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء إجماداً وإعداداً وإحياء وإماتة وتعذيباً وإثابة من غير مشارك ولا
- ممانع وهو نداء ثان عند سيديبه فإن الميم عنده تمنع الوصفية (تؤتي الملك) بيان لبعض وجوه التصرف
- الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق الاختصاص بها به تعالى حقيقة وكون مالكية غير دبطر بق المجاز كما ينبغي
- عنه إشار إلى إتياء الذي هو مجرد الإعطاء على التملك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة (من تشاء) أي إتياءه
- إياه (وتنزع الملك من تشاء) أي نزعه منه فالملك الأول حقيقي عام وملوكيته حقيقية والآخران مجازيان
- خاصان ونسبتهما إلى صاحبهما مجازية وقيل الملك الأول عام والآخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد
- بالمالك النبوة ونزعها نقلها من قوم إلى آخرين (وتعز من تشاء) أن تعزه في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما
- بالنصر والتوفيق (وتنزل من تشاء) أن تنزله في إحداهما أو فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة (بيدك
- الخير) تعريف الخير بالتعميم وتقديم الخبر للتخصيص أي بقدرتك الخير كله لا بقدره أحد غيرك تتصرف

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران

فيه قبضاً وبسطاً حسبما تقتضيه مشيئتكم وتخصيص الخير بالذكر لما أنه مقضى بالذات وأما الشر فقضى بالعرض إذ ما من شر جزئى إلا وهو متضمن للخير كلي أو لأن في حصول الشر دخلاً لصاحبه في الجملة لأنه من أجزية أعماله وأما الخير ففضل محض أو لرعاية الأدب أو لأن الكلام فيه فإنه روى أن رسول الله ﷺ لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة من أهل المدينة أربعين ذراعاً وأخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجها سليمان إلى رسول الله ﷺ يخبره فجاء عليه السلام وأخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتها لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أبواب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال أضاءت لي منها القصور الحجر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون بمن يكم ويعدم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت (إنك على كل شيء قدير) تعليل لما سبق وتحقيق له (تولج الليل

٢٧

● في النهار) أي تدخله فيه بتعقيبه إياه أو بنقص الأول وزيادة الثاني (وتولج النهار في الليل) على أحد
● الوجهين (وتخرج الحي من الميت) أي تنشئ الحيوانات من موادها أو من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر (وتخرج الميت من الحي) أي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن (وترزق من تشاء بغير حساب) قال أبو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلاثة أوجه بمعنى
● /التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن أو أمسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق أو من مفعوله وفيه دلالة على أن من قدر على أمثال هاتيك الأفاعيل العظام المحيرة للعقول والأفهام فقدرته على أن ينزع الملك من العجم ويؤتية العرب ويعزهم أهون من كل هين .
عن علي رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ إن فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين من آل عمران شهد الله أنه لا إله إلا هو إلى قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام /وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب /معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يارب تهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله تعالى إني خلقت أنه لا يقروكن أحد دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت إليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعدته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم لهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ آل عمران
قُلْ إِنْ تُخَفُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلِنَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ آل عمران

- تشتغلوا بسبب الملوكة ولكن توبوا إلى أعظمهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام / كما تكونوا يول عليكم /
- (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) نهوا عن موالاتهم لقراية أوصداقة جاهلية ونحوها من أسباب ٢٨ المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم إلا لله تعالى أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية (من دون المؤمنين) في موضع الحال أي متجاوزين المؤمنين إليهم استقلالاً أو اشتراكاً وفيه إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة (ومن يفعل ذلك) أي اتخاذهم أولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار أو لإيهام الاستهجان بذكره (فليس من الله) أي من ولايته تعالى (في شيء) يصح أن يطلق عليه اسم الولاية فإن موالاة المتعادين بما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال [تود عدوى ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب] أو الجملة اعتراضية وقوله تعالى (إلا أن تتقوا) على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل فعل النهي معتبراً فيه الخطاب كأنه قيل لا تتخذوهم أولياء ظاهراً أو باطناً في حال من الأحوال إلا حال اتفاقكم (منهم) أي من جمعتهم (تقاة) أي انقاء أو شيئاً يجب اتقاؤه على أن المصدر واقع موقع المفعول فإنه يجوز إظهار الموالاة حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من فشر العصا وإظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطاً وامش جانباً وأصل تقاة وقية ثم أبدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلت الياء ألفاً وقرىء تقية (ويحذركم الله نفسه) أي ذاته المقدسة فإن جواز إطلاق لفظ النفس مراداً به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققى المتأخرين بعدم الجواز وإن أريد به الذات إلا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس الإيذان بأن له عقاباً هائلاً لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة (وإلى الله المصير) تذييل مقرر لمضمون ما قبله وتحقيق لوقوعه حتماً (قل إن تخفوا ما في صدوركم) من الضمائر التي من جملتها ٢٩ ولاية الكفرة (أو تبدوه) فيما بينكم (يعلمه الله) فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم إليه وتقديم الإخفاء على الإبداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون (ويعلم ما في السموات والأرض) كلام مستأنف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب إيراد العام بعد الخاص تأكيداً له وتقريراً (والله على كل شيء قدير) فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه إن لم تنتهوا عما نهيتهم عنه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة المهابة وتهويل

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا
وَيُحْذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ آل عمران

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ آل عمران

- الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بأن ذاته المقدسة المتميزة عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط (يوم تجد كل نفس) أى من النفوس المكلفة (ما عملت من خير محضراً) عندها بأمر الله تعالى وفيه من التحويل ما ليس في حاضر (وما عملت من سوء) عطف على ما عملت والإحضر معتبر فيه أيضاً إلا أنه خص بالذكر في الخير للإشعار بكون الخير مراداً بالذات وكون إحضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية (تود) عامل في الظرف والمعنى تود وتنمى
- يوم تجد صحائف أعمالها من الخير والشر أو أجزيتها محضرة (لو أن بينها وبينه) أى بين ذلك اليوم (أمداً بعيداً) لغاية هوله وفى إسناد الودادة إلى كل نفس سواء كان لها عمل سيء أو لا بل كانت متمحصنة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم إنا نعوذ بك من ذلك ويجوز أن يكون انتصاب يوم على المفعولية بإضمار اذكروا وتود ما حال من كل نفس أو استئناف مبنى على السؤال أى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضراً وادة أن بينها وبينه أمداً بعيداً أو كأن سائلاً قال حين أمروا بذكر ذلك اليوم فإذا يكون إذ ذاك فقيل تودلو أن بينها الخ أو تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرىء ودت حينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنها حكاية حال ماضية وأوفق للقراءة المشهورة (ويحذركم الله نفسه) تكرير لما سبق وإعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لإفادة ما يفيد
 - قوله عز وجل (والله رءوف بالعباد) من أن تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة وأن رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وأن تحذيره ليس مبنيّاً على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها أيضاً كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم فالجمله على الأول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله عز وجل وأن كل ما يراه كما لا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا الله وفي الله وذلك مقتضى إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزماً
 - لا اتباع الرسول ﷺ في عبادته والحرص على مطاوعته (يحببكم الله) أى يرض عنكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويؤمكم في جوار قدسه
 - عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة أو المشاكلة (والله غفور رحيم) أى لمن يتجيب إليه بطاعته ويتقرب إليه

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢﴾ آل عمران
إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ آل عمران

باتباع نبيه عليه الصلاة والسلام فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة . روى أنها نزلت لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا إنا نعبد المسيح حباً لله تعالى وقيل في أقوام زعموا على عهده عليه الصلاة والسلام أنهم يحبون الله تعالى فأمروا أن يجعلوا القلوب مصداقاً من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله ﷺ يا معشر قريش لقد خالفتم ملة إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فقالت قريش إنما نعبدها حباً لله تعالى ليقرّبونا إلى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه عليه السلام والصلوة والسلام قل إن كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون إلا صنّام لتقرّبكم إليه فاتبعوني أى اتبعوا شريعتى وسنتى يحببكم الله فأنا رسول الله إليكم وحبته عليكم (قل ٢٣ أطيعوا الله والرسول) أى فى جميع الأوامر والنواهي فيدخل فى ذلك الطاعة فى اتباعه عليه الصلاة والسلام دخولا أولاً وإيثار الإظهار على الإضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الإطاعة والإشعار بعلمتها فإن الإطاعة المأمور بها لإطاعته عليه الصلاة والسلام من حيث إنه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب فى أن عنوان الرسالة من موجبات الإطاعة ودواعيها (فإن تولوا) إما من تمام مقول القول ● فى صيغة المضارع المخاطب بحذف إحدى التامين أى تتولوا وإما كلام متفرع عليه مسوق من جهة تعالى فى صيغة الماضى الغائب وفى ترك ذكر احتمال الإطاعة كما فى قوله تعالى فإن أسلموا تلويح إلى أنه غير محتمل منهم (فإن الله لا يحب الكافرين) نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم أى لا يرضى ● عنهم ولا يثنى عليهم وإيثار الإظهار على الإضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والإشعار بعلمته فإن سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والإيذان بأن التولى عن الطاعة كفر وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين (إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) لما بين الله تعالى أن الدين المرضى عنده ٢٣ هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول ﷺ وطاعته شرعاً فى تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة وأتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقاً للحق وإبطالاً لما عليه أهل الكتابين فى شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم فى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وادعائهم الانتهاء إلى ملته ونزه ساحتها العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزّهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة

ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ آل عمران

أنفسهم أو غيرهم من الملائكة والنبیین وأن أهمهم قاطبة ماورون بالإيمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقاً لوجوب الإيمان برسول الله ﷺ وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وتحتم الطاعة له حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عليه الصلاة والسلام بالذكر لأنه أبو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فإنه آدم الثاني وأما ذكر آل إبراهيم فلتزغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوته النبي ﷺ واستمالهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمريتهم مع مامر من التنبيه على كونه عليه الصلاة والسلام عريقاً في النبوة من زمرة المصطفين الأخيار وأما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل إبراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق أمر عيسى عليه الصلاة والسلام لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فإن نسبة الاصطفاء إلى الأب الأقرب أدل على تحققه في الآل وهو الداعي إلى إضافة الآل إلى إبراهيم دون نوح وآدم عليهم الصلاة والسلام والاصطفاء أخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاة مثل به اختياره تعالى لإياهم النفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتعبة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام أو فيمن يلاسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه الصلاة والسلام بأن خلقه بيده في أحسن تقويم وبتعليم الأسماء وإسجاد الملائكة إياه وإسكان الجنة واصطفى نوحاً عليه الصلاة والسلام بكونه أول من نسخ الشرائع إذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراماً وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحله على متن الماء والمراد بآل إبراهيم لإسماعيل وإسحق والأنبياء من أولادهما الذين من جملتهم النبي ﷺ وأما اصطفاء نفسه عليه الصلاة والسلام ففهوم من اصطفائهم بطريق الأولوية وعدم التصريح به للإيدان بالغنى عنه لكمال شهرة أمره في الخلقة وكونه إمام الأنبياء وقدوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكون اصطفاء آل به دعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي إبراهيم . وبآل عمران عيسى وأمه مريم ابنة عمران بن ماثان بن عازار بن أبي بور بن رب بابل بن ساليان بن يوحنا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحز بن يوشم بن عزياهو بن يهورام بن يهو شافاط بن أسا بن رجبعم بن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ابن ييشا بن عوفيد بن بو عز بن سلمون بن نحشون بن عميفوذ بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وقيل موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام ابنا عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه الصلاة والسلام حينئذ بالاندرج في آل إبراهيم عليه السلام والأول هو الأظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام بالانتظام في سلك آل إبراهيم عليه السلام انتظاماً ظاهراً والمراد بالعالمين أهل زمان كل واحد منهم أى اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه (ذرية) نصب على البدلية من الآلين أو على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ آل عمران

- تعالى (بعضها من بعض) في محل النصب على أنه صفة لذرية أى اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبيء عنه التعرض لكونه ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين
- فالاستمالة على الوجه الأول تقريبية وعلى الثاني برهانية (واقه سميع) لأقوال العباد (عليم) بأعمالهم البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من تظهر استقامته قولاً وفعلًا على نهج قوله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها (إذ قالت امرأة عمران) في حين النصب على ٣٥ المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته أى اذ كرلهم وقت قولها الخ وقدر مراراً وجه توجيه الذكر إلى الأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله أى سميع لقولها المحكى عليم بضميرها المنوى وقيل هو ظرف للمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران إذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هى حنة بنت فاقوذا جدة عيسى عليه الصلاة والسلام وكانت لعمران بن يصر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فظن أن المراد زوجته وليس بذلك فإن قضية كفالة ذكرىا عليه الصلاة والسلام قاضية بأنها زوجة عمران بن ماثان لأنه عليه الصلاة والسلام كان معاصراً له وقد تزوج إيشاع أخت حنة أم يحيى عليه الصلاة والسلام وأما قوله عليه الصلاة والسلام في شأن يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام هما ابنا خالة فقيل تأويله أن الأخت كثيرأما تطلق على بنت الأخت وبهذا الاعتبار جعلهما عليهما الصلاة والسلام ابني خالة وقيل كانت إيشاع أخت حنة من الأم وأخت مريم من الأب على أن عمران نكح أولاً أم حنة فولدت له إيشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت إيشاع أخت مريم من الأب وخالتها من الأم لأنها أخت حنة من الأم روى أنها كانت عجوزاً عاقراً فبينما هى ذات يوم فى ظل شجرة إذ رأت طائراً يطعم فرخه فحنت إلى الولد وتمنته وقالت اللهم إن لك على نذراً إن رزقتنى ولداً أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سددته وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان ثم هلك عمران وهى حامل وحينئذ فقولها (رب إني نذرت لك ما فى بطنى) ● لابد من حمله على التكرير لئلا أكيد نذرها وإخراجه عن صورة التعليق إلى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرها لتحريك سلسلة الإجابة ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته وتأكيدها لجملة لإبراز وفور الرغبة فى مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وإنما عبر عن الولد بما لإبهام أمره وقصوره عن درجة العقلاء (محراً) أى معتقاً لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر أو مخلصاً للعبادة ونصبه ●

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِنَّكَ كَرِهْتَ لَأُنْثَىٰ وَلَئِنْ
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ آل عمران

- على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فإنها في قوة ما استقر في بطنى ولا يخفى أن المراد تقييد فعلها بالتحريم ليحصل به التقرب إليه تعالى لا تقييد مالا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها (فتقبل منى) أى مآذرتة والتقبل أخذ الشيء على وجه الرضا وهذا في الحقيقة استدعاء للولد إذ لا يتصور القبول بدون تحقق القبول بل الولد الذكر لعدم قبول الأنثى (إنك أنت السميع) لجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى (العليم) بكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث إن كونه تعالى سميعاً لدعائها علياً بما فى ضميرها مصحح للتقبل فى الجملة بل من حيث أن علمه تعالى بصحة نيتها وإخلاصها مستدع لذلك تفضلاً وإحساناً وتأكيدها لعل لعل قوة يقينها بمضمونها وقصر صفى السمع والعلم عليه تعالى لعل اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة فى الضراعة والابتهال
- ٣٦ (فلما وضعتها) أى ما فى بطنها وتأنيث الضمير العائد إليه لما أن المقام يستدعى ظهور أنوثته واعتباره فى حيز الشرط إذ عليه يترتب جواب لما أعنى قوله تعالى (قالت رب إنى وضعتها أنثى) لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتاً قالت الخ وقيل تأنيثه لأن ما فى بطنها كان أنثى فى علم الله تعالى أو لأنه مؤول بالحيلة أو النفس أو النسمة وأنت خير بأن اعتبار شيء بما ذكر فى حيز الشرط لا يكون مداراً لترتب الجواب عليه وقوله تعالى أنثى حال مؤكدة من الضمير أو بدل منه وتأنيثه للسارة إلى عرض مادهمها من خيبة الرجاء أو لما مر من التأويل بالحيلة أو النسمة فالحال حينئذ مبينة وإنما قالته تحزناً وتحسراً على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو أن تلد ذكراً ولذلك نذرتة محرراً للسدانة والتأكيد الرد على اعتقادها الباطل (والله أعلم بما وضعت) تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره أى والله أعلم بالشيء الذى وضعت وما علق به من عظام الأمور وجعله وابنه آية للعالمين وهى غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرىء وضعت على خطاب الله تعالى لها أى إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما أودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرىء وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة لإظهار الغاية الإجلال فيكون ذلك منها اعتذاراً إلى الله تعالى حيث أتت بمولود لا يصلح لما نذرتة من السدانة أو تسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرراً وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر
- فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى (وليس الذكر كالأُنثى) اعتراض آخر مبين لما فى الأول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام فى الذكر والأنثى للعهد أى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتنخيل فيه كما لا قصاره أن يكون كواحد من السدانة كالأُنثى التى وهبت لها فإن دائرة عليها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيه من جلال الأمور هذا على القراءتين الأولى ولين وأما على التفسير الأخير للقراءة

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ آل عمران

- الآخيرة فعناه وليس الذكر كمنه الأثني في الفضيلة بل أدنى منها وأما على التفسير الأول لها فعناه تأكيد الاعتذار ببيان أن الذكر ليس كالأثني في الفضيلة والمزية وصلاحيه خدمة المتعبدات فإنهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى (وإني سميتها مريم) عطف على إني وضعتها أثني وغرضها من عرضها على ●
علام الغيوب التقرب إليه تعالى واستدعاء العصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب وإظهار أنها غير راجعة عن نيتها وإن كان ما وضعته أثني وأنها وإن لم تكن خليفة بسدانة بيت المقدس فلتسكن من العابدات فيه (وإني أعيدها بك) عطف على إني سميتها وصيغة المضارع للدلالة ●
على الاستمرار أي أجبرها بحفظك وقرىء بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة إلا في موضعين بعدى أوف آتوني أفرغ (وذريتها) عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لإبراز ●
كمال العناية به (من الشيطان الرجيم) أي المطرود وأصل الرجم الرمي بالحجارة . عن النبي ﷺ ●
ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخا من مسه إلا مريم وابنها ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله عصمهما ببركة هذه الاستعاذة (فتقبلها) أي أخذ مريم ورضى بها في النذر مكان الذكر (رهبها) مالكها ومبلغها إلى كمالها اللائق وفيه ٢٧
من تشریفها مالا يخفى (بقبول حسن) قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد ●
أي تقبلها قبولا حسنا وإنما عدل عن الظاهر للإيذان بمقارنة التقبل لكمال الرضا وموافقته للعناية الذاتية فإن صيغة التفعّل مشعرة بحسب أصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وإن كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثير ثمره وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسقوط والدود لما يسقط به ويلد وهو اختصاصه تعالى إياها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أثني أو بأن/ تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة . روى أن حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فإن بني مائان كانت رموس بني إسرائيل وملوكهم وقيل لأنهم وجدوا أمرها وأمر عيسى عليه الصلاة والسلام في الكتب الإلهية فقال زكريا عليه الصلاة والسلام أنا أحق بها عندي خالتها فأبوا إلا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا إلى نهر فالقوا فيه أقلامهم فطفأ قلم زكريا ورسبت أقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر أي فتقبلها بذى قبول أي بأمر ذى قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كقصي بمعنى استقصى وتعجل بمعنى استعجل أي استقبلها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وأنبتها) مجاز عن ●

هَٰذَاكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ آل عمران

- تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها (نباتا حسنا) مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل
- لفعل مضمّر موافق له تقديره فنبتت نباتاً حسناً (وكفلها زكريا) أي جعله عليه الصلاة والسلام كافلاً لها وضامناً لمصالحها قائماً بتدبير أمورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فإن رغبته عليه الصلاة والسلام في كفالتها وطفو قلبه ورسوب أقدامهم وغير ذلك من الأمور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرىء أكفلها وقرىء زكرياء بالنصب والمد وقرىء بتخفيف الفاء وكسرهما ورفع زكرياء بمدوداً وقرىء وتقبلها ربها وأنبتها وكفلها على صيغة الأمر في الكل ونصب ربها على الدعاء أي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلاً لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه الصلاة والسلام لها محراباً في المسجد أي غرفة يصعد إليها بسلم وقيل المحراب أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب . روى أنه كان لا يدخل عليها إلا هو وحده وإذا خرج غلق عليها سبعة أبواب (كلما دخل عليها زكريا المحراب) تقديم الظرف على الفاعل لإظهار كمال العناية بأمرها ونصب المحراب على التوسع وكلية كلما ظرف على أن ما مصدرية والزمان محذوف أو نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها أي كل زمان دخوله عليها أو كل وقت دخل عليها فيه (وجد عندها رزقا) أي نوعاً منه غير معتاد إذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثدياً قط (قال) استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فإذا قال زكريا عليه الصلاة والسلام عند مشاهدة هذه الآية فقل
- قال (يا مريم أنى لك هذا) أي من أين يحى لك هذا الذى لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للأولياء ومن أنكرها جعل هذا إلهاماً وتأسيساً لرسالة عيسى عليه الصلاة والسلام وأما جملة معجزة لذكرى عليه الصلاة والسلام فيأباه اشتباه الأمر عليه السلام وإنما خاطبها عليه الصلاة والسلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده أنها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة (قالت) استئناف كما قبله كأنه قيل فإذا صنعت مريم وهي صغيرة
- لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقل (هو من عند الله) فلا تعجب ولا تستبعد (إن الله يرزق من يشاء) أن يرزقه (بغير حساب) أي بغير تقدير لكثرة أو بغير استحقاق تفضلاً منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله إما من تمام كلامهما فيكون في محل النصب وإما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روى أن فاطمة الزهراء رضی الله عنها أهدت إلى رسول الله ﷺ رغيفين وبضعة لحم فرجع بها إليها فقال هللى يابنية فكشفت عن الطبق فإذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة بنى إسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين وجميع أهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين فأكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فأوسعت على جيرانها (هناك) كلام مستأنف وقصة مستقلة سبقت في أضعاف

فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيحْيٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا
وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ آل عمران

- حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتياك مع مافي إيرادها من تقرير ماسيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء أدلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب أى في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت إذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان (دعا ذكر يارب) لما رأى كرامة مريم على الله ومنزلاتها ● منه تعالى رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير إبانها تنبه لجواز ولادة المعجوز العاقر من الشيخ الفاني فأقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبغي عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أن ذلك كان هو الموجب للإقبال على الدعاء فقط بل كان جزءاً أخيراً من العلة النامة التي من جملتها كبر سنه عليه الصلاة والسلام وضعف قواه وخوف مواليه حسباً فصل في سورة مريم (قال) تفسير ● للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الإعراب (رب هب لي من لدنك) كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لا بداء الغاية مجازاً أى أعطى من محض قدرتك من غير وسط معتاد (ذرية طيبة) كما وهبتها لحنة ويجوز أن يتعلق من بمحذوف وقع حالاً من ذرية أى كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى والمراد ههنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول من قال | أبوك خليفة ولدته أخرى هـ وأنت خليفة ذاك الكمال | وهذا إذا لم يقصد به واحد معين أما إذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز أن يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة (إنك سميع الدعاء) أى يجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة (فنادته الملائكة) ٢٩ كان المنادى جبريل عليه الصلاة والسلام كما تفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج أى أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبرائيل عليه الصلاة والسلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيماً له وقيل الرئيس لا بد له من أتباع فأسند النداء إلى الكل مع كونه صادراً عنه خاصة وقرئ. فناداه بالإمالة (وهو قائم) جملة حالية من مفعول النداء مقرر لما أفاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى (يصل) إما صفة لقائم أو خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى أو حال أخرى منه على القول بتعدد بلا عطف ولا بدلية أو حال من المستكن في قائم وقوله تعالى (في المحراب) أى في المسجد أو في غرفة مريم متعلق بصلى أو بقائم على تقدير كون يصلى حالاً من ضمير قائم لأن العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل بالأجنبي كما يلزم على التقادير الباقية (أن الله يبشرك بيحْيٍ) أى بأن الله وقرئ. بكسر الهمزة على تقدير القول أو إجراء النداء مجراه لكونه

قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَآمَرَأْتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٣﴾ آل عمران

نوعامنه وقرىء يبشرك من الإخبار ويبشرك من الثلاثي وأياً ما كان ينبغي أن يكون هذا الكلام إلى آخره محكياً بعبارة عن الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه الصلاة والسلام في الجواب إليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن إسناد التبشير إلى نون العظمة حسبا وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك بكذا وللإيدان بأن ما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم أعجمي وإن جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وإنما سمي يحيى لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة لأنه تعالى أحيا قلبه بالإيمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الأول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود إليه الحال أى بولادة يحيى فإن التبشير لا يتعلق بالأعيان (مصدقا) حال مقدرة من يحيى (بكلمة من الله) أى بعيسى عليه الصلاة والسلام وإنما سمي كلمة لأنه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التى هى عالم الأمور ومن لا بداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة أى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو أول من آمن به وصدق بأنه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت أم يحيى أم عيسى فقالت يا مريم أشعرت بحبلى فقالت مريم وأنا أيضاً حبلى قالت فإني وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما إن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر وقيل بثلاث سنين وقتل قبل رفع عيسى عليهما الصلاة والسلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما أن مريم ولدت وهى بنت ثلاث عشرة سنة

● أو بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله أى بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته (وسيداً) عطف على مصدقا أى رئيساً يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان قائماً للناس قاطبة فإنه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيألفها من سيادة ما أسناها (وحصوراً) عطف على ما قبله أى مبالغاً فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة . روى أنه مر فى صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت

● (ونبيأ) عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة (من الصالحين) أى ناشئاً منهم لأنه كان من أصلاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو كائناً من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وإنه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة

٤٠ من أقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال زكريا عليه الصلاة والسلام حينئذ فقيل قال (رب) لم يخاطب الملك المنادى له بملايسة أنه المباشر للخطاب وإن كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع والمناجاة وجداً فى التبتل إليه تعالى واحترازاً عما عسى يوم

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْزًا وَاذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا
وَسَبِّحْ بِالنَّعْثِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ آل عمران

- خطاب الملك من توهّم أن عليه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الأحوال وإن لم يتوقف عليه في بعضها (أنى يكون لى غلام) ● فيه دلالة على أنه قد أخبر بكونه غلاماً عند التبشير كما في قوله تعالى إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى وأنى بمعنى كيف أو من أين وكان تامة وأنى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أى كيف أو من أين يحدث لى غلام ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام إذ لو تأخر لكان صفة له أو ناقصة واسمها ظاهر وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمحذوف كما مر أو هو الخبر وأنى منصوب على الظرفية (وقد بلغنى الكبر) حال من ياء المتكلم ● أى أدركنى كبر السن وأثر فى كقولهم أدركته السن وأخذته السن وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للإنسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولا مرآته ثمان وتسعون (وامرأتى عاقر) أى ذات عقر وهو أيضاً حال من ياء لى عند من يجوز تعدد الحال أو من ياء بلغنى أى كيف يكون لى ذلك والحال أنى وامرأتى على حالة منافية له كل المنافاة وإنما قاله عليه الصلاة والسلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لاسيما بعد مشاهدته عليه الصلاة والسلام للشواهد السالفة استعظماً لقدرة الله سبحانه وتعجبياً منها واعتداداً بنعمته عز وجل عليه فى ذلك لا استبعاداً له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاماً عن كيفية حدوثه (قال) استئناف كما سلف (كذلك) ● إشارة إلى مصدر يفعل فى قوله عز وجل (الله يفعل ما يشاء) أى ما يشاء أن يفعله من تعاجيب الأفاعيل ● الحارقة للمعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على أنها فى الأصل نعت لمصدر محذوف أى الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلاً مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان ويجوز عاقر فقدم على العامل لإفادة القصر بالنسبة إلى ما هو أدنى من المشار إليه واعتبرت الكاف مفعلة لنا كيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً أو على أنها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة أى يفعل الفعل كائناً مثل ذلك أو فى محل الرفع على أنها خبر والجلالة مبتدأ أى على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم أو كذلك خبر لمبتدأ محذوف أى الأمر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له (قال) ٤١ رب اجعل لى آية) أى علامة تدلنى على تحقق المستول ووقوع الحبل وإنما سألتها لأن العلوق أمر خفى لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ آل عمران

يؤخره إلى أن يظهر ظهوراً معتاداً ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد إذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو ثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم الآية اللهم إلا أن تكون المجاورة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكى والجعل إبداعى واللام متعلقة به والتقديم لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أو محذوف وقع حالاً من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين أولهما آية وثانيهما لى والتقديم لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ (قال آيتك ألا تكلم الناس) أى أن لا تقدر على تكليمهم (ثلاثة أيام) أى متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويماً مع القدرة على الذكر والتسبيح وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة أن تحبس لسانك إلا عن شكرها وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال (إلا رمزاً) أى إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وأصله التحرك يقال ارتجز أى تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزاً بفتحين على أنه جمع رامز كحكم وبضمين على أنه جمع رموز كرسى على أنه حال منه ومن الناس معاً بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقى فردين ترجف * روايف أليتيك وتستطارا (واذكر ربك) أى في أيام الحبسة شكراً لحصول التفضل والإنعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية (كثيراً) أى ذكر كثيراً أو زماناً كثيراً (وسبح) أى سبحه تعالى أو افعل التسبيح (بالعشى) أى من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل (والإبكار) من طلوع الفجر إلى الضحى . قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى كما أن المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ الأبكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأسحار (وإذ قالت الملائكة) شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض أقاربهم أعنى زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام لاستدعاء المقام إياهما حسبما أشير إليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه الصلاة والسلام وقد مر ما فيه من الكلام وإذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق أعنى قوله إذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر أى واذكر أيضاً من شواهد اصطفاؤهم وقت قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام (يامريم) وتكرير التذكير للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء والتنبية على استقلالها وانفرادها عن الأحكام السابقة فإنها من أحكام التربية الجسدية اللائقة بحال صغر مريم وهذه من باب التربية

يَمْرِمُ أَفْتًى لِرَبِّكَ وَاتَّجِدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ آل عمران
 ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا
 كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ آل عمران

- الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها . قبل كلوها شفاها كرامة لها أو إرهاباً لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام لمكان الإجماع على أنه تعالى لم يستثنى امرأة وقيل ألهموها (إن الله اصطفاك) أولاً حيث تقبلت منك أمك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك أنثى ورباك في حجر زكريا عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية (وطهرتك) أي بما يستقذر من الأحوال والأفعال وبما قدفك به اليهود بانطاق الطفل (واصطفاك) آخرأ (على نساء العالمين) بأن وهب لك عيسى عليه الصلاة والسلام من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء وجعلك آية للعالمين فعلى هذا ينبغي أن يكون تقديم حكاية هذه المقالة على حكاية بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام لما مر مراراً من التنبيه على أن كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولوروعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئاً واحداً وقيل المراد بالاصطفاءين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا إشكال في ترتيب النظم الكريم إذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر أولاً وتجعل هذه المقالة قبل بشارتها بعيسى عليه الصلاة والسلام إيداناً بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما أمرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبلة إليه تعالى منسلخة عن أحكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها (يا مريم) تكرر النداء ٤٣ للإيدان بأن المقصود بالخطاب ما يرد بعده وأن ما قبله من تذكير النعم كان تمهيداً لذكره وترغيباً في العمل بموجبه (افتنى لربك) أي قومي في الصلاة أو أطبى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها لإشعار بعله وجوب الامتثال بالأمر (واسجدي واركعي مع الراكعين) أمرت بالصلاة بالجماعة بذكر أركانها مبالغة في إيجاب رعايتها وإيداناً بفضيلة كل منها وإصالته وتقديم السجود على الركوع إما ليكون الترتيب في شريعتهم كذلك وإما لكون السجود أفضل أركان الصلاة وأقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الأدنى إلى الأعلى وإما ليقترن اركعى بالراكعين للإشعار بأن من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين وأما ما قيل من أن الواو لا توجب الترتيب فغايتة التصحيح لا الترجيح وتجريد الأمر بالركنين الأخيرين عما قيد به الأول لما أن المراد تقييد الأمر بالصلاة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الأول منها وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعات كما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً وبالسجود الصلاة لما مر من أنه أفضل أركانها وبالركوع الخشوع والإخبات . قيل لما أمرت بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدمها وسالت دماً وقيحاً (ذلك) إشارة إلى ما سلف من الأمور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار ٤٤ إليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (من أنباء الغيب) أي من الأنباء المتعلقة بالغيب

إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِشْرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ آل عمران

- والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وقوله تعالى (نوحيه إليك) جملة مستقلة مبنية للأولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن أنباء الغيب إما متعلق بنوحيه أو حال من ضميره أى نوحى من أنباء الغيب أو نوحيه حال كونه من جملة أنباء الغيب وصيغة الاستقبال للإيدان بأن الوحي لم ينقطع بعد (وما كنت لديهم) أى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه حياً على طريقة التكم بمنكريه كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى الآية وما كنت ثاوياً فى أهل مدين الآية فإن طريق معرفة أمثال هاتيك الحوادث والواقعات إما المشاهدة وإما السماع وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال المعاينة المستحيلة
- ضرورة فنفيت تهكما بهم (إذ يلقون أقلامهم) ظرف للاستقرار العامل فى لديهم وأقلامهم أقداهم
- التى اقترعوا بها وقيل اقترعوا بأقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا (أيهم يكفل مريم) متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أى يلقونها ينظرون أو ليعلموا أيهم يكفلها (وما كنت لديهم إذ يختصمون) أى فى شأنها تنافساً فى كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف إذ يختصمون على إذ يقولون كما فى قوله عز وجل نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى للدلالة على أن كل واحد من عدم حضوره عليه الصلاة والسلام عند إلقاء الأقلام وعدم حضوره عند الاختصاص مستقل بالشهادة على نيوته عليه الصلاة والسلام لاسيما إذا أريد باختصاصهم
- ٤٥ تنازعهم قبل الاقتراع فإن تغيير الترتيب فى الذكر مؤكده . (إذ قالت الملائكة) شروع فى قصة عيسى عليه الصلاة والسلام وهو بدل من إذ قالت الملائكة منصوب بنصبه وما بينهما اعتراض جىء به تقريراً لما سبق وتنبها على استقلاله وكونه حقيقة بأن يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وإيداناً بتقارن الخطابين أو تقاربهما فى الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من إذ يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضراً فى ذلك الزمان المديد الذى وقع فى طرف منه الاختصاص وفى طرف آخر هذا الخطاب إشعاراً بإحاطته عليه الصلاة والسلام بتفاصيل أحوال مريم من أولها إلى آخرها والقائل جبريل عليه الصلاة والسلام
- وإيراد صيغة الجمع لما مر (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه) من لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف
- وقع صفة لكلمة أى بكلمة كائنة منه عز وجل (اسمه) ذكر الضمير الراجع إلى الكلمة لكونها
- عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره (المسيح) وقوله تعالى (عيسى) بدل منه أو عطف بيان وقيل
- خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب بإضمار أعنى مدحا وقوله تعالى (ابن مريم) صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم مابه يتميز المسمى عن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة إذ هو المميز له عليه الصلاة والسلام تمييزاً عن جميع من عداه والمسيح لقبه عليه الصلاة والسلام وهو من الألقاب

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ آل عمران
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ آل عمران

- المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك وعيسى معرب من أيشوع والتصدى لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام مسح بالبركة أو بما يطهره من الذنوب أو مسحه جبريل عليهما الصلاة والسلام أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو كان عليه الصلاة والسلام يمسح ذا العاهة فيبرأ بأنه كان في لونه عيس أى يياض يعلوه حمرة من قبيل الرقيم على الماء وإنما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت على نساء العالمين (وجها في الدنيا والآخرة) الوجه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فإنها وإن كانت نكرة لكنها صالحة لأن ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة (ومن المقربين) أى من الله عز وجل وقيل هو إشارة إلى رفعه إلى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الأولى وقد عطف عليه قوله تعالى (ويكلم الناس في المهد وكهلاً) أى يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء ٤٦ من غير تفلوت والمهد مصدر سمى به ما يمهّد للصبي أى يسوى من مضجعه وقيل إنه شابأرفع والمراد وكهلاً بعد نزوله وفي ذكر أحواله المختلفة المتنافية إشارة إلى أنه بمعزل من الألوهية (ومن الصالحين) حال أخرى من كلمة معطوفة على الأحوال السالفة أو من الضمير في يكلم (قالت) استئناف مبنى على السؤال ٤٧ كأنه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة إلى ربها (رب أنى يكون) أى كيف يكون أو من أين يكون (لى ولد) على وجه الاستبعاد العادى والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بأنه بالتزوج أو بغيره ويكون إما نامة وأنى واللام متعلقان بها وتأخير الفاعل عن الجار والمجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ويجوز أن تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد إذ لو تأخر لكان صفة له وإما ناقصة واسمها ولد وخبرها إما أنى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر أو خبر وأنى نصب على الظرفية وقوله تعالى (ولم يمسسني بشر) جملة حالية محققة للاستبعاد أى والحال أنى على حالة منافية للولادة (قال) استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام (كذلك الله يخلق ما يشاء) الكلام في إعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا أن أراد بخلق ههنا مكان يفعل هناك لما أن ولادة العذراء من غير أن يمسها بشراً بدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع أنسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل (إذا قضى أمراً) من الأمور أى أراد شيئاً كما في قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً وأصل القضاء الإحكام أطلق على الإرادة الإلهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ آل عمران
 وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
 الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ آل عمران

- البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك (فإنما يقول له كن) لا غير (فيكون) من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تأتى المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المأمور المطيع للأمر القوي المطاع وبيان لأنه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا بأسباب ومواد معنادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة إلى شيء من الأسباب والمواد (ويعلمه ٤٨)
- (الكتاب) أى الكتابة أو جنس الكتب الإلهية (والحكمة) أى العلوم وتهذيب الاخلاق (والتوراة والإنجيل) أفرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلها وإناقمها على غيرهما والجملة عطف على يبشرك أو على وجهها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ سيق تطليبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف اللاتمة لما علمت أنها تلد من غير زوج وقرى. ونعلمه بالذون (ورسولا إلى بنى إسرائيل) منصوب بمضمر يعود إليه المعنى معطوف على يعلمه أى ويجعله رسولا إلى بنى إسرائيل أى كلهم وقال بعض اليهود إنه كان مبعوثا إلى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبا وقيل بعد البلوغ وكان أول أنبياء بنى إسرائيل يوسف عليه الصلاة والسلام وآخرهم عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل أولهم موسى وآخر عيسى عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى (أنى قد جئتكم) معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق أى رسولا ناطقا بأنى الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه أى ويقول أرسلت رسولا بأنى قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الأحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها فى حكم الغيبة مع كون هذا فى حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجهها ورسولا ناطقا بأنى الخ وقرى. ورسول بالجر عطفاً على كلمة والباء فى قوله تعالى (بآية) متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على أنها للבלاسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها ● وكثرتها وقرى. بآيات ، أو مجئكم على أنها للتعددية ومن فى قوله تعالى (من ربكم) لا ابتداء الغاية مجازاً متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية أى قد جئتكم ملتبساً بآية عظيمة كائنة من ربكم أو أتيتكم بآية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد إيجاب الامثال بما سياتى من الأوامر وقوله تعالى (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) بديل من قوله تعالى أنى قد جئتكم وحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأى الخليل والكسائى أو بديل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر أى أعنى أنى الخ وقيل مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هى أنى أخلق لكم وقرى. بكسر الهمزة على الاستئناف أى أقدر لكم أى لأجل تحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم إياى من

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝٣٠ آل عمران

- الطين شيئاً مثل صورة الطير (فأنفخ فيه) الضمير للكاف أى فى ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرىء فأنفخ
- فيها على أن الضمير للهيئة المقدرة أى أخلق لكم من الطين هيئة كههيئة الطير فأنفخ فيها (فيكون طيراً)
- حياً طياراً كسائر الطيور (بإذن الله) بأمره تعالى أشار عليه الصلاة والسلام بذلك إلى أن إحياءه من الله تعالى لا منه . قيل لم يخلق غير الخفاش . روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طيناً وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض قال وهب كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ليمتيز من خلق الله تعالى قيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أكمل الطير خلقاً وأبلغ دلالة على القدرة لأن له ثدياً وأسناناً وهى تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الإنسان وتطير بغير ريش ولا تبصر فى ضوء النهار ولا فى ظلمة الليل وإنما ترى فى ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق أنواعاً من الطير (وأبرىء الأكمة)
- أى الذى ولد أعمى أو المسحوح العين (والأبرص) البتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرها منه ويقال له الوضع أيضاً وتخصيص هذين الداءين لأنهما مما أعيى الأطباء وكانوا فى غاية الحذقة فى زمنه عليه الصلاة والسلام فأراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روى أنه عليه الصلاة والسلام بما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام وما يداويه إلا بالدعاء (وأحيى الموتى بأذن الله) كرره مبالغته فى دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية . قال الكلبي كان عليه الصلاة والسلام يحيى الموتى يياحى ياقيوم . أحياء أزر وكان صديقاً له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريريه حياً ورجع إلى أهله وبقى وولد له وبنت العاشر أحياءها وولدت بعد ذلك فقالوا إنك يحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلمهم لم يموتوا بل أصابهم سكتة فأحى لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه فقال عليه السلام كيف شئت ولم يكن فى زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتاً يقول أجب روح الله فظننت أن الساعة قد قامت فمن هول ذلك شئت فسأله عن النزع قال يا روح الله إن مرارته لم تذهب من حنجرتى وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فإنه نبي الله فأمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبيء لك كذا وذلك قوله تعالى (وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون فى بيوتكم) أى بالمغيبات من أحوالكم التى لا تشكون فيها وقرىء تدخرون بالذال والتخفيف (إن فى ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الأمور العظام (لآية) عظيمة وقرىء لايات (لكم) دالة على صحة رسالتى دلالة واضحة (إن كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى إليه أو دلالة المذكور عليه أى انتفعتم بها أو إن كنتم ممن يتأق منهم الإيمان دلتمكم على صحة رسالتى والإيمان بها (ومصدقاً لما بين ٥٠

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ آل عمران
فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا
بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ آل عمران

- يدى من التوراة) عطف على المضمر الذى تعلق به قوله تعالى بآية أى قد جئتمكم ملتبساً بآية الخ ومصداقاً لما بين يدى الخ أو على رسولاً على الأوجه الثلاثة فإن مصداقاً فيه معنى النطق كما فى رسولاً أى ويجعله مصداقاً ناطقاً بأنى أصدق الخ أو يقول أرسلت رسولاً بأنى قد جئتمكم الخ ومصداقاً الخ أو حال كونه مصداقاً ناطقاً بأنى أصدق الخ أو منصوب بإضمار فعل دل عليه قد جئتمكم أى وجئتمكم مصداقاً الخ وقوله من التوراة إما حال من الموصول والعامل مصداقاً وإما من ضميره المستتر فى الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر فى الظرف أو نفس الظرف لقيامه مقام الفعل (ولأحل لكم) معمول لمضمر دل عليه ما قبله أى وجئتمكم لأحل الخ وقيل عطف على معنى مصداقاً كقولهم جئته معذراً أو لأجلب رضاه كأنه قيل قد جئتمكم لأصدق ولأحل الخ وقيل عطف على بآية أى قد جئتمكم بآية من ربكم ولأحل لكم (بعض الذى حرم عليكم) أى فى شريعة موسى عليه الصلاة والسلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الإبل والعمل فى السبت قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صهنة له واختلاف فى إحلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى أو الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على أن شرعه كان ناسخاً لبعض أحكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصداقاً لما أن النسخ فى الحقيقة بيان وتخصيص فى الأزمان وتأخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مراراً من المبادرة إلى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق إلى ما أخر (وجئتمكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتى وقرئ بآيات (فاتقوا الله) فى عدم قبولها ومخالفة مدلولها (وأطيعون) فيما أمركم به وأنهاكم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية هى قولى (إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) فإنه الحق الصريح الذى أجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية يئنه على أنه عليه الصلاة والسلام من جملتهم وقرئ أن الله بالفتح بدلاً من آية أو قد جئتمكم بآية على أن الله ربى وربكم وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض والظاهر أنه تكرير لما سبق أى قد جئتمكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص والإحياء والإنباء بالخفيات ومن غيره من ولادنى بغير أب ومن كلامى فى المهد ومن غير ذلك والأول لتهديد الحجة والثانى لتقريبها إلى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا الله أى لما جئتمكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله فى المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم إليه ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لا يلاف قريش الخ ثم شرع فى الدعوة وأشار إليها بالقول المجمل فقال إن الله ربى وربكم إشارة إلى أن استكمال القوة النظرية بالاقتقاد الحق الذى غايته التوحيد وقال فاعبدوه إشارة إلى استكمال القوة العملية فإنه يلزم الطاعة التى هى الإتيان بالأوامر والانتهاى عن المنهى ثم قرر ذلك بأن بين أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام قل آمنت بالله ثم استقم (فلما أحس عيسى منهم الكفر) شروع فى بيان مآل

أحواله عليه السلام إثر ما أشير إلى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفناء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة وخروجه من القوة إلى الفعل حسبما شرحت كما في قوله تعالى فلبار آه مستقراً عنده بعد قوله تعالى أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل لعمليته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذبت وذبت وإنما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وإيداناً بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الأخر وأما عدم نظم بقية أحواله عليه الصلاة والسلام في سلك النقل فإما للاعتناء بأمرها أو لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه الصلاة والسلام للشدائد ومعاناته للكمائد والمراد بالإحساس الإدراك القوى الجاري مجرى المشاهدة والكفر بإصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه الصلاة والسلام كما نبى عنه الإحساس فإنه إنما يستعمل في أمثال هذه المواقع عند كون متعلقه أمراً محذوراً مكرهاً كما في قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة بأحس والضمير المحرور لبني إسرائيل أي ابتداء الإحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر (قال) أي لخلص أصحابه لاجتماع بني إسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فأمّنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب إلى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة إليهم (من أنصاري) الأنصار جمع نصير كإشراف جمع شريف (إلى الله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الباء أي من أنصاري متوجهاً إلى الله ملتجئاً إليه أو بأنصاري متضمناً معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرونني وقيل إلى بمعنى في أي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع (قال) استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قالوا في جوابه عليه الصلاة والسلام فليل (الحواريون) جمع حواري يقال فلان حواري فلان أي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص ألوانهن ونقائهن سمي به أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وأنوارها وقيل كانوا ملوكاً يلبسون البيض وذلك أن واحداً من الملوك صنع طعاماً وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه الصلاة والسلام على قصعة لا يزال يأكل منها ولا تنقص فذكر واذنك للملك فاستداه عليه الصلاة والسلام فقال له من أنت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع أقاربه فأولئك هم الحواريون وقيل كانوا اصيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فربهم عيسى عليه الصلاة والسلام فقال لهم أتم تصيدون السمك فإن اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الأبدية قالوا من أنت قال عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئاً فأمره عيسى عليه الصلاة والسلام بإلقائها في الماء مرة أخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا بأهل سفينة أخرى وملئوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلاً آمنوا به عليه الصلاة والسلام واتبعوه وكانوا إذا جاعوا قالوا جمعنا يا روح الله فيضرب بيده الأرض فيخرج منها لكل واحد رغيفاً وإذا عطشوا قالوا

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ٢٣٣ عمران

وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ ٢٣٣ عمران

عطشنا فيضرب بيده الأرض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا قال عليه الصلاة والسلام أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالآجرة فسموا حواريين وقبل إن أمه سلمته إلى صباغ فأراد الصباغ يوماً أن يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه الصلاة والسلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الألوان فغاب لجعل عليه الصلاة والسلام كلها في جب واحد وقال كوني ياذن الله كما أريد فرجع الصباغ فسأله فأخبره بما صنع فقال أفسدت على الثياب قال قم فانظر لجعل يخرج ثوباً أحمر وثوباً أخضر وثوباً أصفر إلى أن أخرج الجميع على أحسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وآمنوا به عليه الصلاة والسلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى عليه الصلاة والسلام وأعدائه (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله (آمنا بالله) استئناف جار مجرى العلة لما قبله فإن الإيمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه (واشهد بأننا مسلمون) مخلصون في الإيمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه الصلاة والسلام الشهادة بذلك يوم القيامة يوم يشهد الرسل عليهم الصلاة والسلام لأمرهم وعليهم إيماناً بأن مرمى غرضهم السعادة الآخروية (ربنا آمنا بما أنزلت) تضرع إلى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في إظهار أمرهم (واتبعنا الرسول) أي في كل ما يأتي ويذر من أمور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا أولاً (فاكتبنا مع الشاهدين) أي مع الذين يشهدون بوحدة نيتك أو مع الأنبياء الذين يشهدون لاتباعهم أو مع أمة محمد عليه الصلاة والسلام فإنهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا (ومكروا) أي الذين علم عيسى عليه الصلاة والسلام كفرهم من اليهود بأن وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) بأن رفع عيسى عليه الصلاة والسلام وألقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يمكن إسناده إليه سبحانه إلا بطريق المشاكلة . روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ملك بنى إسرائيل لما قصد قتله عليه الصلاة والسلام أمره جبريل عليه الصلاة والسلام أن يدخل بيتاً فيه روزنة فرفعه جبريل من تلك الروزنة إلى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالتقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم أنه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقبل إنه عليه الصلاة والسلام جمع الحواريين ليلة وأوصاهم ثم قال ليس كفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبغى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فوافق أحدهم فقال لهم ماتجعلون لي إن دلتكم على المسيح فجعلوا

إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَرَأءُ مِنَ الدِّينِ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ آل عمران

له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فألقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام ورفعاه إلى السماء فأخذوا المناق وهو يقول أنا دليلكم فلم يلتفتوا إلى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وإن كان صاحبنا فأين عيسى فوق بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم ومعهما امرأة أبرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه الصلاة والسلام وجعلنا تبكيان على المصلوب فأنزل الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فجاءهما فقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال إن الله تعالى رفعني ولم يصبني إلا خير وإن هذا شيء شبه لهم قال محمد بن إسحق إن اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له إن رجلا من بني إسرائيل عن تحت أمرك كان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث إلى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه الصلاة والسلام فأخبروه فبايعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشب فأكرمها ثم غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقاً عظيماً ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له ططليوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام بنحو من أربعين سنة فقتل وسبي ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجراً على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز قال أهل التورايخ حملت مريم بعيسى عليه الصلاة والسلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة وولدت له بيت لحم من أرض أورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل وأوحى الله تعالى إليه على رأس ثلاثين سنة ورفعاه إليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت أمه بعد رفعه ست سنين (والله خير الماكرين) أقوام مكرراً وأنفذهم كيداً وأقدرهم على إيصال الضرر من حيث لا يحتسب وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لتربية المهابة والجملة تنذيل مقرر لمضمون ما قبله (إذ قال الله) ظرف لمكر الله أو لمضمر نحو وقع ذلك (يا عيسى ٥٥ إني متوفيك) أي مستوفى أجلك ومؤخرك إلى أجلك المسمى عاصماً لك من قتلهم أو قابضك من الأرض من توفيت مالى أو متوفيك نائماً إذ روى أنه رفع وهو نائم وقيل بميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن أو بميتك من الشهوات العائقة عن العروج إلى عالم الملكوت وقيل أماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه إلى السماء وإليه ذهب النصارى . قال القرطبي والصحيح أن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما وأصل القصة أن اليهود لما عزموا على قتله عليه الصلاة والسلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلاً في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر بهم إبليس جميع اليهود فركب

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ بِهِمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ آل عمران

- منهم أربعة آلاف رجل فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين أيكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم أنا يا بني الله فالتقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناولته عكازة وألقى عليه شبه عيسى عليه الصلاة والسلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى إني متوفيك فطار مع الملائكة ثم إن أصحابه حين رأوا ذلك تفرقوا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم البعقورية وقالت فرقة أخرى كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه الله إليه وهم النسطورية وقالت فرقة أخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء هم المسلمون فظهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوه فلم يزل الإسلام منطمساً إلى أن بعث الله تعالى محمداً ﷺ (ورافكك إلى) أي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي (ومطهرك من الذين كفروا) أي من سوء جوارهم وخبث محبتهم ودفن معاشرتهم (وجاعل الذين اتبعوك) قال قتادة والريبع والشعبى ومقاتل والكلبي هم أهل الإسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من أمة محمد ﷺ دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى (فوق الذين كفروا) وهم الذين مكروا به عليه الصلاة والسلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فإن أهل الإسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي أن تحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الإسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة وإلا فأولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه الصلاة والسلام (إلى يوم القيامة) غاية للجعل أو للاستقرار المقدر في الطرف لاعلى معنى أن الجعل أو الفوقية تنتهى حينئذ ويتخلص الكفرة من الدلة بل على معنى أن المسلمين يعلونهم إلى تلك الغاية فأما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد (ثم إلى مرجعكم) أي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لنا كيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فإنه أبلغ في التبشير والإنذار (فأحكم بينكم) يومئذ إثر رجوعكم إلى (فما كنتم فيه تختلفون) من أمور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً) تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان حال الكفرة لما أن مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى (في الدنيا والآخرة) متعلق بأعذبهم لا بمعنى إيقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة وإحداثهما يوم القيامة بل بمعنى إتمام مجموعهما يومئذ وقيل إن المرجع أعم من الديوى والآخروى وقوله تعالى إلى يوم القيامة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لاعتن الفوقية المحدودة على نهج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت شهراً ثم أخلع عليك خلعة فيلزم تأخر الخلع عن الإعارة لا عن الشهر (وما لهم من ناصرين) يخلصونهم من عذاب الله تعالى في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع أى

وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ آل عمران
 ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ آل عمران
 إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ آل عمران
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ آل عمران

- ليس لواحد منهم ناصر واحد . (وأما الذين آمنوا) بما أرسلت به (وعملوا الصالحات) كما هو ديدن ٥٧
- المؤمنين (فيوفهم أجورهم) أى يعطيهم إياها كاملة ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدرى ●
- التعذيب والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرىء فنوفهم جريا على سبيل العظمة
- والكبرياء (والله لا يحب الظالمين) أى يغيظهم فإن هذه الكناية قاشية في جميع اللغات جارية بحرى الحقيقة ●
- وإيراد الظلم للإشعار بأنهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر مكان الشكر والإيمان
- والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه (ذلك) إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى عليه الصلاة والسلام وما ٥٨
- فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الأمر
- ونباهة الشأن بمنزلة المشاهد المعاین وهو مبتدأ وقوله عز وجل (نتلوه) خبره وقوله تعالى (عليك) متعلق ●
- بنتلوه وقوله تعالى (من الآيات) حال من الضمير المنصوب أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وما بينهما ●
- حال من اسم الإشارة أو ذلك خبر لمبتدأ مضمرة أى الأمر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال
- إما لاستحضار الصورة أو على معناها إذ التلاوة لم تتم بعد (والذكر الحكيم) أى المشتغل على الحكم ●
- أو الحكم الممنوع من طرق الخلل إليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية أو بعض مخصوص منه فن بيانية
- وقيل هو اللوح المحفوظ فن ابتدائية (إن مثل عيسى) أى شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال ٥٩
- (عند الله) أى في تقديره وحكمه (كمثل آدم) أى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع ●
- فيها منازع (خلقه من تراب) تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح للتشثيل ببيان وجه ●
- الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بلا أب ممن اعترف
- بخلق آدم عليه الصلاة والسلام بغير أب وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبة من تراب (ثم قال له ●
- كن) أى أنشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
- كون ثم لتراخى الإخبار لا لتراخى الخبر به (فيكون) حكاية حال ماضيه روى أن وفد نجران قالوا
- لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله
- وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنساناً من غير أب فحيث سلمت أنه لا أب
- له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله فقال عليه الصلاة والسلام إن آدم عليه الصلاة والسلام
- ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه ابناً لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه الصلاة والسلام
- (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق أى ما قصصنا عليك من نبأ عيسى من عليه الصلاة والسلام ٦٠

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ
وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٣١﴾ ٧٣ عمران

وأمه والظرف إما حال أى كائناً من ربك أو خبر ثان أى كائن منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر أى الحق
المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطب لتشريفه عليه الصلاة
والسلام والإيدان بأن تنزيل هذه الآيات الحققة الناطقة بكنه الأمر تربية له عليه الصلاة والسلام ولطف
● به (فلا تكن من الممترين) فى ذلك والخطاب إما للنبي ﷺ على طريقة الإلهاب والتيسير لزيادة التثيت
والإشعار بأن الامتراء فى المحذورية بحيث ينبغى أن ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن
٦١ هو بصدد الامتراء وإما لكل من له صلاحية الخطاب (فمن حاجك) أى من النصارى إذ هم المتصدون
● للمحاجة (فيه) أى فى شأن عيسى عليه السلام وأمه زعماء منهم أنه ليس على الشأن المحكى (من بعدما جاءك
من العلم) أى ما يوجب إيجاباً قطعياً من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعوا أعمامهم عليه من الغي
● والضلال (فقل) لهم (تعالوا) أى هلموا بالراى والعزيمة (ندع أبناءنا وأبنائكم) اكتفى بهم عن ذكر البنات
● لظهور كونهم أعز منهن وأما النساء فتعلقن من جهة أخرى (ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى ليدع
كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس فى أثناء المباهلة
التي هى من باب المهالك ومظان التلف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للإيدان بكمال أمانه
عليه الصلاة والسلام وتتمام ثقته بأمره وقوة يقينه بأنه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه أصلاً وهو السرفى
تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين فى كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الأصل فى الصيغة فإن
● غير المتكلم تبع (ثم نبتهل) أى نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصلها الترك
● له فى الإسناد من قولهم بهلت الناقة أى تركتها بلا صرار (فنجعل لعنة الله على الكاذبين) عطف على نبتهل
مبين لمعناه روى أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعقاب وكان ذار أيهم يابعد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمد أنبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم اتهمكن فإن أبيتن إلا ألف دينكم
والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً
الحسين أخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها رضى الله عنهم أجمعين وهو يقول إذا نادعوت
فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوها لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلا من
مكانه لأزاله فلا تباهلوا قتلها ولا يبق على وجه الأرض نصراى إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم
رأيتنا أن لا نباهلك وأن نفرك على دينك وثبت على ديننا قال ﷺ فإذا أبيتن المباهلة فأسلوا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا قال عليه الصلاة والسلام فإني أنا جزكم فقالوا ما لنا نجرب العرب
طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تحيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن تودى إليك كل عام ألفى حلة

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ آل عمران
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ آل عمران

قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَانُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا
وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ آل عمران

ألفاً في صفر وألفاً في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسى بيده
إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لا غنوا لمسخوا قردة وخنزير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً
ولا ستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى
يهلكوا (إن هذا) أى ما قص من نبأ عيسى وأمه عليهما السلام (لهو القصص الحق) دون ما عدها ٦٢
من أكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه أقرب إلى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل
المبتدأ وقرىء هو بسكون الهاء والقصص خبر إن والحق صفة أو هو مبتدأ والقصص خبره والجمله
خبر لأن (وما من إله إلا الله) صرح فيه بمن الاستغرافية تأكيد للرد على النصارى في تثليثهم (وإن
الله هو العزيز) القادر على جميع المقدورات (الحكيم) المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه في القدرة
والحكمة ليشاركه في الألوهية (فإن تولوا) عن التوحيد وقبول الحق الذى قص عليك بعد ما عاينوا ٦٣
تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة (فإن الله عليم بالمفسدين) أى بهم وإنما وضع موضعه ما وضع
للإيذان بأن الإعراض عن التوحيد والحق الذى لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج لإفساد للعالم وفيه
من شدة الوعيد ما لا يخفى (قل يا أهل الكتاب) أمر بخطاب أهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران ٦٤
وقيل بخطاب يهود المدينة (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) لا يختلف فيها الرسل والكتب وهى (أن
لا نعبد إلا الله) أى نوحده بالعبادة ونخلص فيها (ولا نشرك به شيئاً) ولا نجعل غيره شريكاً له فى
استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) بأن نقول عزيز
ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الأخبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر
مثلنا روى أنه لما نزلت اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله فقال عليه السلام أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه
السلام هو ذاك (فإن تولوا) عما دعوتهم إليه من التوحيد وترك الإشراك (فقلوا) أى قل لهم أنت
والمؤمنون (اشهدوا بأننا مسلمون) أى لزمتمكم الحجة فاعترفوا بأننا مسلمون دونكم أو اعترفوا بأنكم
كافرون بما نطقتم به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام - تنبيه - انظر إلى ماروعى فى هذه
القصة من المبالغة فى الإرشاد وحسن التدرج فى الحاجة حيث بين أولاً أحوال عيسى عليه السلام
وما توارده عليه من الأطوار المنافية للإلهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام فلما ظهر
عنادهم دعوا إلى المبالغة بنوع من الإعجاز ثم لما عرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا إلى ما اتفق

يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَنْ حَاجَّوْنَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ آل عمران

هَآأَنَّمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ آل عمران

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ آل عمران
 إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ آل عمران
 وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ آل عمران

- عليه عيسى عليه السلام والإنجيل وسائر الأنبياء عليهم السلام والكتب ثم لما ظهر عدم إجدائه أيضاً
 ٦٥ أمر بأن يقال لهم أشهدوا بأننا مسلمون (يا أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (لم تحاجون في إبراهيم)
 أى فى ملته وشريعته . تنازعت اليهود والنصارى فى إبراهيم عليه السلام وزعم كل منهم أنه عليه السلام
 منهم وترافعوا إلى رسول الله ﷺ فنزلت والمعنى لم تدعون أنه عليه السلام كان منكم (وما أنزلت
 التوراة) على موسى عليه الصلاة والسلام (والإنجيل) على عيسى عليه الصلاة والسلام (إلا من بعده)
 حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام ألف سنة فكيف
 يمكن أن يتفوه به عاقل (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم أو أقولون
 ٦٦ ذلك فلا تعقلون بطلانه (هأنتم هؤلاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بيئت بجملة
 مستأنفة إشعاراً بكال غفلتهم أى أنتم هؤلاء الأشخاص الحق حيث (حاججتم فيما لكم به علم) فى
 الجملة حيث وجدتموه فى التوراة والإنجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) أصل إذ لا ذكر لدين
 إبراهيم فى أحد الكتابين قطعاً وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته وقيل هأنتم أصله أنتم على
 ٦٧ على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء (والله يعلم) ما حاججتم فيه أو كل شىء فيدخل فيه ذلك دخولا
 أولياً (وأنتم لا تعلمون) أى محل النزاع أو شيئاً من الأشياء التى من جملتها ذلك (ما كان إبراهيم يهودياً
 ولا نصرانياً) تصرّح بما نطق به البرهان المقرر (ولكن كان حنيفاً) أى مانعاً عن العقائد الزائفة
 كلها (مسلياً) أى متقاداً لله تعالى وليس المراد أنه كان على ملة الإسلام وإلا لاشتراك الإلزام (وما كان
 من المشركين) تعريض بأنهم مشركون بقولهم عزيز ابن الله والمسيح ابن الله وردلادعاء المشركين أنهم
 ٦٨ على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (إن أولى الناس بإبراهيم) أى أقربهم إليه وأخصهم به (الذين اتبعوه)
 أى فى زمانه (وهذا النبى والذين آمنوا) لموافقتهم له فى أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرىء والنبى
 بالنصب عطفاً على الضمير فى اتبعوه وبالجر عطفاً على إبراهيم (واقه ولى المؤمنين) ينصرون ويحازيهم
 ٦٩ الحسنى بإيمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم فى النبى ﷺ بدلالة النص (ودت طائفة من

يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ آل عمران
يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ آل عمران
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ آل عمران

وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّكُمْ
عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ آل عمران

- أهل الكتاب لو بضلونكم) نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهودية ولو بمعنى أن
- (وما يضلون إلا أنفسهم) جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من
- الدين القويم أي وما يتخطأهم الإضلال ولا يعود وباله إلا إليهم لما أنه يضاعف به عذابهم وقيل وما
- يضلون إلا أمثالهم ويأباه قوله تعالى (وما يشعرون) أي باختصاص وباله وضرره بهم (بأهل الكتاب ٧٠
- لم تكفروا بآيات الله) أي بما نطق به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد ﷺ (وأنتم تشهدون)
- أي والحال أنكم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم تشهدون نفعه في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات
- أنه حق (بأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) بتحريفكم وإبراز الباطل في صورته أو بالتقصير ٧١
- في التمييز بينهما وقرىء تلبسون بالشديد وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه
- السلام كلابس ثوبي زور (وتكتمون الحق) أي نبوة محمد ﷺ ونفعه (وأنتم تعلمون) أي حقيقته (وقالت ٧٢
- طائفة من أهل الكتاب) وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لأعقابهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) أي
- أظهروا الإيمان بالقرآن المنزل عليهم (وجه النهار) أي أوله (واكفروا) أي اظهروا ما أنتم عليه من
- الكفر به (آخره) مرآتين لهم لأنكم آمنتم به بادية الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل
- رأيكم الأول فرجعتم عنه (لعلهم) أي المؤمنون (يرجعون) عما هم عليه من الإيمان به كما رجعتكم والمراد
- بالطائفة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف قال لأصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من
- الصلاة إلى الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم أعلم منا وقد
- رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلاً من أخبار خبير تفاولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار
- ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً بالنعمة الذي ورد في التوراة لعل أصحابه
- يشكون فيه (ولا تؤمنوا) أي لا تقرروا بتصديق قلبي (إلا لمن تبع دينكم) أي لأهل دينكم ولا تظهروا ٧٣
- إيمانكم وجه النهار إلا لمن كان على دينكم من قبل فإن رجوعهم أرجى وأهم (قل إن الهدى هدى
- الله) يهدي به من يشاء إلى الإيمان ويثبت عليه (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتكم) متعلق بمحذوف أي

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ آل عمران

وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آل عمران

- دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو بلا تؤمنوا أى ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوم إلى الإسلام وقوله تعالى قل إن الهدى هدى الله اعتراض مفيد لسكون كيدهم غير مجد لطائل أو خبر إن على أن هدى الله بدل من الهدى وقرىء أن يؤتى على الاستفهام التقريعى وهو مؤيد للوجه الأول أى الآن يؤتى أحد الخ دبرتم وقرىء أن على أنها نافية فيكون من كلام الطائفة أى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على أن يؤتى على الوجهين الأولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حججتكم والواو ضمير أحد لأنه فى معنى الجمع إذ المراد به غير أتباعهم (قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء والله واسع عليم) رد لهم وإبطال لما زعموه بالحجة الباهرة (يختص برحمته) أى يجعل رحمته مقصورة على (من يشاء والله ذو الفضل العظيم) كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه (ومن أهل الكتاب) شروع فى بيان خيانتهم فى المال بعد بيان خيانتهم فى الدين والجار والمجرور فى محل الرفع على الابتداء حجباً من تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ خبره قوله تعالى (من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) على أن المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كأنه قيل بعض أهل الكتاب بحيث إن تأمنه بقنطار أى بمال كثير يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى ألفاً ومائتى أوقية ذهباً فأداه إليه (وممنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) كفضاحص بن عازوراء استودعه قرشى آخر ديناراً فجحدته وقيل المأمونون على الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون فى القليل اليهود إذ الغالب فيهم الخيانة (إلا مادمت عليه قائماً) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات أى لا يؤده إليك فى حال من الأحوال أو فى وقت من الأوقات إلا فى حال دوام قيامك أو فى وقت دوام قيامك على رأسه مبالغاً فى مطالبته بالتقاضى وإقامة البيئة (ذلك) إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد الإيدان بكال غلوم فى الشر والفساد (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا ليس علينا فى الأميين) أى فى شأن من ليس من أهل الكتاب (سبيل) أى عتاب ومؤاخذه (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ذلك (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التوراة فى حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجلاً من قریش فلما أسلدوا تفاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك فى كتابهم وعن النبي ﷺ أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ آل عمران
 إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
 اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ آل عمران
 وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَ السِّنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ
 هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ آل عمران

- ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر (بلى) لإثبات ما نفوه أي ٧٦
- بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى (من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) استئناف مقرر للجملة التي
- سد بلى مسددا والضمير المجرور لمن أو لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع من الجزاء إلى من
- ومشعر بأن النقوى ملاك الأمراء عام للوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المأثم (إن الذين ٧٧
- يشترتون) أي يستبدلون ويأخذون (بعهد الله) أي بدل ما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول ﷺ
- والوفاء بالأمانات (وأيمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنًا قليلاً) هو
- حطام الدنيا (أولئك) الموصوفون بتلك الصفات القبيحة (لا خلاق) لا نصيب (لهم في الآخرة)
- من نعمهم (ولا يكلمهم الله) أي بما يسرهم أو بشيء أصلاً وإنما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع
- في أثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام أولاً ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر أنه كناية
- عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى (ولا ينظر إليهم يوم القيامة) فإنه مجاز عن
- الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لأن من اعتد بالإحسان
- التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثمة نظر
- ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الإحسان مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر
- ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد (ولا يزكّيهم) أي لا يثنى عليهم أولاً يطهرهم من أوزار
- الأوزار (ولهم عذاب أليم) على ما فعلوه من المعاصي قيل إنها نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق
- وحبي بن أخطب حرقوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله ﷺ وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في
- في الأشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاخصما إلى رسول الله ﷺ فقال له شاهدك
- أو يمينه فقال الأشعث إذن يحلف ولا يبالي فقال ﷺ من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي
- الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به (وإن ٧٨
- منهم) أي من اليهود المحرفين (لفريقاً) ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما (يلوون
- ألسنتهم بالكتاب) أي يفتلون بها بقرائه فيميلونها عن المنزل إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب
- وقرىء يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على ما قبلها

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ عَلِيمِينَ إِمَّا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ آل عمران

- من الساكن (لتحسبوه) أى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى بلوون الخ وقرىء بالياء والضمير للمسلمين
- (من الكتاب) أى من جملة وقوله تعالى (وما هو من الكتاب) حال من الضمير المنصوب أى والحال
- أنه ليس منه فى نفس الأمر وفى اعتقادهم أيضاً (ويقولون) مع ما ذكر من اللى والتحريف على طريقة
- التصريح لا بالتورية والتعريض (هو) أى المحرف (من عند الله) أى منزل من عند الله (وما هو من عند الله) حال من ضمير المبتدأ فى الخبر أى والحال أنه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم أيضاً وفيه
- من المبالغة فى تشنيعهم وتقبيح أمرهم وكال جرأتهم ما لا يخفى وإظهار الاسم الجليل والكتاب فى محل الإضمار لتحويل ما أقدموا عليه من القول (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) أنهم كاذبون ومفترون
- على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدلوا فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذى عندهم (ما كان لبشر) بيان لاقتراثهم على الأنبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذة رباً حاشاه عليه السلام وإبطال له لئلا يبين اقتراثهم على الله سبحانه وإبطاله أى ما صح وما استقام لأحد وإنما قيل لبشر
- إشعاراً بعلّة الحكم فإن البشرية منافية للأمر الذى أسنده الكفرة إليهم (أن يؤتبه الله الكتاب) الباطق
- بالحق الأمر بالتوحيد الناهى عن الإشراك (والحكم) الفهم والعلم أو الحكمة وهى السنة والنبوة (ثم يقول) ذلك البشر بعدما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعته على شئونه
- العالية (للناس كونوا عباداً لى) الجار متعلق بمحذوف هو صفة عباداً أى عباداً كائنين (من دون الله) متعلق بلفظ عباداً لما فيه من معنى الفعل أو صفة ثابته له ويحتمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف
- أى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالاً أو اشتراكاً فإن التجاوز متحقق فيهما حتماً قيل إن أبا رافع القرظى والسيد النجرانى قالاً لرسول الله ﷺ أتريد أن نعبدك ونتخذك رباً فقال عليه السلام معاذ الله أن يعبد غير الله تعالى وأن تأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله تعالى ولكن أكرموا نبيكم واعبروا الحق لاهله (ولكن كونوا)
- أى ولكن يقول كونوا (ربانيين) الربانى منسوب إلى الرب بزيادة الالف والنون كالحياتى والرقباتى وهو الكامل فى العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله عز وجل ودينه (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أى بسبب مشاركتكم على تعليم الكتاب ودراسته أى قراءته فإن جعل خبر كان مضارعاً لإفادة الاستمرار التجددى وتكرير بما كنتم الإيذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ آل عمران
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا
مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا
وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ آل عمران

- القرأة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها أولاً لأن الخطاب الأول
لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرىء تعلمون بمعنى هالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الإدراس
بمعنى التدريس كأكرم بمعنى كرم ويجوز أن تكون القراءة المشهورة أيضاً بهذا المعنى على تقدير بما
تدرسونه على الناس (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) بالنصب عطفاً على ثم يقول ولا
مزبدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر أى ما كان لبشر أن يستنبته الله تعالى ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين بالمسارعة إلى تحقيق
الحق ببيان ما يليق بشأنه وبحق صدوره عنه إثر تزييه عما لا يليق بشأنه ويمتنع صدوره عنه وأما ما قبل
من أنها غير مزبدة على معنى أنه ليس له أن يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ أكفائه أرباباً بل ينهى عنه وهو
أدنى من العبادة فيقضى بفساده ما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة أنهما
حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى (أيامركم بالكفر) فإنه صريح في أن المراد بيان انتفاء كلا
الأمرين قصداً لا بيان انتفاء الأول لا انتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع على الاستئناف وتجوز الحالية
بتقدير المبتدأ أى وهو لا يأمركم إلى آخره بين الفساد لما عرفته آنفاً وقوله تعالى (بعد إذ أنتم مسلمون)
يدل على أن الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) ٨٠
منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ أى اذكروا وقت أخذه تعالى ميثاقهم (لما آتيتكم من كتاب وحكمة
ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) قيل هو على ظاهره وإذا كان هذا حكم الأنبياء
عليهم السلام كان الأمر بذلك أولى وأحرى وقيل معناه أخذ الميثاق من النبيين وأمرهم واستغنى بذكرهم
عن ذكرهم وقيل إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة إلى الفاعل والمعنى وإذا أخذ الله الميثاق الذى وثقه الأنبياء
على أمرهم وقيل المراد أولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو إسرائيل أو سماهم نبيين تهكأ بهم لأنهم
كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد ﷺ لأننا أهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطنة
للقسم لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط
وتحتمل الخبرية وقرىء لما بالكسر على أن ما مصدرية أى لأجل إيتائى إياكم بعض الكتاب ثم ليجىء
رسول مصدق أخذاً للميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه أو موصولة والمعنى أخذه الذى آتيتكموه وجاءكم
رسول مصدق له وقرىء لما بمعنى حين آتيتكم أول من أجل ما آتيتكم على أن أصله لمن ما بالإدغام مخفف
لأحدى الميئات الثلاث استقفاً (قال) أى الله تعالى بعد ما أخذ الميثاق (أأقرتم) بما ذكر (وأخذتم

فَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٣﴾ آل عمران

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ آل عمران

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا

أُوْنِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ آل عمران

على ذلكم إصرى) أى عهدى سعى به لأنه يؤصر أى يشد وقرىء بضم الهمزة إما لغة كعبر وأوجع

● إصار وهو ما يشد به (قالوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قالوا عند ذلك فقل قالوا (أقرنا)

● وإنما لم يذكر أخذهم الإصر اكتفاء بذلك (قال) تعالى (فاشهدوا) أى فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار

● وقيل الخطاب فيه للملائكة (وأنا معكم من الشاهدين) أى وأنا أيضاً على إقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد

٨٢ وإدخال مع على المخاطبين لما أنهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى (فن

● تولى) أى أعرض عما ذكر (بعد ذلك) الميثاق والتوكيد بالإقرار والشهادة فعنى البعد فى اسم الإشارة

● لتفخيم الميثاق (فأولئك) إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد فى تولى باعتبار اللفظ وما فيه

من معنى البعد للدلالة على ترمى أمرهم فى السوء وبعد منزلتهم فى الشر والفساد أى فأولئك المتولون

● المتصفون بالصفات القبيحة (هم الفاسقون) المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فإن الفاسق

٨٣ من كل طائفة من كان متجاوزاً عن الحد (أفغير دين الله يبعون) عطف على مقدر أى أيتولون فيبعون

غير دين الله وتقديم المفعول لأنه المقصود إنكاره أو على الجملة المنتدمة والهمزة متوسطة بينهما

● للإنكار وقرىء بتاء الخطاب على تقدير وفل لهم (وله أسلم من فى السموات والأرض) جملة حالية

● مفيدة لو كادة الإنكار (طوعاً وكرهاً) أى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكرهين بالسيف ومعاينة

ما يلجىء إلى الإسلام كنتق الجبل وإدراك الفرق والإشراف على الموت أو مختارين كالملائكة والمؤمنين

● والمؤمنين ومسخرين كالسكفرة فإنهم لا يقدرّون على الامتناع عما قضى عليهم (ولإيه يرجعون) أى

من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرىء بتاء الخطاب والجملة إما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية

٨٤ وإما مستأنفة سبقت للتهديد والوعيد (قل آمنا بالله) أمر للرسول ﷺ بأن يخبر عن نفسه ومن معه

● من المؤمنين بالإيمان بما ذكر وجمع الضمير فى قوله تعالى (وما أنزل علينا) وهو القرآن لما أنه منزل

عليهم أيضاً بتوسط تبليغه إليهم أو لأن المنسوب إلى واحد من الجماعة قد ينسب إلى الكل أو عن

نفسه فقط وهو الأنسب بما بعده والجمع لإظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بأمره بأن يتكلم

عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز أن يكون الأمر عاماً والأفراد لتشریفه عليه السلام والإيدان بأنه

● عليه السلام أصل فى ذلك كما فى قوله تعالى يا أيها النبى إذا طلقتم النساء (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل

وإسحق ويعقوب والأسباط) من الصحف والنزول كما يعدى إلى لانتهاه إلى الرسل يعدى بعلى لأنه من

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٨٥﴾
 كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾

٣ آل عمران

٣ آل عمران

فرق ومن رام الفرق بأن على لكون الخطاب للنبي ﷺ وإلى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف ألا يرى إلى قوله تعالى بما أنزل إليك الخ وقوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا الخ وإنما قدم المنزل على الرسول ﷺ على ما أنزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولاً لأنه المعرف له والعيار عليه والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وأبناءؤه الاثنا عشر وذرايرهم فإنهم حفدة إبراهيم عليه السلام (وما أوتي موسى وعيسى) من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الظاهرة بأيديهما كما ينفي عنه إثبات الإيتاء على الإنزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما أن الكلام مع اليهود والنصارى (والنبيون) عطف على موسى وعيسى عليهما السلام أى وما أوتي النبيون من المذكورين وغيرهم (من ربهم) من الكتب والمعجزات (لا نفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل تؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقيقة ما أنزل إليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس وإمام بدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره أى بين أحد منهم وغيره كما في قول النابغة | فإكان بين الخير إذ جاء سالماً * أبو حجر إلا ليال قلائل | أى بين الخير وبني (ونحن له مسلمون) أى منقادون أو مخلصون له تعالى أنفسنا لنجعل له شريكاً فيها وفيه تعريض بإيمان أهل الكتاب فإنه بمعزل من ذلك (ومن يبتغ غير الإسلام) أى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحاً والمدعين للتوحيد مع إشراكهم كأهل الكتابين (ديناً) ينتحل إليه وهو نصب على أنه مفعول لـيبتغ وغير الإسلام حال منه لما أنه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالاً أو هو المفعول وديناً تمييز لما فيه من الإبهام أو بدل من غير الإسلام (فلن يقبل) ذلك (منه) أبداً بل يرد أشد رد وأقبحه وقوله تعالى (وهو في الآخرة من الخاسرين) إما حال من الضمير المجرور أو استئناف لا محل له من الإعراب أى من الواقعيين في الخسران والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على أن حال من تدين بغير الإسلام واطمأن بذلك أفضع وأقبح واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل والجواب أنه ينفي قبول كل دين يغيره لاقبول كل ما يغيره (كيف يهدي الله) إلى الحق ٨٦

- أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ آل عمران ٢٣
- خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ آل عمران ٢٣
- إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ آل عمران ٢٣
- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ آل عمران ٢٣

- (قوما كفروا بعد إيمانهم) قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي ﷺ بعد أن كانوا مؤمنين به قبل مبعثه (وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات) استبعاد لأن يهديهم الله تعالى فإن الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وإنكار له وذلك يقتضي أن لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على إيمانهم باعتبار انحلاله إلى جملة فعلية كما في قوله تعالى إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله الخ فإنه في قوة أن يقال بعد أن آمنوا أحوال من ضمير كفروا بإضمار قد وهو دليل على أن الإقرار باللسان خارج عن حقيقة الإيمان (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي الذين ظلوا أنفسهم بالإخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الإيمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم أعرض عنه والجملة اعتراضية أو حالية (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً وهو مبتدأ وقوله تعالى (جزاؤهم) مبتدأ ثان وقوله تعالى (أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) خبره والجملة خبر لأولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم أنهم مطبوع على فلوهم ممنوعون عن الهدى آيسون من الرحمة رأساً بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون أو الكل فإن الكافر أيضاً يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه (خالدین فيها) في اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم تذكر لدلالة الكلام عليها
- (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أي يمهلون (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) أي من بعد الارتداد (وأصلحوا) أي ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح (فإن الله غفور رحيم) فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على رده فأرسل إلى قومه أن يسألوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الحلاس الآية فرجع إلى المدينة فتاب (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً) كاليهود كفروا بعبسى عليه السلام والإنجيل بعد الإيمان بموسى عليه السلام والتوراة ثم ازدادوا كفراً حيث كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن أو كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بالإصرار عليه والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفراً بقولهم تتربص به رب المنون أو نرجع إليه فتناقضه بإظهار الإيمان (لن تقبل توبتهم) لأنهم لا يتوبون إلا عند إشرافهم على الهلاك فكفى عن

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩١﴾

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

آل عمران ٣

- عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظاً في شأنهم وإبرازاً لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أولان توبتهم لا تكون إلا نفاقاً لا رتدادهم وازديادهم كفرأ ولذلك لم تدخل فيه الفاء (وأولئك هم الضالون) الثابتون
- على الضلال (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به) ٩١
- لما كان الموت على الكفر سبباً لا متنازع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للإشعار به وملء الشيء ما يملأ به وذهباً تمييز وقرىء بالرفع على أنه بدل من ملء أو خبر لمخدوف ولو افتدى محمول على المعنى كأنه قبل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً أو معطوف على مضمرة تقديره فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة أو المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا من الأرض جميعاً ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيراً لأن المثلين في حكم شيء واحد (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة
- (لهم عذاب أليم) مؤلم اسم الإشارة مبتدأ والظرف خبره ولا عتاده على المبتدأ ارتفع به عذاب أليم على
- الفاعلية (وما لهم من ناصرين) في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع
- لمراعاة الضمير أي ليس لواحد منهم ناصر واحد (ان تنالوا البر) من ناله نيلاً إذا أصابه والخطاب للذوقين ٩٢
- وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم لاثريان مالا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدرخوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الأبرار أو
- لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته (حتى تنفقوا) أي في سبيل الله عز وجل رغبة
- فيما عنده ومن في قوله تعالى (مما تحبون) تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض مما تحبون وقيل بيانية وما موصولة أو موصوفة أي مما تهوون ويعجبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم كافي قوله تعالى أنفقوا من طيبات ما كسبتم أو مما يعمها وغيرها من الأعمال والمهجة على أن المراد بالإفاق مطلق البذل وفيه من الإيذان بعزة منال البر مالا يخفى وكان السلف رضى الله عنهم إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله عز وجل وروى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال يا رسول الله إن أحب أموالى إلى يبرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال عليه السلام بخ ذلك مال رايح أو رايح وإنى أرى أن تجعلها في الأقربين فقصمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل على رسول الله ﷺ أسامة بن زيد فكان زيداً وجد في نفسه وقال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله ﷺ أما إن الله تعالى قد قبلها منك . قيل وفيه دلالة على أن إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب أفضل وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى أن يشتري له جارية من سبى جلولا يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت إليه أعجبته

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ
قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾

آل عمران ٣

- فقال إن الله تعالى يقول لن تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها . وروى أن عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغباً فيها وكان قد طلبها منها مراراً فلم تعطها إياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلها إليه فقالت قد وهبتكما يا أمير المؤمنين فلتخدمك قال من أين ملكتها قالت جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه إياها فقبل إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي أخذت من تركته ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعاً بإعطاء المال ثم توجه إلى الجارية وكان يهواها هوى شديداً فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا أمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة قال لست إذن بمن نهى النفس عن الهوى (وما تنفقوا من شيء) ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به
- على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط أى أى شيء تنفقوا كائن من الأشياء فإن المفرد فى مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز أى أى شيء تنفقوا طيباً تحبونه أو خبيثاً تكرهونه (فإنه الله به علیم) تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أى فبجازيكم بحسبه جيداً كان أو رديئاً فإنه تعالى علیم بكل شيء تنفقونه علماً كاملاً بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب فى إنفاق الجيد والنهي عن إنفاق الردى . ما لا يخفى (كل الطعام) أى كل أفراد المطعوم أو كل أنواعه (كان حلالاً لبني إسرائيل) أى حلالاً لهم فإن الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما فى قوله تعالى لا هن حل لهم (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) استثناء متصل من اسم كان أى كان كل المطعومات حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل أى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الإبل وألبانها قيل كان به وجع النساء فنذر لئن شفى لا يأكل أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوى بإشارة الأطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللبائع أن يقول كان ذلك بأذن من الله تعالى فيه فهو كتحريمه ابتداء (من قبل أن تنزل التوراة) متعلق بقوله تعالى كان حلالاً ولا ضير فى توسط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه أن تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فائدة أى كان ما عدا المستثنى حلالاً لهم قبل أن تنزل التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيتهم عقوبة لهم وتشديداً وهو رد على اليهود فى دعواهم البراءة عما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الأيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيتم لهم فى منع النسخ والطعن فى دعوى الرسول ﷺ موافقته لإبراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها (قل فأتوا بالتوراة

- فَمِنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ٢٣ آل عمران
- قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ٢٣ آل عمران
- إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ٢٣ آل عمران

فَاتْلُوهَا) أمر عليه السلام بأن يحاجهم بكتابهم الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظالمهم وبغيرهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي افترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم وبكافهم لإخراجه وتلاوته ليسكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاماً مع اليهود منقطعاً عما قبله وقوله تعالى (إن كنتم صادقين) أى فى دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أى إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم عما يدعواكم إلى ذلك البتة. روى أنهم لم يحسروا على إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي ﷺ وجواز النسخ الذى يحدونه مالا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (فمن افترى على الله الكذب) أى اختلقه عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة ٩٤ على نبي إسرائيل ومن تقدمهم من الأمم (من بعد ذلك) من بعد ما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبعات والإلزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الأفراد فى الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم فى الضلال والطغيان أى فأولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضافت عليهم حلبة المحاجة والجدال (هم الظالمون) المفرطون فى الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هى فى محل النصب داخلة تحت القول عطفاً على قوله تعالى فأتوا بالتوراة (قل صدق الله) أى ظهر ٩٥ وثبت صدقه تعالى فيما أنزل فى شأن التحريم وقيل فى قوله تعالى ما كان إبراهيم يهودياً الخ أو صدق فى كل شأن من الشئون وهو داخل فى ذلك دخولا أولياً وفيه تعريض بكذبهم الصريح (فاتبعوا ملة إبراهيم) أى ملة الإسلام التى هى فى الأصل ملة إبراهيم عليه السلام فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطركم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدينية الدنيوية والزمتمكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه (حنيفاً) أى مائلاً عن الأديان الزائفة كلها (وما كان من المشركين) أى فى أمر من أمور دينه أصلاً وفرعاً وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعاً والغرض بيان أن النبي ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام فى الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها (إن أول بيت وضع للناس) شروع فى بيان كفرهم ببعض آخر ٩٦

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

٢٣ آل عمران

من شعائر ملته عليه السلام لآثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلاله عليه السلام روى أنهم قالوا
بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمين بل الكعبة أعظم
فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنزلت أى إن أول بيت وضع للعبادة وجعل متعبداً لهم والواضع هو الله
تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى (الذى بيكة) خبر لأن وإنما أخبر بالمعرفة مع كون
اسمها نكرة لتخصصها بسببين الإضافة والوصف بالجملة بعدها أى للبيت الذى بيكة أى فيها وفى ترك
الموصوف من التفتيح ما لا يخفى وبكة لغة فى مكة فإن العرب تعاقب بين الباء والميم كما فى قولهم
ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط فى اسم موضع بالدهناء وقولهم أمر راتب وراتم وسيد رأسه
وسمدها وأغبطت الحمى وأغطت وهى علم للبلد الحرام من بكة إذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن
قتادة بيك الناس بعضهم بعضاً أولاً لأنها تبك أعناق الجبارة أى تدقم لم يقصدها جبار إلا قصمه الله
عن وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وأيد
هذا بأن التباك وهو الازدحام إنما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد
لقوله تعالى الذى بيكة مباركاً روى أنه عليه السلام سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام
ثم ييب المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا ما فيه من الأقاويل فى سورة البقرة وقيل أول بيت وضع بالشرف
لا بالزمان (مباركا) كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من
الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن فى الظرف لأن التقدير الذى بيكة هو العامل فيه
ما قدر فى الظرف من فعل الاستقرار (وهدى للعالمين) لأنه قبلتهم ومتعبد لهم ولأن فيه آيات عجيبة دالة
على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال (فيه آيات بينات) واضحات كأنحراف الطيور عن موازاة البيت
على مدى الأعصار ومخالطة ضواري السباع الصبوح فى الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار
قصده بسوء كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للمدى أو حال أخرى (مقام إبراهيم) أى أثر قدميه عليه السلام
السلام فى الصخرة التى كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند
غسل رأسه على ما روى أنه عليه السلام جاء زائرأ من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام
انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعت على شقه الإيمن فوضع قدمه عليه حتى
غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وهو إما مبتدأ
حذف خبره أى منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل أو عطف بيان إما وحده
باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالاته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم عليه

- الصلاة والسلام كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتاً أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فإن كل واحد من أثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها إلى الكعبيين وإلانة بعض الصخور دون بعض وإبقائه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الأعداء ألوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وإما بما يفهم من قوله عز وجل (ومن دخله كان آمناً) فإنه وإن كان جملة مستأنفة ابتدائية أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام إبراهيم ولا يخفى أن الاثنين نوع من الجمع فيكتفي بذلك أو يحمل على أنه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ماعداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله أمنه من التعرض له كما في قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمناً وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب مامسته حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل أمنه من النار وعن النبي ﷺ من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمناً وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما ويثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله ﷺ على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفاً وجوهم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً وجوهم كالقمر ليلة البدر وعن النبي ﷺ من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون على الناس هو الخبر والله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل إلى أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك بما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزة ابن مالك إذا كانت هي ظرفاً أو حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فإنهما يتقدمان على عاملها المعنوي واللام في البيت للعمود وحجه قصده الزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للبصر وقرئ بفتحها (من استطاع إليه سبيلاً) في محل الجر على أنه بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص لعمومه فالضمير العائد إلى المبدل منه محذوف أي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على أن المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة إلى الضمير وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمرة أي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير أعنى وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد إلى الناس أي من استطاع منهم إليه سبيلاً فله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في إليه راجع إلى البيت أو إلى حج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماماً بشأنه كما في قوله عز وجل فهل إلى خروج من سبيل وهل إلى مرد من سبيل لما فيه من معنى

قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِآيٰتِ اللّٰهِ وَآلِهٖ شَهِيدٌ عَلٰى مَا تَعْمَلُوْنَ ﴿١٧٧﴾ آل عمران

الإفضاء والإيصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال أو غيره فإنه قد روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضى الله عنهما أن رجلاً قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روى أنه عليه السلام فسرا لاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وعليه أكثر العلماء خلا أن الشافعى أخذ بظاهره فأوجب الاستنابة على الزمن القادر على أجرة من ينوب عنه والظاهر أن عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الأمر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع إلى البيت وإذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير أنه على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل إذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك أنه إذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع (ومن كفر) وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيذاً لوجوبه وتشديداً على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه عليه السلام قال في خطبته أيها الناس إن الله فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً ومن لم يفعل فليمت على أى حال شاء يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً (فإن الله غنى عن العالمين) وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخل فيها دخولاً أولاً

● اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بأمر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث أوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق أو برزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد أنه حق واجب لله سبحانه في ذم الناس لا انفكاك لهم عن أدائه والخروج عن عهده وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والإبهام ثم التبیین والإجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذى لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناء تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه قد ضرب عنه صفحاً إسقاطاً له عن درجة الاعتبار واستهجاناً بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب . هذا وقال ابن عباس والحسن وعطاء رضى الله عنهم ومن كفر أى جحد فرض الحج وزعم أنه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزات في اليهود فإنهم قالوا الحج إلى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله تعالى والله على الناس حج البيت جمع رسول الله ﷺ أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فأمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا تؤمن به ولا نصلى إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي ﷺ حججوا قبل أن لا تحجوا فإنه قد هدم البيت مرتين ويرفع إلى السماء في الثالثة وروى حججوا قبل أن يمنع البر جانباه وعن ابن مسعود حججوا هذا البيت قبل أن ينبت في البادية ثمرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضى الله عنه لو ترك الناس الحج عاماً واحداً ما نواظروا ~~القول~~ يا هل الكتاب) هم اليهود والنصارى

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَغُّوهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۚ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍۭ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾

آل عمران ٣

- ولإنما خوطبوا بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه من القرآن العظيم مبالغة في تقييح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل (لم تكفرون بآيات الله) توبيخ وإنكار لأن يكون لكفرهم بها سبب من الأسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما نل في شأن الحج وغيره وما في التوراة والإنجيل من شواهد نبوته عليه السلام وقوله تعالى (والله شهيد على ما تعملون) حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الإنكار وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لثبوت المماثلة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما إما عبارة عن كفرهم أو هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا أولياً والمعنى لا شيء سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال أنه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع أعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في أن ذلك يسد جميع أنحاء ما تاتونه ويقطع أسبابه بالكلية (قل يا أهل الكتاب) أمر بتوبيخهم بالإضلال لئلا يبيحهم ٩٩ بالاضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريرهم وتوبيخهم وترك عطفه على الأمر السابق للإيذان باستقلالهم كما أن قطع قوله تعالى (لم تصدون) عن قوله تعالى لم تكفرون الإشعار بأن كل واحد من كفرهم وصددهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان أهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فإن ذلك العنوان كما يستدعي الإيمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصددهم عنه في أقصى مراتب القباحة ولكون صددهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بآيات الدالة على نبوته عليه السلام وقرىء تصدون من أصدده (عن سبيل الله) أي دينه الحق الموصل إلى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الإسلام (من آمن) مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به . كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصددهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بمجدهم ويقولون إن صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل أنت اليهود الأوس والخزرج فدكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا إلى ما كانوا فيه (تبغونها) على إسقاط الجار وإيصال الفعل إلى الضمير كافي قوله [فتولى غلامهم ثم نادى * أظليما أصيدكم أم حمارا] بمعنى أصيدكم أي تطلبون لسبيل الله التي هي أقوم السبل (عوجا) اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه مبلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول ﷺ عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله (وأنتم شهداء) حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الأولى أو من فاعل تبغونها أي والحال أنكم شهداء تشهدون بأنها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وأن الصد عنها إضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما أي شهداء أن في التوراة أن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام أو وأنتم عدول فيما بينكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

٣ آل عمران

كُفْرِينَ ﴿٣٠﴾

● وعظائم الأمور (وما الله بغافل عما تعملون) اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدمه للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة عليه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما يعملون / ١٠٠ (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى المؤمنين تحذيراً لهم عن طاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء والإضلال ردعاً لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للبالغة في التحذير عن طاعتهم وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فإنه في قوة أن يقال لا تطيعوا فريقاً الخ كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للبالغة في الزجر أو للمحافظة على سبب النزول فإنه روى أن نفرأ من الأوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشئان فأمر شاباً يهودياً كان معه بأن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعث وكان ذلك يوماً عظيماً اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للأوس وينشدهم ما قيل فيه من الأشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى توثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي ﷺ وأصحابه فقال أئذعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله تعالى بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعملوا أنهم انزعجة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله ﷺ قال الإمام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الآية إلى قوله تعالى لعلمكم تهتدون لحجاء النبي ﷺ حتى قام بين الصفيين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله ﷺ أنصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً وجعلوا يبيكون وقوله تعالى كافرين [ما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله [رمى الحدثان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سموداً] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سوداً] أو حال من مفعوله والاول أدخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم إلى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحاله تحقق الرد إلى الكفر بدون سبق الإيمان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع إما الزيادة قبحه الصارف العاقل عن مباشرته أو للممانعة الإيمان له كأنه قيل بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى .

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

آل عمران ٢٣

يَتْلَاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۖ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾

آل عمران ٢٣

- (وكيف تكفرون) استفهام إنكارى بمعنى إنكار الوقوع كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين ١٠١ عهد الخ لا بمعنى إنكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الخ وفى توجيه الإنكار والاستبعاد إلى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس فى توجيهه إلى نفسه بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود لابد أن يكون وجوده على حال من الأحوال فإذا أنكر ونفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله تعالى (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين فى تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما فيها من الشئون الداعية إلى الثبات على الإيمان الوازنة عن الكفر وقوله تعالى (وفىكم رسوله) معطوف عليها داخل فى حكمها فإن تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وإزاحة الشبه من أقوى الزواجر عن الكفر وعدم إسناد التلاوة إلى رسول الله ﷺ للإيذان باستقلال كل منهما فى الباب (ومن يعتصم بالله) أى ومن يتمسك بدينه الحق الذى بينه بآياته على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله (فقد هدى) جواب للشرط وقد لإفادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلًا ومعنى التوقع فيه ظاهر فإن المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للندى (إلى صراط مستقيم) موصل إلى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغيون له عوجاً وهذا وإن كان هو دينه الحق فى الحقيقة والاهتداء إليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الأخير مما يتنافس فيه المتنافسون أبرز فى معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (بأيها الذين آمنوا) تكرر الخطاب بعنوان الإيمان ١٠٢
- تشریف إثر تشریف (اتقوا الله) الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة (حق تقاته) أى حق تقواه وما يجب منها وهو است فراغ الوسع فى القيام بالموجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله عنه هو أن يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روى مرفوعاً إليه عليه السلام وقيل هو أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازاة وقد مرت تحقيق الحق فى ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد وأصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما فى تهمة وتحممة وياؤها المفتوحة ألفاً (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أى مخلصون نفوسكم

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

آل عمران ٢٣

لله تعالى لا يجملون فيها شركة لما سواه أصلاً كما في قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى لا يمتحن على حال من الأحوال إلا حال تحقق إسلامكم وثباتكم عليه كما ينبيء عنه الجملة الاسمية ولو قيل إلا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل إلا بعد النقص وظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً عن الموت المقيد بقيد هو الكون على أى حال من غير حال الإسلام لكن المقصود هو النهى عن ذلك المقيد عند الموت المستلزم للأمر بضده الذى هو الكون على حال الإسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد لإيجاب الثبات على الإسلام إلى الموت وتوجيه النهى إلى الموت للبالغة فى النهى عن قيده المذكور فإن النهى عن المقيد فى أمثاله نهى عن القيد ورفع له من أصله بالكلية مفيد لما لا يفيد النهى عن نفس القيد فإن قولك لا تصل إلا وأنت خاشع يفيد من المبالغة فى إيجاب الخشوع فى الصلاة ما لا يفيد قولا لا تترك الخشوع فى الصلاة لما أن هذا نهى عن ترك الخشوع فقط وذلك نهى عنه وعماً يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة فى الصلاة وأن الصلاة بدونه حقها أن لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله) أى بدين الإسلام أو بكتابه لقوله عليه الصلاة والسلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم إما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجازى المفردات وإما استعارة للحبل لما ذكر من الدين أو الكتاب والاعتصام ترشيح لما أو مستعار للوثوق به والاعتماد عليه (جميعاً) حال من فاعل اعتصموا أى مجتمعين فى الاعتصام (ولا تفرقوا) أى لا تنفروا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو كما كنتم متفرقين فى الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً أو لا يتحدثوا ما يوجب التفريق ويزيل الألفة التى أنتم عليها (واذكروا نعمة الله) مصدر مضاف إلى الفاعل وقوله تعالى (عليكم) متعلق به أو بمحذوف وقع حالاً منه وقوله تعالى (إذ كنتم) ظرف له أو للاستقرار فى عليكم أى اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا إنعامه مستقراً عليكم وقت كونكم (أعداء) فى الجاهلية بينكم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الأوس والخزرج كانوا أخوين لأب وأم فوقت بين أولادها العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة (فألف بين قلوبكم) بتوفيقكم للإسلام (فأصبحتم) أى فصرتم (بنعمته) التى هى ذلك التأليف (إخواناً) خبر أصبحتم أى إخواناً متحابين مجتمعين على الأخوة فى الله متراحين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فأصبحتم فدخلتم فى الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا إخواناً أى فأصبحتم

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

آل عمران ٣

- ملتبسين حال كونكم إخواناً (وكنتم على شفا حفرة من النار) شفا الحفرة وشقتها حرقها أى كنتم مشرفين
- على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدركم الموت على تلك الحالة لوقعتهم فيها (فأنفذكم) بأن هداكم
- للإسلام (منها) الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا والتأنيث للمضاف إليه كما في قوله [كما شرقت صدر القناة من الدم] أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشقتها جانبا كالجانب والجانب وأصله شفو قلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكالتميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أى مثل ذلك النبيين الواضح (يبين الله لكم آياته) أى دلائله (لعلكم تهتدون) طلباً
- لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه / ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير (أمرهم الله سبحانه بتكميل ١٠٤ الغير وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الأوامر والنواهي تثبيتاً للكل على مراعاة ما فيها من الأحكام بأن يقوم بعضهم بمواجبتها وحفاظ على حقوقها وودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الإخلال بها والجمهور على إسكان لام الأمر وقرىء بكسرها على الأصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالأمر أو بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو أمة ويدعون صفتها أى لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير والأمة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس أى يقصدونها ويقتدون بها أو من الناقصة وأمة اسمها ويدعون خبرها أى لتكن منكم أمة داعية إلى الخير وأياً ما كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض سقطت عن الباقيين ولو أدخل بها الكل أثموا جميعاً لا بحيث يتحتم على الكل إقامتها على ما ينبغي عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنها من عظام الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التماذى والإصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والأمر من كان الناقصة والمعنى كونوا أمة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى (ويأمرسون بالمعروف وينهون عن المنكر) مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لإظهار فضلهم وإناقتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة إما للإيدان بظهوره أى يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

- وإما المقصد إلى إيجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطى ويمنع أى يفعلون الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وأولئك) إشارة إلى الأمة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكما تميزهم بذلك عن عدائهم وانتظامهم بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والإفراد في كاف الخطاب إما لأن الخطاب كل من يصلح للخطاب وإما لأن التعيين غير مقصود أى أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة (هم المفلحون) أى هم الاختصاص بكال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لا أولئك وتعريف المفلحون إما للعهد أو للإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين . روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن خير الناس فقال أمرهم بالمعروف وأنهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضى الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شأنا الفاسقين وغضب الله غضب الله له والأمر بالمعروف في الوجوب والتدب تابع للأمر به وأما النهي عن المنكر فواجب كله فإن جميع ما أنكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه إذ يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم إنما هو على نسيان أنفسهم لا على أمرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير ١٠٥ وإن لم تفعلوا (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) هم أهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا (واختلفوا) باستخراج التأويلات الزائفة وكنم الآيات الناطقة وتحريفها بما أدخلوا إليه من حطام الدنيا الدنيئة (من بعد ما جاءهم البينات) أى الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه إلى المتصدين الدعوة أصالة وإلى أعقابهم تبعاً ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الأمم السالفة المشار إليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه الأمة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالنهي عنه إنما هو الاختلاف في الأصول دون الفروع إلا أن يكون مخالفاً للنصوص البينة أو الإجماع لقوله عليه الصلاة والسلام / اختلاف أمتي رحمة قوله عليه السلام من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد (وأولئك)
- إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) خبره وقوله تعالى
 - (عذاب عظيم) مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المشبهين بهم ما لا يخفى

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾

آل عمران ٢٣

وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

آل عمران ٢٣

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

آل عمران ٢٣

- (يوم تبيض وجوه) أى وجوه كثيرة وقرىء تبيض (وتسود وجوه) كثيرة وقرىء تسود وعن عطاء ١٠٦
- تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير ويوم منصوب على أنه ظرف للاستقرار فى لهم أى لبثت العذاب العظيم لهم أو على أنه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيراً لهم عن عاقبة التفريق بعد مجيء البينات وترغيباً فى الاتفاق على التمسك بالدين أى اذكروا يوم تبيض الخ وياض الوجه وسواده كنياتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق بياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك (فأما الذين أسودت وجوههم) تفصيل لأحوال الفريقين بعد الإشارة إليها إجمالاً وتقديم بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الإجمال والتفصيل والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدى بذلك عند الإجمال (أ. كفرتكم بعد إيمانكم) على إرادة القول أى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر أنهم أهل الكتابين وكفرهم بعد إيمانهم كفرهم برسول الله ﷺ بعد إيمان أسلافهم أو إيمان أنفسهم به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام أو جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما أفروا بالتوحيد يوم الميثاق أو بعد ما تمسكوا من الإيمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل أهل البدع والآهواء والفناء فى قوله عز وعل (فذوقوا العذاب) أى العذاب المعهود والموصوف بالعظم الدلالة على أن الأمر بذوق العذاب على طريق الإهانة مترتب على كفرهم المذكور كما أن قوله تعالى (بما كنتم تكفرون) صريح فى أن نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم أو على مضيه فى الدنيا (وأما الذين أبيضت وجوههم فى رحمة الله) أعنى الجنة والنعيم الخلد عبر عنها بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فإنه لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى وقرىء أبيضت كما قرىء أسودت (هم فيها خالدون) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للدحفا على رءوس الآى (تلك) إشارة إلى الآيات المشتملة على تنعيم الأبرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للإيذان بعلو شأنها ١٠٨ وسمو مكانها فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى (آيات الله) خبره وقوله تعالى (تتلوها) جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة أو هى الخبر وآيات الله بدل من اسم الإشارة والالتفات إلى التكلم

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾
 كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ
 أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

٣ آل عمران

٣ آل عمران

بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لإبراز كمال العناية بالتلاوة وقرىء بتلوها
 على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى وقوله تعالى (عليك) متعلق بتلوها وقوله تعالى (بالحق) حال مؤكدة
 من فاعل نتلوها أو من مفعوله أى ملتبسين أو ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص
 ثواب المحسن أو بزيادة عقاب المسيء أو بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم
 بأعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى (وما الله يريد ظلماً للعالمين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله
 على أبلغ وجه وآكده فإن تنكير الظلم وتوجيه النفي إلى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم
 بأحاد الجمع المعروف والالتفات إلى الاسم الجليل لإشعار آبعة الحكم ببيان لكمال نزاهته عز وجل عن
 الظلم بما لا مزيد عليه أى ما يريد فرداً من أفراد الظلم لفرد من أفراد العالمين في وقت من الأوقات
 فضلاً عن أن يظلمهم فإن المضارع كما يفيد الاستمرار في الإثبات يفيد في النفي بحسب المقام كما أن الجملة
 الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على
 انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع إيماء إلى التعريض بأن الكفرة هم الظالمون ظلوا أنفسهم بتعريضها
 للعذاب الخالد كما في قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون (ولله ما في
 السموات وما في الأرض) أى له تعالى وحده من غير شركة أصلاً ما فيهما من المخلوقات القائمة للحصر
 ملكاً وخلقاً أحياء وإماتة وإثابة وتعذيباً وإيراد كلمة ما إما لتغليب غير العقلاء على العقلاء وإما لتزيلهم
 منزلة غيرهم إظهاراً لحقارتهم في مقام بيان عظمتهم تعالى (والى الله) أى إلى حكمه وقضائه لا إلى غيره
 شركة أو استقلالاً (ترجع الأمور) أى أمورهم فيجأزى كلا منهم بما وعد له وأوعده من غير دخل
 في ذلك لا حد قط فالجملة مقرر لمضمون ماورد في جزاء الفريقين وقيل هى معطوفة على ما قبلها مقرر
 ١١٠ لمضمونه فإن كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعى إرادة الخير بهم (كنتم خير أمة)
 كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير وكنتم من
 كان الناقصة التى تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق أو لاحق كما
 في قوله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى أو في اللوح أو فيما بين الأمم
 السالفة وقيل معناه أنتم خير أمة (أخرجت للناس) صفة لأمة واللام متعلقة بأخرجت أى أظهرت
 لهم وقيل بخير أمة أى كنتم خير الناس للناس فهو صريح في أن الخيرية بمعنى النفع للناس وإن فهم ذلك
 من الإخراج لهم أيضاً أى أخرجت لأجلهم ومصلحتهم قال أبو هريرة رضى الله عنه معناه كنتم خير
 الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام وقال قتادة هم أمة محمد ﷺ لم يؤمر نبي

لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتَلُوا كُرْهُ يُولَوْكُمْ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١١﴾

- قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الإسلام فهم خير أمة للناس (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) استئناف مبين لكونهم خير أمة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم أو خبر ثانٍ لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وإن كان خاصاً بمن شاهد الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد أمة محمد ﷺ وقال الزجاج أصل هذا الخطاب لأصحاب رسول الله ﷺ وهو يعمر سائر أمته وروى الترمذى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي ﷺ يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أنتم تتعون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى وظاهر أن المراد بكل أمة أو أمتهم وأو آخرهم لا أو أمتهم فقط فلا بد أن تكون أعقاب هذه الأمة أيضاً داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روى أن مالك بن الصيف ووهب ابن يهودا اليهوديين مرا بنفر من أصحاب النبي ﷺ فيهم ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضوان الله عليهم فقالا لهم نحن أفضل منكم وديننا خير مما تدعوننا إليه . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما كنتم خير أمة الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وروى عن الضحاك أنهم أصحاب رسول الله ﷺ خاصة الرواة والدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم (وتؤمنون بالله) أى إيماناً متعلقاً بكل ما يجب أن يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وإنما لم يصرح به تفصيلاً لظهور أنه الذى يؤمن به المؤمنون والإيمان بأنه هو الإيمان بالله تعالى حقيقة وأن ما خلا عن شيء من ذلك كإيمان أهل الكتاب ليس من الإيمان به تعالى فى شيء قال تعالى ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وإنما أخرج ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجوداً ورتبة لأن دلالتهما على خيريتهما للناس أظهر من دلالته عليهما وليقترن به قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم) أى لو آمنوا كإيمانكم لكان ذلك خيراً لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازادات رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الإيمان من إتياء الأجر مرتين وقيل بما هم فيه من الكفر فالخيرية إتمامها باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وإنما لم يتعرض للمؤمن به أصلاً للإشعار بظهور أنه الذى يطلق عليه اسم الإيمان لا يذهب الوهم إلى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا أو فيما قبل لربما فهم أن لأهل الكتاب أيضاً إيماناً فى الجملة لكن إيمان المؤمنين خير منه وهيئات ذلك (منهم المؤمنون) جملة مستأنفة سبقت جواباً عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لا انتفاء الإيمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن أو كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون للفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود (لن يضرركم إلا أذى) استثناء مفرغ من المصدر ١١١ العام أى لن يضرركم أبداً ضرراً ما إلا ضرر أذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا أثر له (وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار) أى ينهزمون من غير أن ينالوا منكم شيئاً من قتل أو أسر (ثم لا ينصرون) عطف

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا نُثْقِلُوا إِلَّا يَجْعَلِ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

آل عمران

لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ آل عمران

على الشرطية وشم للتراخي في الرتبة أى لا ينصرون من جهة أحد ولا يمنعون منكم قتلا وأخذاً وفيه تثبيت
لمن آمن منهم فإنهم كانوا يؤذونهم بالتلمى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بأنهم لا يقدر
على أن يتجاوزوا الاذى بالقول إلى ضرر يعا به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة
أمرهم الخذلان والذل وإنما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لأن المقصود هو الوعد بنفي النصر
مطلقاً ولو عطف عليه لكان مقيداً بمقاتلتهم كتولية الأدبار وكتم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذى
أخبركم عنه وأبشركم به أنهم يخذلون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقوون
على ساق ولا يستقيم لهم أمر وكان كذلك حيث اتى بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر مالم
١١٢ (ضربت عليهم الذلة) أى هدر النفس والمال والأهل أو ذل التمسك بالباطل (أينما ثقلوا) أى وجدوا
● (إلا يجعل من الله وحبل من الناس) استثناء من أعم الأحوال أى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على
من هى عليه فى جميع الأحوال إلا حال كونهم معتصمين بذمة الله أو كتابه الذى أتاها وذمة المسلمين أو
● بذمة الإسلام واتباع سبيل المؤمنين (وباءوا بغضب من الله) أى رجعوا مستوجبين له والتشكير للتفخيم
والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التشكير من الفخامة والهلل أى كائن
● من الله عز وجل (وضربت عليهم المسكنة) فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك فى غالب
● الحال مساكين تحت أيدى المسلمين والنصارى (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم
● والبوء بالغضب العظيم (بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) أى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر
● بآيات الله الناطقة بنبوته محمد ﷺ وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية (ويقتلون الأنبياء بغير حق)
أى فى اعتقادهم أيضاً وإسناد القتل إليهم مع أنه فعل أسلافهم لرضاهم به كما أن التحريف مع كونه من
● أفعال أجباهم ينسب إلى كل من يسير بسيرتهم (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الكفر والقتل (بما عصوا
وكانوا يعتدون) أى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فإن الإصرار
على الصغائر يفضى إلى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدى إلى الكفر وقبل معناه أن ضرب الذلة
والمسكنة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم
١١٣ واعتدائهم من حيث أنهم مخاطبون بالفروع من حيث المواخذة (ليسوا سواء) جملة مستأنفة سبقت
تمهيداً لعدد محاسن مؤمنى أهل الكتاب وتذكيراً لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير فى ليسوا لأهل
الكتاب جميعاً لا للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وإنما أفرد لأنه فى الأصل مصدر

- والمراد بنفي المساواة بنفي المشاركة في أصل الاتصاف بالقبايح المذكورة لأن في المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في أصل الاتصاف بها أى ليس جميع أهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبايح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة) ● استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزبل لما فيه من الإبهام كما أن ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وضع أهل الكتاب موضع الضمير العائد إليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والإيذان بأن تلك الأمة ممن أوتي نصيباً وافراً من الكتاب لا من أرذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من أمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين أسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأسيدي بن عبيد وأضرابهم وقيل هم أربعون رجلاً من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمداً عليهما الصلاة والسلام وكان من الأنصار فيهم عدة قبل قدوم النبي ﷺ منهم أسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وأبوقيس صرمة ابن أنس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية حتى بعث الله النبي ﷺ فصدقوه ونصروه وقوله تعالى (يتلون آيات الله) في محل الرفع على أنه صفة أخرى لأمة وقيل ● في محل النصب على أنه حال منهم التخصص بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار أو من ضميرها في قائمة أو من المستكن في الجار لوقوع خبره خبراً لأمة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى (آناه الليل) ● ظرف ليتلون أى في ساعاته جمع أنى بزنة عصا أو أنى بزنة معى أو أنى بزنة ظى أو أنى بزنة نحى أو أنو بزنة جرو (وهم يسجدون) أى يصلون إذ لا تلاوة في السجود قال ﷺ ألا إنى نهيت أن أقرأ أركعاً ● وساجداً وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر أركان الصلاة لكونه أدل على كمال الخضوع والتسليم بتلاوتهم آيات الله في الصلاة مع أنها مشتملة عليها قطعاً لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا آنفاً بالكفر بها وهو السرفى تقديم هذا النعت على نعت الإيمان والمراد بصلاتهم التمجيد إذ هو أدخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فإنها في المكتوبة وظيفه الإمام واعتبار حائهم عند الصلاة على الأفراد بأباه مقام المدح وهو الأنسب بالعدول عن إيرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلاة المكتوبة والتعبير عن وقتها بالآناه المهمة وقيل صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها لما روى أن رسول الله ﷺ أخرها ليلة ثم خرج فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما أنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتولون وقيل هى مستأنفة والمعنى أنهم يقومون تارة ويسجدون أخرى يبتغون الفضل والرحمة بأنواع ما يكون في الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى والله يسجد ما في السموات والأرض .

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

آل عمران ٢٣

وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

آل عمران ٢٣

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

- ١١٤ (يؤمنون بالله واليوم الآخر) صفة أخرى لأمة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة أخرى أى يؤمنون بها على الوجه الذى نطق به الشرع والإطلاق للإيدان بالغنى عن التقييد لظهور أنه الذى يطلق عليه الإيمان بهما لا يذهب الوهم إلى غيره وللتعريض بأن إيمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الإيمان بهما فى شيء أصلاً ولو قيد بما ذكر لربما توهم أن المنتقى عنهم هو القيد المذكور مع جواز إطلاق الإيمان على إيمانهم بالأصل وهيمات (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) صفتان أخريان لأمة أجريننا عليهم تحقيقاً لمخالفتهم اليهود فى الفضائل المتعلقة بتكميل الغير لاثربيان مباينتهم لهم فى الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضاً بمداهناتهم فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الأمر بإضلال الناس وصددهم عن سبيل الله
- فإنه أمر بالمنكر ونهى عن المعروف (ويسارعون فى الخيرات) صفة أخرى لأمة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير . والمسارة فى الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب فى الأمر سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى أى يبادرون مع كمال الرغبة فى فعل أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادتهم إلى الشرور وإيثار كلته فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الخ للإيدان بأنهم مستقرون فى أصل الخير متقبلون فى فئونه المترتبة
- فى دابات الفضل لا أنهم خارجون عنها منتهون إليها (وأولئك) إشارة إلى الأمة باعتبار اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجاتهم وسمو طبقتهم فى الفضل وإيثاره على الضمير للإشعار بعلو الحكم والمدح أى أولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها (من الصالحين) أى من جملة من صلحت أحوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه
- (وما يفعلوا من خير) كائناً ما كان مما ذكر أو لم يذكر (فلن يكفروهم) أى إن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر لإظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إلتايتهم بته ويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرىء الفعلان على صيغة الخطاب (والله عليم بالمتقين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن علمه تعالى بأحوالهم يستدعى توفية أجورهم لا محالة والمراد بالمتقين إما الأمة المعهودة بوضع موضع الضمير العائد إليهم مدحاً لهم وتعييناً لعنوان تعلق العلم بهم وإشعاراً بمناط إلتايتهم وهو التقوى المنظوى على الخصائص السالفة وأما جنس المتقين عموماً وهم مندرجون تحت حكمه اندارجاً أولياً .

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾

آل عمران ٢٣

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾

آل عمران ٢٣

- (إن الذين كفروا) أى بما يجب أن يؤمن به . قال ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فإن ١١٦ معاندتهم كانت لأجل المال وقيل هم مشركو قريش فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل أبو سفيان وأصحابه فإنه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فإنهم فآخروا بالأموال والأولاد حيث قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال (لن تغني عنهم) أى لن تدفع عنهم (أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيئا) أى شيئا يسيرا منه • أوشيناً من الإغناء (وأولئك أصحاب النار) أى مصاحبوها على الدوام وملازموها (هم فيها خالدون) • أبداً (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا) بيان لكيفية عدم إغناء أموالهم التي كانوا يقولون عليها ١١٧ في جلب المنافع ودفع المضار ويلقون بها أطعمهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها أى حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة (كمثل ريح فيها صر) أى برد شديد فإنه في الأصل مصدر وإن شاع لإطلاقه على الريح الباردة • كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (أصاب حرت قوم ظلوا أنفسهم) بالكفر والمعاصي فبأموالهم بغضب من الله وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظح (فأهلكته) عقوبة لهم ولم تدع منه أثرا ولا عثيراً والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلفة من غير أن يعود إليهم نفع ما حرت كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بلباء كلمة التشبيه الريح دون الحرت ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرت وقرئ تنفقون (وما ظلمهم الله) بما بين من ضياع ما أنفقوا من الأموال (ولكن أنفسهم يظلمون) لما أنهم أضاعوها بإففاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أى ما ظلمهم الله ولكن ظلوا أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز أن يكون المعنى وما ظلم الله تعالى أصحاب الحرت بإهلاكه ولكنهم ظلوا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه أنه قد مر التعرض له تصريحاً وإشعاراً وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة أى ولكن أنفسهم يظلمونها وأما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل إليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله [ولكن من يبصر جفونك يعشق]

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُومًا مَعَنَتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ آل عمران
هَآتَيْنُكُمْ أَوْلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا الْقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ آل عمران

- ١١٨ (يأتيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة) بطانة الرجل ووليجهته من يعرفه أسرارها ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهي صفة المنافق وأيا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة (من دونكم) أي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يألونكم خبالا) جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة بطانة يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدي إلى المفعولين في قولهم لا آلوكم نصحاً ولا آلوكم جهداً على تضمين معنى المنع والنقص والخيال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد (ودوا ما عنتم) أي تمنوا عنتم أي مشقتكم وشدة ضرركم وهو أيضاً استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهى عنه (قد بدت البغضاء من أفواههم) استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهى عنه أي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما أنهم لا يتمايلون مع مبغضهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من أسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي (وما تخفي صدورهم أكبر) بما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاته المؤمنين ومعاداة الكافرين (إن كنتم تعقلون) أي إن كنتم من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه (هاتم أولاء) جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه لإظهار الكمال ١١٩ العناية بمضمونها أي أنتم أولاء المخطئون في موالاتهم وقوله تعالى (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر لا أولاء والجملة خبر لأنتم كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبراً (وتؤمنون بالكتاب كله) أي بجنس الكتب جميعاً وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتبهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتبكم وفيه توبيخ بأسمهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم (وإذا لقوكم قالوا آمنا) نفاقاً (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أي من أجله تأسفوا وتحسروا حيث لم يجدوا إلى التشتي سبيلاً (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بدوام الغيظ

إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

آل عمران

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

آل عمران

- زيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلكهم (إن الله عليم بذات الصدور) فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحق وهو يحتمل أن يكون من المقول أى وقل لهم إن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظاً وأن يكون خارجاً عنه بمعنى لا تتعجب من إطلاعى إياك على أسرارهم فإنى عليم بذات الصدور وقيل هو أمر لرسول الله ﷺ بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك (إن تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) بيان لنتائج عداوتهم إلى حد حسد واما نالهم من خير ومنفعة وشتوا بما أصابهم من ضرر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان بأن مدار مساوئهم أدنى مراتب إصابة الحسنة ومناطق فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن المس مستعار لمعنى الإصابة (وإن تصبروا) أى على عزائمهم أو على مشاق التكاليف (وتتقوا) ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه (لا يضركم كيدهم) مكرم وحيلتهم التى دبروها لأجلكم وقرىء لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء فى القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد (شيئاً) نصب على المصدرية أى لا يضركم شيئاً من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد فى الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئاً على الخصم (إن الله بما يعملون) فى عدواتكم من الكيد (محيط) علماً فيعاقبهم على ذلك وقرىء بالتاء الفوقانية أى بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله (وإذ غدوت) كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة من مضرة كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي ﷺ خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام أى واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر ففعلوا أنهم إن لموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغلة فى إيجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه فى تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة الخ والمراد به خروجه عليه السلام إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضى الله عنها وهو المراد بقوله تعالى (من أهلك) أى من عند أهلك (تبوى المؤمنين) أى تنزلهم أو تهيم وتسوى لهم (مقاعد) ويؤيد قراءة من قرأ تبوى المؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على أنها حال مقدره أى ناوياً وقاصداً للتبوة كما قبل

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ آل عمران

- بل على أن المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لا ابتداء الخروج والنبوة وما يترتب عليها إذ هو المذكور للقصة وإنما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما استعبرفه إذ حينئذ وقعت النبوة التي هي العمدة في الباب إذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم لأمر النبي ﷺ ونزايهم عن أحيازهم المعينة لهم عند النبوة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأى من احتج به على جواز أداء صلاة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى (للقتال) إما متعلقة بتبويء أى لا جل القتال وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أى كائنة ومقاعد القتال أما كنه ومواقفه فإن استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعاً شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك روى أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصابنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يارسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلاب لا يرون أننا قد جئنا عنهم فقال رسول الله ﷺ إني قد رأيت في منامي بقراً مذبحه حولى فأواتها خيراً ورأيت في ذباب سيني ثلماً فأواته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدي في درع حصينة فأواتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الانصارى رضى الله عنه يارسول الله لا تحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق لا أدخلن الجنة ثم قال بقولى أشهد أن لا إله إلا وأنى لا أفر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لأمته فلما رآوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحى يأتيه وقالوا اصنع يارسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال لسنة ثلاث من الهجرة فشى على رجله فجعل يصف أصحابه للقتال فكأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرأ خارجاً قال تأخروا وكان نزوله في غدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا
- ولا تبرحوا من مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم (والله سميع) لا أقوالكم (عليم) بضمائركم والجملة اعتراض للإبذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم .
- ١٢٢ (إذ همت) بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير أو ظرف لسميع عليم على معنى أنه تعالى جامع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت إذ لا وجه انقييد كونه تعالى سميعاً عليها بذلك الوقت . قال الفراء معنى قولك ضربت وأكرمت زيداً أن زيداً منصوب بهما وأنهما تسلطاً عليه معاً
- (طائفتان منكم أن تفشلا) متعلق بهمت والباء محذوفة أى بأن تفشلا أى تجبنأ وتضعفا وهما حيان من

آل عمران

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ آل عمران

الأنصار بنو سلفة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله ﷺ وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدم رسول الله ﷺ الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف اتخذ عبد الله بن أبي بلثه الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو تعلم قتالا لا تبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله ﷺ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أضرما أن يرجعوا فزم الله لهم على الرشد فقتلوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس قلما تخلوا النفس عنه عند الشدائد (والله وليهما) أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما أو مهمما به مع كونهما في ولاية الله تعالى وقرىء والله وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (وعلى الله) وحده دون ما عداه مطلقاً استقلالاً أو اشتراكاً (فليتوكل المؤمنون) في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإظهار الاسم الجليل للتبرك والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا أولياً وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته (واقعد نصركم الله بدير) ١٢٣ جملة مستأنفة سبقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كعدة فسمى باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة (وأنتم أذلة) حال من مفعول نصركم وأذلة جمع ذليل وإنما جمع جمع قلة للإبذان باتصافهم حينئذ بوصف القلة والأذلة إذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يتعقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان البقداد ومرئد وتسعون بعيراً وست أدرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة (فاتقوا الله) اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعاً بالصبر فيما سبق وما لحق الإشعار بإصاليته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر لإبذان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ (لعلكم تشكرون) أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالصبر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإناعام (إذ تقول) تلوين للخطاب بتخصيصه رسول ١٢٤ الله ﷺ لتشریفه والإبذان بأن وقوع النصر كان يبشّرته عليه السلام وإذ ظرف لنصركم قدم عليه الأمر

بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

٣٢٢ عمران

مُسَوِّمِينَ ١٢٥

- بالتقوى لإظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوى ذكره تعويلاً على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
- أي نصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين أظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر الحنفي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم حكى ههنا (أن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف) الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر والإمداد في الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والإعانة يقال فيه أمدته يمدّه إمداداً وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمدّه مدّاً ومنه والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمده من العذاب مدّاً والإمداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار العناية بهم والإشعار بعلّة الإمداد والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للإشعار بأنهم كانوا حينئذ كالأيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم (من الملائكة) بيان أوصفة لآلاف أو لما أضيف إليه أي كائنين من الملائكة (منزلين) صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج قيل أمدّهم الله تعالى أولاً بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيّاً للماعل من الصيغتين أي منزلين النصر (بلى) إيجاب لما بعد لن وتحقيق له أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثاً لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال (إن تصبروا) على لقاء العدو ومناهضتهم (وتتقوا) معصية الله ومخالفة نبيه عليه الصلاة والسلام (ويأتوكم) أي المشركين (من فورهم هذا) أي من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت القدر أي اشتد غلبانها ثم استعير للسرعة ثم أطلق على كل حالة لا ريث فيها أصلاً ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة تعينه وتقريبه ونظم لإتيانهم بسرعة في سلك شرطى الإمداد المستتبين له وجوداً وعندما أعنى الصبر والتقوى مع تحقق الإمداد لا بحالة سواء أسرعوا أو أبطنوا التحقيق سرعة الإمداد لا لتحقيق أصله أو لبيان تحققه على أي حال فرض على أبلغ وجه وآكده بتعليقه بأبعد التقادير ليعلم تحققه على سائرهما بالطريق الأولى فإن هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المسدد عادة فعلق به تحقق الإمداد إيذاناً بأنه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى كما إذا أردت وصف درع بغاية الحصانة تقول إن أبستها وبارزت بها الأعداء فضربوك بأيد شداد وسيوف حداد لم تتأثر منها قطعاً (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء أي معلمين أنفسهم أو خيلهم فقد روى أنهم كانوا بعمائم بيض إلا جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروى

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

آل عمران ٢٣

أنهم كانوا على خيل باق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عماممبيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة عمامم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد أعلوا بالعمم في نواصي الخيل وأذناها روى أن النبي ﷺ قال لا أصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الإسامة (وما جعله ١٢٦ الله) كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وأن حقيقة النصر مختص به عز وجل ليشق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه وأماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن الإخبار بوقوع النصر على الإطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الإمداد بالملائكة مرة بعد أخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضى بوقوعه حينئذ قضاء قطعياً لكن لم يصرح به تعويلاً على تعاضد الدلائل وتأخذ الإمارات والمخايل وإيذاناً بكال الغنى عنه بل احترازاً عن شائبة التكرير أو عن إيهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فأمدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد إلى واحد هو الضمير العائد إلى مصدر ذلك الفعل المقدر وأما عوده إلى المصدر المذكور أعنى قوله تعالى أن يمدكم أو إلى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لأن الهيئته البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائبة لوجود الإمداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه أن يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في أن المصدر بن المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان أحكام وجودهما بل الأول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على أن الأول هو الإمداد بثلاثة آلاف والواقع هو الإمداد بخمسة آلاف وقوله تعالى (إلا بشرى لكم) استثناء مفرغ من أعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين ولإيذان بأنهم المحتاجون إلى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الأسباب الظاهرة وأن رسول الله ﷺ غنى عنه بماله من التأييد الروحاني أى وما جعل إمدادكم بإزال الملائكة عياناً لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) أى بالإمداد وتسكن إليه كما كانت السكينة لبني إسرائيل كذلك فكلها علة غائية للجعل وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدراً مسوقاً للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للإشارة أيضاً إلى أصالته في العلية وأهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الإمداد عليهما إشعار بأن الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وإنما كان إمدادهم بقوة قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو رأى بعض السلف رضي الله عنه وقيل الجعل متعد إلى

٢٣ عمران

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾

٢٣ عمران

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَنَهُمْ ظُلْمُونَ ﴿١٢٨﴾

- اثنين وقوله عز وجل لا بشرى لكم استثناء من أعم المفاعيل أى وما جعله الله تعالى شيئاً من الأشياء
 إلا بشارة لكم فاللام فى قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك
 ● (وما النصر) أى حقيقة النصر على الإطلاق فيندرج فى حكمه النصر المعمود إندرجا أولياً (إلا من
 عند الله) أى إلا كائن من عنده تعالى من غير أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعدد وإنما
 هى مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى أو وما النصر المعمود إلا من عنده تعالى لا من عند الملائكة
 ● فإنهم بمعزل من التأثير وإنما قصارى أمرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب (العزى) أى الذى
 لا يغالب فى حكمه وأفضيته وإجراء هذا الوصف عليه تعالى للإشعار بعلّة اختصاص النصر به تعالى
 ● كما أن وصفه بقوله (الحكيم) أى الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للإيدان
 ١٢٧ بعلّة جعل النصر بإزال الملائكة فإن ذلك من مقتضيات الحكم البالغة (ليقطع) متعلق بقوله تعالى ولقد
 نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصود على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان
 إنما هو الإمداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك فى تعليل أصل النصر بالقطع وما عطف عليه
 أو بما تعلق به الخبر فى قوله عز وعلا وما النصر إلا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعمود
 وقد أشير إلى أن المعلن بالبشارة والاطمئنان إنما هو الإمداد الصورى لا ما فى ضمنه من النصر المعنوى
 الذى هو ملاك الأمر وأما تعلقه بنفس النصر كما قيل فع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبى
 هو الخبر مغل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر بخصوص المعلن بعلة معينة على الحصول من
 جهته تعالى وليس المراد إلا قصر حقيقة النصر أو النصر المعمود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ أو
 ● وما النصر الظاهر عند إمداد الملائكة إلا ثابت من عند الله ليقطع أى يهلك وينقص (طرفاً من الذين كفروا)
 أى طائفة منهم بقتل وأسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون وأسر سبعون
 ● (أو يكبتهم) أى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فإن الكبت شدة غيظ أو وهن يقع فى القلب من كبتة بمعنى كبده
 إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الإصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء
 ● حينئذ غير مبدلة وأو للتنويع (فينقلبوا خائبين) أى فينهزموا منقطعى الأمال غير فائزين من مبتغاهم
 ١٢٨ بشىء كما فى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً (ليس لك من الأمر شيء) اعتراض
 وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق أن لا تأثير للمصورين لآثر
 بيان أن لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله ﷺ على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء
 من غيره بالطريق الأول وإنما خص الاعتراض بموقعه لأن ما قبله من القطع والكبت من مظان أن يكون
 ● فيه لرسول الله ﷺ ولسائر مبشرى القتال مدخل فى الجملة (أو يتوب عليهم أو يعذبهم) عطف على يكبتهم

والمعنى أن مالك أمرهم على الإطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصرّوا وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد ما مور يا نذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الآخرى المخصوص بأشد الكفرة كفراً وإلا فطلق التعذيب الآخرى متحقق في الفريقين الأولين أيضاً ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائبة للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث إن قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقيقة الإسلام بسبب غلبة أهله المترتبة على النصر وأن تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على إصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل إن عتبة بن أبي وقاص شجّر رسول الله ﷺ يوم أحد وكسر ربا عيته فجعل ﷺ يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت ليس لك من الأمر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على إنكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بأن منهم من يؤمن فقله تعالى أو يتوب عليهم حينئذ معطوف على الأمر أو على شيء يا ضمير أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم شيء أو ليس لك من أمرهم شيء أو التوبة عليهم أو تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الأنباري أن أو بمعنى إلا أن والمعنى ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح به أو يعذبهم فتتشق منهم وأياً ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الأمور المتعلقة بغزوة أحد إثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لأن كلا منهما مبني على اختصاص الأمر كله بالله تعالى ومنه عن سلبه عن سواه وأما تعلق كل القصة بغزوة أحد على أن قوله تعالى إذ تقول بدل ثان من إذ غدوت وأن ما حكى عن رسول الله ﷺ قد وقع يوم أحد وأن الإمداد الموعود كان مشروطاً بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم أما أولاً فلأن المشروط بالصبر والتقوى إنما هو الإمداد بخمسة آلاف لا بثلاثة آلاف مع أنه لم يقع الإمداد يومئذ ولا بملك واحد وأما ثانياً فلأنه كان ينبغي حينئذ أن ينعى عليهم جناباتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسباق عليه بل مع دلائلهم على خلافه مما لا يكاد يسمع وأما ثالثاً فلأنه لا سبيل إلى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله إلح عائداً إلى الإمداد الموعود لأنه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائبة ولا إلى الوعد به على معنى أنه تعالى إنما جعل ذلك الوعد لبشارتك وأطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع إنجاز الموعود لما أن قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم صريح في أنه قد وقع الإمداد الموعود لكن أثره إنما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصل وأما النصر الحقيقي فليس ذلك إلا من عنده تعالى وجعله استثناء مقرر لعدم وقوع الإمداد على معنى أن النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف أمره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن أمثاله على أن قوله تعالى ليقطع طرفاً الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة أن تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله بيد الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقاً بوقعة أحد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعاً لأن تفصيل الأحكام المترتبة على وجود شيء

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ آل عمران

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم مَّذْنَبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ آل عمران

وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ آل عمران

- بصدد بيان انتفائه عما لم يعمد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه أن قوله تعالى
- إذ تقول ظرف لنصركم وأن ما حكى في أثناؤه إلى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعاً وما بعده محتمل
- للوجهين المذكورين وقوله تعالى (فإنهم ظالمون) تعليل على كل حال لقوله تعالى أو يعذبهم مبين لكون
- ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم (ولله ما في السموات وما في الأرض) كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص
- ملكوت كل الكائنات به عز وجل إثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريراً لما سبق وتكملة
- له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء أيضاً تغليباً أي له ما فيهما من الموجودات خلقاً وملكاً
- لا مدخل فيه لأحد أصلاً فله الأمر كله (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح
- (ويعذب من يشاء) أن يعذبه بعمله مشيئة كذلك وإيثار كلمة من في الموضوعين لاختصاص المغفرة والتعذيب
- بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للإيذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبأنها من مقتضيات الذات دونه
- فإنه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقيد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
- (والله غفور رحيم) تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون
- قرينة من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) كلام مبتدأ مشتمل
- على ما هو ملاك الأمر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الأمور المذكورة
- على نهج الترغيب والترهيب جرى به في تضاعيف القصة مسارعة إلى إرشاد الخاطبين إلى ما فيه وإيذاناً بكمال
- وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فإن الأمور المذكورة فيه مع كونها مقاطاً للفوز في الدارين
- على الإطلاق عمدة في أمر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى
- وطاعة الرسول ﷺ لما لقوا ما لقوا ولعل إيراد النهي عن الربا في أثناؤها لما أن الترغيب في الإنفاق في
- السراء والضراء الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة
- الناس إلى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك والمراد بأكله أخذه وإنما عبر عنه بالأكل لما
- أنه معظم ما يقصد بالأخذ واشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل (أضعافاً
- مضاعفة) ليس لتقيد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخاً لهم بذلك إذ كان الرجل يربي
- إلى أجل فإذا حل قال للمدين زدني في المال حتى أزيدك في الأجل فيفعل وهكذا عند محل كل أجل
- فيستغرق بالشئ الطفيف ماله بالسكينة ومحله النصب على الحالية من الربا وقرئ مضعفة (واتقوا الله)
- ١٣١ فيما نهيتهم عنه من الأمور التي من جملتها الربا (لعلكم تفلحون) راجع للفلاح (واتقوا النار التي أعدت

آل عمران ٣

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ آل عمران

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

آل عمران ٣

الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

- للكافرين) بالتمحيز عن متابعتهم وتعاطى ما يتعاطونه كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه (وأطيعوا الله) ١٣٢ في كل ما أمركم به ونهاكم عنه (والرسول) الذي يبلغكم أوامره ونواهيه (لعلكم ترحمون) راجين لرحمته . ● عقب الوعيد بالوعد ترهيباً عن المخالفة وترغيباً في الطاعة وإيراد لعل في الموضوعين للإشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن إسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم يوم أحد (وسارعوا) عطف على أطيعوا وقرى بغير واو على وجه الاستئناف أى بادروا وأقبلوا ١٣٣ وقرى سابقوا (إلى مغفرة من ربكم وجنة) أى إلى ما يؤدى إليهما وقيل إلى الإسلام وقيل إلى التوبة ● وقيل إلى الإخلاص وقيل إلى الجهاد وقيل إلى أداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما مر من الأمور المأمور بها والمنهى عنها دخولاً أولاً وتقديم المغفرة على الجنة لما أن التخلية متقدمة على التولية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة أى كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى (عرضها السموات والأرض) أى كعرضهما ● صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للبالغ في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فإن العرض في العادة أدنى من الطول وعن ابن عباس رضى الله عنهما كسيع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض (أعدت للمتقين) في حيز الجر على أنه صفة أخرى لجنة أو في محل النصب على الحالية منها لتخصيصها ● بالصفة أى هيئت لهم وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن وأنها خارجة عن هذا العالم (الذين ينفقون) ١٣٤ في محل الجر على أنه نعت للمتقين مادح لهم أو بدل منه أو بيان أو في حيز النصب أو الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للإنفاق أو متروك بالكلية كما في قولك يعطى ويمنع (في السراء والضراء) في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر أو في الأحوال كلها إذا الإنسان لا يخلو عن مسرة أو مضرة أى لا يخلو في حال ما يوافق ما قدره عليه من قليل أو كثير (والكاظمين الغيظ) عطف على الموصول والعدول إلى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار وأما الإنفاق فحيث كان أمراً متجدداً عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكاظم الحبس يقال كظم غيظه أى حبسه قال المبرد تأويله أنه كتمه على امتلأته منه يقال كظمت السقاء إذا ملأته وشددت عليه أى المسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه وعن النبي ﷺ من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً (والعافين عن الناس) ●

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَوْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

آل عمران

- أى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته . روى أنه ينادى مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله تعالى فلا يقوم إلا من عفا وعن النبي ﷺ إن هؤلاء فى أمتى قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثير آ فى الأمم التى مضت وفى هذين الوصفين إشعار بكمال حسن موقع عفوهِ عليه الصلاة والسلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة أمره عليه السلام وندب له عليه السلام إلى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضى الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لا مثلاً بسبعين مكانك (والله يحب المحسنين) اللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً وإما للعهد عبرتهم بالمحسنين إيذاناً بأن النعوت المعدودة من باب الإحسان الذى هو الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسرهُ عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها (والذين) مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله ١٣٥ من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير إلى ما بينهما من التفاوت فإن درجة الأولين من التقوى أعلى من درجة هؤلاء وحظهم أوفى من حظهم أوعلى نفس المتقين فيكون التفاوت أكثر وأظهر (إذا فعلوا فاحشة) أى فعلة بالغة فى القبح كالزنا (أو ظلموا أنفسهم) بأن أتوا ذنباً أى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة ما يتعدى إلى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله تعالى منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره افعل كذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل إن نهران التمارأته امرأة حسناء تطلب منه تمرأ فقال لها هذا التمر ليس بمجد وفي البيت أجود منه فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك وأتى النبي ﷺ وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين أنصارى وامرأة رجل ثقفى كان بينهما مؤاخاة فندم الأنصارى وحنأ على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسبح فى الجبال تائباً مستغفراً ثم أتى النبي ﷺ فنزلت وأياً ما كان فإطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الزناة انتظاماً أولياً (ذكروا الله) تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء أو وعيده أو حكمه وعقابه (فاستغفروا لذنوبهم) بالتوبة والندم والفاء للدلالة على أن ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة (ومن يغفر الذنوب) استفهام إنكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يحل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى (إلا الله) بدل من الضمير المستكن فى يغفر أى لا يغفر جنس الذنوب أحد إلا الله خلا أن دلالة الاستفهام على الانتفاء أقوى وأبلغ لإيذانه بأن كل أحد ممن له حظ من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع إلى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين أو

أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

آل عمران ٢٣

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾

آل عمران ٢٣

- بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والإشعار بالوعد بالقبول (ولم يصروا) عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الإصرار على الاستغفار رتبة لإظهار الاعتناء بشأن الاستغفار واستحقاقه للمسارعة إليه عقيب ذكره تعالى أو حال من فاعله أى ولم يقيموا أو غير مقيمين (على ما فعلوا) أى ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت أو ظالماً أو على فعلهم . روى عن النبي ﷺ أنه قال ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وأنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار (وهم يعلمون) حال من فاعل يصروا أى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبوحه والنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما أنه قد يعذر من لا يعلم ذلك إذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به (أو لئلك) إشارة إلى المذكورين ١٣٦ آخرأ باعتبار اتصافهم بآمر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلاتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (جزاؤهم) بدل اشتمال منه وقوله تعالى (مغفرة) خبر له أو جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبر له والجملة خبر لأولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين إذا فعلوا الخ على الوجه الأول وهو الأظهر الأنسب بنظم المغفرة المنبثقة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء إذ على الوجهين الآخرين يكون قوله تعالى أولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من أوصاف الأولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الإشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم لإعداد الجنة لهما تعسف ظاهر (من ربههم) متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة من جمته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار بعله الحكم والتشريف (وجنات تجري من تحتها الأنهار) عطف على مغفرة والتذكير المشعر بكونها أدنى من الجنة السابقة بما يؤيد رجحان الوجه الأول (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لأنه مفعول به في المعنى لأنه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لأن يكون حالا من جنات في اللفظ وهى لأصحابها في المعنى إذ لو كان كذلك لبرز الضمير (ونعم أجر العاملين) المخصوص بالمدح محذوف أى ونعم أجر العاملين ذلك أى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالأجر المشعر بأنهما يستحقان بمقابلة العمل وإن كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذليل السابق بالأوليين وناهيك مضمونهما دليلاً على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الخائزين لأجرتهم وعمالتهم (قد خلت من قبلكم سُنَنٌ) رجوع إلى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادئ الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح

٢٣ آل عمران

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

٢٣ آل عمران

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

والخلو المضي والسنن الوقائع وقيل الائم والظرف إما متعلق بخلت أو بمحذوف وقع حالا من سنن أي قد مضت من قبل زمانكم أو كانت من قبلكم وقائع سننها الله تعالى في الائم المكذبة بما في قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا إلخ والفاء في قوله تعالى (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر أو للأمر بهما وقيل المعنى على الشرط أي إن شككتم فسيروا إلخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لأن الأصل استعماله بالجار (هذا) إشارة إلى ما سلف من قوله تعالى قد خلت إلى آخره (بيان للناس) أي تبين لهم على أن اللام متعلقة بالمصدر أو كائن لهم على أنها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للهدى وهم المكذبون أي هذا إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فإن الأمر بالسير والنظر وإن كان خاصاً بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين أيضاً على أن ينظروا في عواقب من قبلهم من أهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وإن لم يكن الكلام مسوقاً لهم (وهدى وموعظة) أي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وإنما قيل (للمتقين) الإيذان بعله الحكم فإن مدار كونه هدى وموعظة لهم إنما هو تقواهم ويجوز أن يراد بالمتقين الصائرين إلى التقوى . والهدى والموعظة على ظاهرهما أي هذا بيان لما لأمر الناس وسوء مغيبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وأن يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة أيضاً ما يعم ابتداءهما وزيادة فيهما وإنما قدم كونه بياناً للمكذبين مع أنه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع أنه المقصود بالسياق لأن أول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك أسلافهم ظهور حال أخلافهم وأما زيادة الهدى أو أصله فأمر مترتب عليه وتخصيص البيان للناس مع شموله للمتقين أيضاً لما أن المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما أنهما المقصد الأصلي ويجوز أن يكون تعريف الناس للجنس أي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا إشارة إلى ما لخص من أمر المتقين والتائبين والمصريين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الإيمان وما يستحق به ما ذكر من أجر العاملين وأنت خير بأن الاعتراض لا بد أن يكون مقرر المضمون ما وقع في خلاله ومعينة آثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال أحد الأصناف الثلاثة للمؤمنين وإن كان باعتماداً على الإيمان زاجراً عن التكذيب وقيل إشارة إلى القرآن ولا يخفى بعده (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تشجيع المؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والفرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله ﷺ وعبد الله بن جحش ابن عمه النبي ﷺ وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة

إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

آل عمران ٣

- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومن الأنصار سبعون رجلا رضى الله عنهم أى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم (وأنتم الأعلون) جملة حالية من فاعل الفعلين أى والحال أنكم الأعلون الغالبون دون عدوكم فإن مصير أمرهم إلى الدمار حسبا شاهدتهم من أحوال أسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الإشعار به فيما سبق أو وأنتم المعهودون بغاية علو الشأن لما أنكم على الحق وقتالكم الله عز وجل وقتلاككم فى الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلهم فى النار وقيل وأنتم الأعلون حالا منهم حيث أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم اليوم (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالنهى أو بالأعلون وجوابه محذوف لدلالة ما يتعلق به عليه أى إن كنتم مؤمنين فلا تنهوا ولا تحزنوا فإن الإيمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلون فإن الإيمان يقتضى العلو لا محالة أو إن كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فأنتم الأعلون وأيا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما فى قول الأجير إن كنت عملت لك فأعطى أجرى ولذلك قيل معناه إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) ١٤٠
- القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرىء بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرىء بفتحين وقيل القرحة والقرح كالطرد والطرده والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتهم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسلمين كان يوم أحد فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوأثمهم وجرحوا عددا كثيرا وعقر واعامة خيلهم بالنبل (وتلك الأيام) إشارة إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد بل هى داخلة فيها دخولا أوليا والمراد بها أوقات الظفر والغلبة (نداولها بين الناس) نصرهما بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال [فيوما علينا ويوما لنا] ويوما نساء ويوما نسر | والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه أى عاورته فتعاوره واسم الإشارة مبتدأ والأيام إما صفة له أو بدل منه أو عطف بيان له فتداولها خبره أو خبر فتداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للإيدان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقها وفيه ضرب من النسبية وقوله عز وجل (وليعلم الله الذين آمنوا) إما من باب التثنية أى ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم الخالصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب أى ليميز الثابتين على الإيمان من غيرهم كما فى قوله تعالى ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز
- ١٢٠ - أبو السعود ج ٢٤

الحديث من الطيب أو هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه وجود بالفعل لإذهو الذى يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث إنه موجود بالقوة وإطلاق الإيمان مع أن المراد هو الرسوخ والإخلاص فيه للإيدان بأن اسم الإيمان لا ينطلق على غيره والالتفات إلى الغيبة بإسناده إلى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد ما ذكر بصدد التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المداولة التى نطق بها قوله تعالى نداؤها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريق المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محدوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مبادئها كأنه قيل نداؤها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها من القوة إلى الفعل من مبادئ تمييزهم عن غيرهم وهو واجب تعلق العلم الأزلى بهما من تلك الحيثية وكذا الحال فى باب التمثيل فتأمل وإما على العموم والإيهام للتنبيه على أن العمل غير منحصرة فيما عدد من الأمور وأن العبد يسوءه ما يجرى عليه من النوائب ولا يشعر بأن الله تعالى جعل له فى ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداؤها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعله هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر أفرادها الجارية فيما بين بقية الأمم تعييناً أو إيهاماً لعدم تعلق الغرض العلمى ببيانها ولك أن تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر أفرادها للإشارة إجمالاً إلى أن كل فرد من أفرادها له علة داعية إليه كأنه قيل نداؤها بين الناس كافة ليسكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وليعلم الخ فاللام الأولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقييده بتلك الأفراد والثانية باعتبار تقييده بالفرد المعهود وقيل هى متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك (ويتخذ منكم شهداء) جمع شهيد أى ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم شهداء أحد فن ابتدائية أو تبعيضية متعلقة يتخذ أو بمحذوف وقع حالا من شهداء أو جمع شاهد أى ويتخذ منكم شهداء معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة فن بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهادين فقط وأياً ما كان فى لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتقدير شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى (والله لا يحب الظالمين) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفى الحجة كناية عن البغض ونفى إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابلتهم والمراد بهم إما غير الثابتين على الإيمان فالتقرير من حيث أن بغضه تعالى لهم من دواعى إخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم وإما الكفرة الذين أدبل لهم فالتقرير من حيث إن ذلك ليس بطريق النصرة لهم فإنها مختصة بأوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة إلى المؤمنين وقوله تعالى (وليحص الله الذين آمنوا) أى ليصفهم ويظهرهم من

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ آل عمران

- الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الأمور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لأنها المحتاجة إلى البيان ولعل تأخير العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين أو ليقترن بقوله عز وجل (ويمحق الكافرين) فإن التمحيص فيه محو الآثار وإزالة الأوضار كما أن المحق عبارة عن النقص والإذهاب قال المفضل وهو أن يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يحق الله الربا أي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين جاربوا رسول الله ﷺ يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعاً (أم حسبتم) كلام مستأنف سيق لبيان ماهي الغاية القصوى من المداولة ١٤٢ والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء وإظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم أحد وأم منقطعة وما فيها من كلمة بل للإضراب عن التسلية ببيان العلل فيما القوا من الشدة إلى تحقيق أنها من مبادئ الفوز بالمطلب الأسنى والهمزة للإنكار والاستبعاد أي بل أحسبتم (أن تدخلوا الجنة) ● وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للإنكار ● فإن رجاء الأجر بغير عمل ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الأول لتحقيق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وإشارتها على التصريح للبالغة في تحقيق المعنى المراد فإنها لإثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللإيدان بأن مدار ترتب الجزاء على الأعمال إنما هو علم الله تعالى بها كأنه قيل والحال أنه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وإنما وجه النفي إلى الموصوفين مع أن المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي أن يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه أصلاً وفي كلمة لما إيدان بأن الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل إلا أنه غير معتبر في تأكيد الإنكار وقرىء يعلم بفتح الميم على أن أصله يعلن فحذفت النون أو على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لإبقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين (ويعلم الصابرين) منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن والمعنى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة والحال أنه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر أي الجمع بينهما وإيثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على أن الاعتبار هو الاستمرار على الصبر والحفاظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لا لتقاء الساكنين بالفتح للرخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الأصل في تحريك الساكن وقرىء يعلم بالرفع على أن الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف أي وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون .

وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ٣ آل عمران

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ٣ آل عمران

- ١٤٣ (ولقد كنتم تمنون الموت) أى تمنون الحرب فإنها من مبادئ الموت أو الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرأ وكانوا يتمنون أن يشهدوا مع رسول الله ﷺ مشدأ لينالوا ما ناله شهداء بدر من الكرامة فألحوا على رسول الله ﷺ في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك (من قبل أن تلقوه) متعلق بتمنون مبين لسبب إقدامهم على التتأى أى من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا هولاء وشدة وقرىء تلاقوه (فقد رأيتموه) أى ماتتمونه من أسباب الموت أو الموت بمشاهدة أسبابه وقوله تعالى (وأنتم تنظرون) حال من ضمير المخاطبين وفى إشارار الرؤية على الملاقاء وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة فى مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل إن كنتم صادقين فى تمنىكم ذلك فقد رأيتموه معانين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنىهم الحرب وتسببهم لها ثم جنبهم وانهمامهم لا على تمنى الشهادة بناء على تضمنها الغلبة الكفار لما أن مطلب من يتمناها نيل
- ١٤٤ كرامة الشهداء من غير أن يخطر بباله شىء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة (وما محمد إلا رسول) مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لا تنقاض نفيه بإلا وقوله تعالى (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول منبثة عن كونه فى شرف الخلو فإن خلو مشاركيه فى منصب الرسالة من شواهد خلوه عليه الصلاة والسلام لاحالة كأنه قيل قد خلت من قبله أمثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبى فإنهم لما انقلبوا على أعقابهم فكأنهم اعتقدوا أنه عليه الصلاة والسلام رسول لا كسائر الرسل فى أنه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم بآنه ليس إلا رسولا كسائر الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل هو قصر لإفرادهم لما استعظموا عدم بقاءه عليه الصلاة والسلام لهم نزلوا منزلة المستبعدة هلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه الصلاة والسلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بآنه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها إلى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه الصلاة والسلام من الهلاك وبيان كونه أسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وأيا ما كان فالكلام يخرج على خلاف مقتضى الظاهر (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) إنكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت أو قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا فى الحقيقة لثباتهم على الدين وإيراد الموت بكلمة إن مع علمهم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم إياه وهكذا الحال فى سائر الموارد فإن كلمة إن فى كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة عليه تعالى بالوقوع

أو اللأو قوع بل تحمل على اعتبار حال السامع أو أمر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع أن تقدير القتل هو الذى ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما أن الموت فى شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك أهم ولأن الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل . روى أنه لما التقى الفئتان حمل أبو دجانة فى نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديداً وقاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه قتالا عظيماً حتى التوى سيفه وكذا سعد بن أبى وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزمهم فلما نظر الرماة إليهم ورأوا أنهم قد انهزموا أقبلوا على النهب ولم يلتفتوا إلى نهى أميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده إلا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فى مائتين وخمسين فارساً من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقى من الرماة ودخلوا خلف أفضية المسلمين ففرقهم وهزمهم وحملوا على أصحاب رسول الله ﷺ وقتلوا حتى أصيب هناك نحو ثلاثين رجلاً كل منهم يحشوا بين يديه ويقول وجهى لوجهك وقاه ونفسى لنفسك فداءً وعلبك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قيس الحارثى رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مذهب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قيس وهو يزعم أنه قتل النبى ﷺ فقال قتلت محمداً وصرخ صارخ قيل إنه إبليس ألا إن محمداً قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول ﷺ يدعو إلى عباد الله قال كعب بن مالك كنت أول من عرف رسول الله ﷺ من المسلمين فنادت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين هذا رسول الله ﷺ فانحاز إليه ثلاثون من أصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقيون وقال بعضهم لبت بن أبى يأخذلنا أماناً من أبى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل أرجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر وهو عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمداً فإن رب محمداً لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراماً على مامات عليه ثم قال اللهم إني أعترز إليك بما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه الصلاة والسلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما أن كل آية ليس يسمعها كل أحد ولا كل من يسمعها يستحضرها فى كل مقام لا سيما فى مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضى الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته عليه الصلاة والسلام وقام فى الناس فقال إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى وإن رسول الله مامات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فعاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ﷺ ولا قطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله ﷺ مات ولم يزل يكرر ذلك إلى أن قام أبو بكر رضى الله عنه فحمد الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال الراوى والله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر وقال عمر رضى الله عنه والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر رضى الله عنه يتلو فمقرت حتى ماتت على رجلى وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات (ومن ينقلب على عقبيه) يادباره عما كان يقبل عليه رسول الله ﷺ من أمر الجهاد وغيره ●

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

آل عمران

- وقيل بار تداده عن الإسلام وما ارتد يومئذ أحد من المسلمين إلا ما كان من المنافقين (فلن يضر الله)
- بما فعل من الانقلاب (شيئاً) أى شيئاً من الضرر وإنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب
- (وسيجزى الله الشاكرين) أى الثابتين على دين الإسلام الذى هو أجل نعمة وأعز معروف سموا بذلك لأن الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه إيمان إلى كفران المنقلبين . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والأنصار وعن علي رضى الله عنه أبو بكر وأصحابه رضى الله عنهم وعنه رضى الله عنه أنه قال أبو بكر من الشاكرين ومن أحباء الله تعالى وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم (وما كان لنفس أن تموت) كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطئهم فيما فعلوا حذراً من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام ببيان أن موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وإن خاضت موارد الخوف واقتحمت مضائق كل هول مخوف وقد أشير بذلك إلى أنها لم تكن متعلقة بموتهم فى الوقت الذى حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ لإحجامهم عن مباشرة القتال وكلية كان ناقصة اسمها أن تموت وخبرها الظرف على أنه متعلق بمحذوف وقوله تعالى (إلا بإذن الله) استثناء مفرغ من أعم الأسباب أى وما كان الموت حاصلًا لنفس من النفوس بسبب من الأسباب إلا بمشيئته تعالى على أن الإذن مجاز منها لكونها من لوازمه أو إلا بإذنه لملك الموت فى قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة إلى النفوس بصورة الأفعال الاختيارية التى لا يتسنى للفاعل إيقاعها والإقدام عليها بدون إذنه تعالى أو بتنزيل إقدامها على مبادئه أعنى القتال منزلة الإقدام على نفسه للبالغة فى تحقيق المرام فإن موتها حيث استحال وقوعه عند إقدامها عليه أو على مبادئه وسعيها فى إيقاعه فلأن يستحيل عند عدم ذلك أولى وأظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى (كتاباً) مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أى كتبه الله كتاباً (مؤجلاً) موقفاً بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر ولو ساعة وقرىء مؤجلاً بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق أن مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير أن يكون فيه مدخل لأحد أصلاً أشير إلى أن توفية ثمرات الأعمال دائرة على إرادتهم ليصرفوها عن الأغراض الدنية إلى المطالب السنية فقليل (ومن يرد) أى بعمله (ثواب الدنيا تؤته) بنون العظمة على طريق الالتفات (منها) أى من ثوابها ما نشاء أن تؤته إياه كما فى قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله (ومن يرد) أى بعمله (ثواب الآخرة تؤته منها) أى من ثوابها ما نشاء من الأضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم (وسنجزى الشاكرين) نعمة الإسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر إلى ما خلقت هي لأجله من طاعة الله تعالى لا يلويهم

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا
أَسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾

آل عمران ٣

- عن ذلك صارف أصلاً والمراد بهم إما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم وإما جنس الشاكرين
وهم داخلون فيه دخولا أولاً والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالزيادة عليه وفي تصديرها
بالسين وإيهام الجزاء من التأكيد والدلالة على نخامة شأن الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان مالا يخفى
وقرى. الأفعال الثلاثة بالياء (وكأين) كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن ١٤٦
الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكأين لفظة مركبة من كاف التشبيه وأى
حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين أثبتت في الخط على غير قياس
وفيها خمس لغات هي إحداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كآين مثل كعين والرابعة كيتن بياء ساكنة
بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرىء بكل منها وحملها الرفع بالابتداء
وقوله تعالى (من نبي) تمييز لها لأنها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوباً كما في قوله [أطرد اليأس
بالرجاء فكأين] أملاح يسره بعد عسر | وقوله تعالى (قاتل معه ربيون كثير) خبر لها على أن الفعل
مسند إلى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرىء قتل وقتل على صيغة المبني للدفعول مخففة
ومشددة والرى منسوب إلى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرىء بضمها وبفتحها
أيضاً على الأصل وقيل هو منسوب إلى الربة وهي الجماعة أى كثير من الأنبياء قاتل معه لإعلاء كلمة الله
وإعزاز دينه علماء أتقياء أو عابدون أو جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل أو بمحذوف وقع حالاً من
قاتل كما في القراءتين الأخيرتين إذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل أى قتلوا أو قتلوا كائنين معه في القتال
لا في القتل قال سعيد بن جبيرة ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل
نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالاً منه والرابط هو
الضمير المجرور الراجع إليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف أى كم من نبي قاتل كائناً معه في
القتال ربيون كثير وأما على القراءتين الأخيرتين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوز به بعضهم
وأيده بأن مدار التوبيخ اتخذهم للإرجاف بقتله عليه السلام أى كم من نبي قاتل كائناً معه في القتال أو في
القتال ربيون الخ وقوله تعالى (فما وهنوا) عطف على قاتل على أن المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال
كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم يزعج فإن الإتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن
كان استمراراً عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله
أى فافترأ وما انكسرت همهم (لما أصابهم) في أثناء القتال وهو علة للنفي دون النفي نعم بشعر بعلته
قوله تعالى (في سبيل الله) فإن كون ذلك في سبيله عز وجل بما يقوى قلوبهم ويزيل وهمهم وما موصولة
أو موصوفة فإن جعل الضمير ان لجميع الربيين فهي عبارة عما عد القتل من الجراح وسائر المكارم المعترية

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أقدامنا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

آل عمران ٢٣

للكل وإن جعلنا للبعض الباقيين بعد ما قتل الآخرون كما هو الأنسب بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل إخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة وأما على القراءةتين الأخيرتين فإن أسند الفعل إلى الربيين فالضميران للباقيين منهم حتماً وإن أسند إلى ضمير النبي كما هو الأنسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام فهما للباقيين أيضاً إن اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع إن اعتبر كونهم معه في القتال (وما ضعفوا) عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين (وما استكانوا) أى وما خضعوا للعدو وأصله استمكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد والالف من إشباع الفتحة أو استكون من السكون لأنه يطلب أن يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي ﷺ وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا أن يعتضدوا بآبى المنافق في طلب الأمان من آبى سفيان (والله يحب الصابرين) أى على مقاساة الشدائد ومعاناة المسكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين إما المجهودون والإظهار في موضع الإضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والإشعار بعلّة الحكم وإما الجئس وهم داخلون فيه دخولا أولاً والجملة تذييل لما قبلها (وما كان قولهم) كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها أن وما بعدها في قوله تعالى (إلا أن قالوا) والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء ما كان قولهم عند أى لقاء للعدو واقتحام مضائق الحرب وإصابة ما أصابهم من فنون الشدائد والآهوال شيء من الأشياء إلا أن قالوا (ربنا اغفر لنا ذنوبنا) أى صغائرنا (وإسرافنا في أمرنا) أى تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر أضافوا الذنوب والإسراف إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين برءاء من التفریط في جنب الله تعالى هضمها واستقصاراً لهممهم وإسناداً لما أصابهم إلى أعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الأهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم (وثبت أقدامنا) أى في مواطن الحرب بالثبوت والتأييد من عندك أو ثبتنا على دينك الحق (وأنصرنا على القوم الكافرين) تقريباً له إلى حين القبول فإن الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة أقرب إلى الاستجابة والمعنى لم يزلوا مواظبين على هذا الدعاء من غير أن يصدر عنهم قول يوم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين مالا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على أنه الاسم والخبر أن وما في حيزها أى ما كان قولهم حينئذ شيئاً من الأشياء إلا هذا القول المنبئ عن أحاسن المحاسن وهذا كما ترى أقعد بحسب المعنى وأوفق بمقتضى المقام لما أن الإخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلاً كما تفيد قراءتهما أكثر إفادة للسامع

فَعَاتَتْهُمْ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ آل عمران
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ آل عمران

من الأخبار يكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فلا حق بالخبرية ماهو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل وأما ما تفيد من الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية في حيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة إجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وإنما اختار الجمهور ما اختاره لقاعدة صناعية هي أنه إذا اجتمع معرفتان فالأعرف منهما أحق بالاسمية ولا ريب في أعرفية أن قالوا الدلالة على جهة النسبة وزمان الحدث ولأنه يشبه المضمر من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف إلى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل (فأتاهم الله) بسبب دعائهم ذلك (ثواب الدنيا) أي النصر والغنيمة ١٤٨ والعز والذكر الجميل (وحسن ثواب الآخرة) أي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للإيذان بفضله ومنزته وأنه المعتمد به عنده تعالى (والله يحب المحسنين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وإرادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام إما للعهد وإنما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للإشعار بأن ما حكى عنهم من الأفعال والأقوال من باب الإحسان وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وهذا أنسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكى عنهم من المناقب الجليلة (يأتيها الذين آمنوا) شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها ١٤٩ لخسران الدنيا والآخرة إثر ترغيبهم في الاقتداء بأنصار الانبياء عليهم السلام ببيان إفضائه إلى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لإظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالإيمان لتذكير حالهم وتنبئتهم عليها بإظهار مباينتها لحال أعدائهم كما أن وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى (إن تطيعوا الذين كفروا) لذلك قصد إلى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال على رضى الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم فوقع قوله تعالى (يردوكم على أعقابكم) جوابا للشرط مع كونه في قوة أن يقال إن تطيعوهم في قولهم ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى (فتنقلبوا خاسرين) أي الدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على أن الارتداد على العقب علم في انتكاس الأمر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغفرونهم ويوقعون لهم التشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقاً لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وإنما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً عليه ويوماً له وقيل أبو سفيان وأصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومته والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم في أمر من الأمور حتى لا يستجروهم إلى الارتداد عن الدين ١٣٠ أبو السعود ج ٢ ،

٢٣ آل عمران

بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ

٢٣ آل عمران

وَيُبْسِ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعْدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا حُجِبُونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ

٢٣ آل عمران

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

- ١٥٠ فلا حاجة على هذه التقادير إلى مامر من البيان (بل الله مولاكم) لإضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كأنه قيل فليسوا أنصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فأطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرىء بالانصب كأنه قيل فلا تطيعوهم بل أطيعوا الله ومولاكم نصب على أنه صفة له (وهو خير الناصرين)
- ١٥١ مخصوه بالطاعة والاستعانة (سنلقى) بنون العظمة على طريقة الالتفات جرياً على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرىء بالياء والسين لتأكيد الإلقاء (في قلوب الذين كفروا الرعب) بسكون العين وقرىء بضمها على الأصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا إلى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب فأمسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب أو عقيب انقضائه وقيل هو ما ألقى في قلوبهم من الرعب يوم الأحزاب (بما أشركوا بالله) متعلق بلقى دون الرعب وما مصدرية أي بسبب إشراكهم به تعالى فإنه من موجبات خذلانهم
- ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب (مالم ينزل به) أي بإشراكه (سلطاناً) أي حجة سميت به لوضوحها وإنارتها أو لقوتها أو لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله [ولا ترى الضرب بها ينحجر] أي لا ضرب ولا انحجار وفيه إيدان بأن المتبع في الباب هو البرهان
- السامى دون الآراء والأهواء الباطلة (وماوهم) بيان لأحوالهم في الآخرة إثر بيان أحوالهم في الدنيا
- وهى الرعب أى ما يأوون إليه فى الآخرة (النار) لاملجأ لهم غيرها (وبئس مثنوى الظالمين) أى مثوهم وإنما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والإشعار بأنهم فى إشراكهم ظالمون واضعون للشيء فى غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف أى بئس مثنوى الظالمين النار وفى جعلها مثوهم بعد جعلها ماوهم نوع رمز إلى خلودهم فيها فإن المثنوى مكان الإقامة المبنية عن المكث وأما المأوى فهو المكان الذى يأوى إليه الإنسان (ولقد صدقكم الله وعده) نصب على أنه مفعول ثان لصدق صريحاً وقيل بنزع الجار أى فى وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم إلى المدينة من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه عليه السلام من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم

- فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية أخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فإننا لا نزال غالبين ما دمت في هذا المكان وقد كان كذلك فإن المشركين لما أقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلاً ذريعاً وذلك قوله تعالى (إذ تحسونهم) ●
- أى تقتلونهم قتلاً كثيراً فاشياً من حسه إذا أبطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى (يا ذنه) أى بتيسيره وتوفيقه لتحقيق أن قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى إن تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق أن ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر إمداده عز وجل بإزالة الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم يا ذنه تعالى صريح في أن الموعود هو النصر المعنوى والتيسير لا الإمداد بالملائكة وقيل هو ما وعدته تعالى بقوله سنلقى الخ وأنت خير بأن إلقاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب أو بعد ذلك في الطريق على اختلاف الروايتين وأياً ما كان فلا سبيل إلى كونه مغياً بقوله تعالى (حتى إذا فشلتم) أى جبنتم وضعف رأيكم ●
- أو ملتم إلى الغنيمة فإن الحرص من ضعف القلب (وتنازعتم في الأمر) فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على أعقابهم قتلاً وضرباً فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه لا نخالف أمر الرسول ﷺ فثبت مكانه في نفر دون العشرة من أصحابه ونفر الباقيون للنهب وذلك قوله تعالى (وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون) أى من الظفر ●
- والغنيمة وانهمزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا أمير الرماة ومن معه من أصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وجواب إذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتداء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم إلى قسمين كما ينبى عنه قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا) وهم الذين تركوا المركز ●
- وأقبلوا على النهب (ومنكم من يريد الآخرة) وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون إذا شرطية وحتى ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية وقيل إذا اسم كما في قولهم إذا يقوم زيد يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى إلى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه معنى النصر كأنه قيل لقد نصركم الله إلى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى (ثم صرفكم عنهم) ●
- عطف على ذلك وعلى الأول عطف على الجواب المحذوف كما أشير إليه والجلتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين أى كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى (ليبتليكم) أى بعمالكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الإيمان عندها (ولقد عفا عنكم) ●
- تفضلاً ولما علم من ندمكم على المخالفة (والله ذو فضل على المؤمنين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه أى شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال أدب لهم أو أدب عليهم إذا ابتلاء أيضاً رحمة والتذكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين إما المخاطبون والإظهار في موقع الإضمار للتشريف والإشعار بعملة الحكم وإما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أولاً .

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُثْرِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

آل عمران

ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ
يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ
يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

آل عمران

- ١٥٣ (إذ تصعدون) متعلق بصرفكم أو بقوله تعالى ليبتليكم أو بمقدر كما ذكرنا والإصعاد الذهاب والإبعاد
في الأرض وقرى تصعدون من الثلاثى أى في الجبل وقرى تصعدون من التفعّل بطرح إحدى التاءين
● وقرى يصعدون بالالتفات إلى الغيبة (ولا تلون على أحد) أى لا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف
واحد منكم لواحد وقرى تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفاً وقرى يلون
● كيف تصعدون (والرسول يدعوكم) كان عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى عباد الله إلى عباد الله أنا رسول
الله من يكره له الجبة وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للإبذان بأن دعوته عليه السلام كانت بطريق
● الرسالة من جهته سبحانه لإشباعاً في توبيخ المنهزمين (في أخراكم) في ساقتمكم وجماعتكم الأخرى (فأنا بكم)
● عطف على صرفكم أى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم (غما) موصولا (بغم) من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والإرجاف بقتل الرسول ﷺ وفوت الغنيمة فالتشكيك للتشكيك أو غما بمقابلة غم
● أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له (لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) أى لتتمرنوا على الصبر
في الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات أو ضرات وقيل لازائدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر
والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في أنا بكم للرسول ﷺ أى وإساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتمتم بما نزل عليه ولم يترككم على عصيانكم تسلياً لكم وتنقيساً
● عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما أصابكم من الجراح وغير ذلك (والله خبير بما تعملون)
١٥٤ أى عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها (ثم أنزل عليكم) عطف على قوله تعالى فأنا بكم والخطاب للمؤمنين
● حقاً (من بعد الغم) أى الغم المذكور والتصريح بتأخر الإنزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه
● لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية (أمنة) أى أمناً
● نصب على المفعولية وقوله تعالى (نعاساً) بدل منها أو عطف بيان وقيل مفعول له أو هو المفعول وأمنة
● حال منه متقدمة عليه أو مفعول له أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف أى ذوى أمنة أو على أنه جمع
آمن كبار وبررة وقرى بسكون الميم كأنها مرة من الأمن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر

- غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالإزالة لأنه المهم عندهم حينئذ لما أن المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحيف متأهبين للقتال فأنزل الله تعالى عليهم الأمانة فأخذهم النعاس . قال ابن عباس رضى الله عنهما أمنهم يومئذ بنعاس تغشاهم بعد خوف وإنما ينعس من أمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضى الله عنه كنت مع النبي ﷺ حين اشتد الخوف فأنزل الله علينا النوم والله إنى لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشائى ما أسمعته إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا وقال أبو طلحة رضى الله عنه رفعت رأسى يوم أحد فجعلت لا أرى أحداً من القوم إلا وهو يميد تحت حجفته من النعاس . قال وكنت ممن أتى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فأخذه ثم يسقط السوط من يدي فأخذه
- وفيه دلالة على أن من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبي عنه قوله عز وجل (يغشى طائفة منكم) قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الأنصار ولا يقدر ذلك في عموم الإنزال للكل والجملة في محل نصب على أنها صفة لنعاساً وقرئ بالتاء على أنها صفة لأمنة وفيه أن الصفة حقها أن تتقدم على البدل وعطف البيان وأن لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) أى أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما بهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها من قولهم همى الشيء أى كان من همى وقصدى والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدأ وما بعدها إما خبرها وإنما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله [سرينا ونجم قد أضاء فذ بدا] محياك أخفى ضوءه كل شارق [أو لوقوعها في موضع التفصيل كما في قوله [إذا ما بكى من خلفها انصرفت له] بشق وشق عندنا لم يحول [ولما صفتها والخبر محذوف أى ومعكم طائفة أو وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه أنه يقتضى دخول المنافقين في الخطاب بإزالة الأمانة وأياً ما كان فالجملة إما حالية مبينة لفضاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وإمامستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل (يظنون بالله) حال من ضمير أهمتهم أو من طائفة لتخصيصها بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر
- بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى (غير الحق) فى حكم المصدر أى يظنون به تعالى غير الظن
- الحق الذى يجب أن يظن به سبحانه وقوله تعالى (ظن الجاهلية) بدل منه وهو الظن المختص بالملة
- الجاهلية والإضافة كما فى حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى (يقولون) بدل من يظنون لما أن مسئلتهم كانت صادرة عن الظن أى يقولون لرسول الله ﷺ على صورة الاسترشاد (هل لنا من الأمر) أى من
- أمر الله تعالى ووعدته من النصر والظفر (من شيء) أى من نصيب قط أو هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى (قل إن الأمر كله لله) أى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو إن التدبير كله لله فإنه تعالى قد دبر الأمر كما جرى فى سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء
- وقوله تعالى (يخفون فى أنفسهم) أى يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق الحفية (مالا يبدون لك) استئناف أو حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل إن الأمر الخ اعراض بين الحال وصاحبها

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾

٢٣ آل عمران

- أى يقولون ما يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب وقوله تعالى
- (يقولون) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل أى شئ يخفون فقيل يحدثون أنفسهم أو يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية (لو كان لنا من الأمر شئ) كما وعد محمد عليه الصلاة والسلام من أن الغلبة لله تعالى ولأوليائه وأن الأمر كله لله أو لو كان لنا من التدبير والرأى شئ (ما قتلنا ههنا) أى ما غلبنا أو ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على أن النفي راجع إلى نفس القتل لا إلى وقوعه فيها فقط ولما برحنا من منازلنا
 - كما رآه ابن أبى ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى (قل لو كنتم فى بيوكم) أى لو لم تخرجوا إلى أحد وقعدتم بالمدينة كما تقولون (لبرز الذين كتب عليهم القتل) أى فى اللوح المحفوظ بسبب من الأسباب الداعية إلى البروز (إلى مضاجعهم) إلى مصارعهم التى قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم تنفع العزيمة على الإقامة بالمدينة قطعاً فإن قضاء الله تعالى لا يردو حكمه لا يعقب وفيه مبالغة فى رد مقاتلهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما فى قوله عز وجل أينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه أيضاً ولا ريب فى تعيين زمانه أيضاً لقوله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .
 - روى أن ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام فنظر إلى رجل من أهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا فقال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلنى مع الريح إلى عالم آخر فإنى رأيت منه مرأى هائلاً فأمرها عليه السلام فألقته فى قطر سمح من أقطار العالم فالبث أن عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام فقال كنت أمرت بقبض روح ذلك الرجل فى هذه الساعة فى أرض كذا فلما وجدته فى مجلسك قلت متى يصل هذا إليها وقد أرسلته بالريح إلى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى أمر الله عز وجل فى زمانه ومكانه من غير إخلال بشئ من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للفعول (وليبتلى الله مافى صدوركم) أى ليعاملكم معاملة من يبتلى مافى صدوركم من الإخلاص والنفاق ويظهر مافىها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها أخرى مطوية للإبذان بكثرتها كأنه قيل فعل ما فعل لمصالح حجة وليبتلى الخ وجعلها عللاً لبرز يأباه الذوق السليم فإن مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض أو لفعل مقدر بعدها أى والابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية
 - بأمر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدماً خال عن هذه المزية (وليمحص مافى قلوبكم) من مخفيات الأمور ويكشفها أو يخلصها من الوسوس (والله عليم بذات الصدور) أى السرائر والضمائر الخفية التى لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة إما اعتراض للتنبيه على أن الله تعالى غنى عن الابتلاء وإنما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين وإظهار حال المنافقين أو حال من متعلق الفعلين أى
- ١٥٥ فعل ما فعل للابتلاء والتحريض والحال أنه تعالى غنى عنهما محيط بمخفيات الأمور وفيه وعد ووعد (إن

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى
لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا

آل عمران

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

- الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان) وهم الذين انهزموا يوم أحد حسبما مرت حكايته (إنما استزلهم
- الشيطان) أى إنما كان سبب انهزامهم أن الشيطان طلب منهم الزلل (ببعض ما كسبوا) من الذنوب
- والمعاصي التي هي مخالفة أمر النبي ﷺ وترك المركز والحرص على الغنيمة أو الحياة فخرموا التأييد وقوة
- القلب وقيل استزال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فإن المعاصي يجر بعضها إلى بعض كالطاعة
- وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل إخلاص التوبة والخروج من المظلمة (ولقد عفا
- الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (إن الله غفور) للذنوب (حلیم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة
- تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي إظهار الجلالة تربية للهبابة وتأکید للتعليل (يا أيها الذين آمنوا ١٥٦
- لا تكونوا كالذين كفروا) وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناهمنا وإنما ذكر في صدر
- الصلة كفرهم تصريحاً بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيراً عن مماثلتهم أثر ذى أثر وقوله تعالى (وقالوا
- لآخوانهم) تعين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها أى قالوا لأجلهم وفي حقهم ومعنى أخوتهم اتفاقهم
- نسباً أو مذهباً (إذا ضربوا في الأرض) أى سافروا فيها وأبعدوا للتجارة أو غيرها وإيثار إذا المفيدة
- لمعنى الاستقبال على إذا المفيدة لمعنى المضى لحكاية الحال الماضية إذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي
- عليه يدور أمر استحضار الصورة . قال الزجاج إذا ههنا توب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعنى أنها
- مجرد الوقت أو بقصد بها الاستمرار وظيفتها لقولهم إنما هى باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق أنها ظرف له
- لا لقولهم كأنه قيل قالوا لأجل ما أصاب إخوانهم حين ضربوا الخ (أو كانوا) أى إخوانهم (غزاً) جمع
- غاز كعنى جمع عاف قال [ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى * لها قلب عنى الحياض أجون] وقرى بتخفيف
- الزاى على حذف التاء من غزاة وإفراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجهم تحت الضرب في الأرض لأنه
- المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الأرض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على أنه قد يوجد بدون
- الضرب في الأرض إذ المراد به السفر البعيد وإنما لم يقل أو غزو والإيذان باستمرار إقصافهم بعنوان كونهم
- غزاة أو بانقضائه ذلك أى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى (لو كانوا عندنا) أى مقيمين (مما ماتوا وما قتلوا)
- مفعول لقالوا ودليل على أن هناك مضمراً قد حذف ثقة به أى إذا ضربوا في الأرض فماتوا أو كانوا
- غزاة فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم
- بموجبه كما أنه المنكر على قائله ألا يرى إلى قوله عز وجل (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) فإنه الذي
- جعل حسرة فيها قطعاً وإليه أشير بذلك كما نقل عن الزجاج أنه إشارة إلى ظنهم أنهم لو لم يحضروا القتال
- لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام

وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

آ٢٣ عمران

وَلَيْنَ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

آ٢٣ عمران

لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً أى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك أصلاً وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجمعه الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما مر إشارة إلى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز أن يكون إشارة إلى ما دل عليه النهي أى لا تكونوا مثلهم ليجمع الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فإن مضافكم لهم في القول والاعتقاد ما يغمهم ويغنيهم (والله يحيى ويميت) رد لقولهم الباطل إثر بيان غائلته أى هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير أن يكون الإقامة أو للسفر مدخل في ذلك فإنه تعالى قد يحيى المسافر والغاوى مع اقتحامهما للموارد الختوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لأسباب السلامة (والله بما تعملون بصير) تهديد للؤمنين على أن يماثلوهم وقرىء بالياء على أنه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولنشئه الذى هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الأعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لالعنوان السمع وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة وإلقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ١٥٧ (ولئن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ) شروع في تحقيق أن ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي أن يحذر بل مما يجب أن يتنافس فيه المتنافسون إثر إبطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى (لمغفرة من الله ورحمة) لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للبندأ وقد حذفت صفة رحمة دلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى أن السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الأجل أصلاً ولئن وقع ذلك بأمر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنيتين من الله تعالى بمقابلة ذلك (خير مما يجمعون) أى الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة أعمارهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير من طلاع الأرض ذهبية حمراء وقرىء بالتاء أى ما يجمعونه أنهم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خير يتهما من ذلك بلا تعرض للإخبار بمحصولهما لهم للإيذان بعدم الحاجة إليه بناء على استحالة التخيب منه تعالى بعد الإطماع وقد قيل لا بد من حذف آخر أى لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ يكون أيضاً إخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الإخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وإنافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من أن المقصود بالنهي إنما هو ١٥٨ عدم مماثلتهم في الاعتقاد بضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به وإضلال الناس به (ولئن مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ) أى على أى وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الإرادة الإلهية وقرىء ممت بكسر الميم من مات

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾
 آل عمران
 إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾
 آل عمران

- يمات (لا إله إلا الله) أى إلى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الإحسان (تحشرون) لا إلى غيره فيوفيكم أجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام فى لامي الجملة كما مر فى أختها (فبما رحمة من الله لنت لهم) ١٥٩
- تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما يبنى عنه السياق من استحقاقهم اللأمة والتعنيف بموجب الجملة البشرية أو من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد أو نكرة ورحمة بدل منها مبين لإبهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة أى فبرحمة عظيمة لهم كائنه من الله تعالى وهى ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطاف بهم حيث اغتممت لهم بعدما كان منهم ما كان من مخالفة أمرك وإسلامك للعدو (ولو) لم تكن كذلك بل (كنت فظاً) جافياً فى المعاشرة قولاً وفعلًا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدى هو الغليظ الجانب السىء الخلق (غليظ القلب) قاسيه وقال الكلبي فظاً فى القول غليظ القلب فى الفعل (لانفضوا من حولك) لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا إليك وتردوا فى مهاوى الردى والفناء فى قوله عز وجل (فاعف عنهم) لترتيب العفو أو الأمر به على ما قبله
- أى إذا كان الأمر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى إتماماً للشفقة عليهم وإكالا للبر بهم (وشاورهم فى الأمر) أى فى أمر الحرب إذ هو المعهود أو فيه وفى أمثاله مما تجرى فيه المشاورة عادة استظهاراً بأرائهم وتطبيعاً لقلوبهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة وقرئ وشاورهم فى بعض الأمر (فإذا عزم) أى عقيب المشاورة على شىء واطمأنت به نفسك (فتوكل على الله) فى إمضاء أمرك على ما هو أرشد لك وأصلح فإن عليه محض به سبحانه وتعالى وقرئ فإذا عزم على صيغة التكلم أى عزم لك على شىء وأرشدتك إليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك أحداً والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل أو الأمر به فإن عنوان الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى أو الأمر به (إن الله يحب المتوكلين) عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم إلى ما فيه خير لهم
- وصلاح والجملة لتعليل التوكل عليه تعالى وقوله تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم) جملة مستأنفة سبقت ١٦٠ بطريق تلوين الخطاب تشریفاً للمؤمنين لإيجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ إليه وتحذيرهم عما يفضى إلى خذلانه أى إن ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا أحد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد الغالب ذاتاً وصفة ولوقيل فلا يغلبكم أحد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

آل عمران ٢٣

الكريم وإن كان نبي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة أيضاً وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعياً هو نفي المساواة وإثبات الغالبية للمخاطبين فإذا قلت لا أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمفهوم منه حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وهذا أمر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنبي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الإنكاري كما في قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً في مواقع كثيرة من التنزيل وبما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم أنهم في الآخرة هم الآخسرون فإن كونهم أخسر من كل خاسر يستدعي قطعاً كونهم أظلم من كل ظالم (وإن يخذلكم) كما فعل يوم أحد وقرئ يخذلكم من أخذه إذا جعله مخذولاً (فن ذا الذي ينصركم) استفهام إنكاري مفيد لا تنفاه الناصر ذاتاً وصفة بطريق المبالغة (من بعده) أي من بعد خذلانه تعالى أو من بعد الله تعالى على معنى إذا جاوزتموه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) تقديم الجار والمجرور على الفعل لإفادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه أو ترتيب الأمر به على مامر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى إياهم فإن العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين إما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخلاً أولاً وإمام خاصة بطريق الالتفات وأياً ما كان ففيه تشریف لهم بعنوان الإيمان اشتراكاً أو استقلالاً وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فإن وصف الإيمان بما يوجب قطعاً (وما كان لنبي) أي وما صح لنبي من الأنبياء ولا استقام له (أن يغل) أي يخون في المغنم فإن النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئاً من المغنم يغل غللاً وأغل إغلالاً إذا أخذه خفية والمراد إما تنزيهه ساحة رسول الله ﷺ عما ظن به الرماة يوم أحد حين تركوا المركز وأفاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله ﷺ من أخذ شيئاً فهو له ولا يقسم الغنائم كالم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي ﷺ ألم أعهد إليكم أن لا تركوا المركز حتى يأتكم أمرى فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفاً فقال عليه السلام بل ظنتم أننا نغل ولا نقسم بينكم وإما المبالغة في النهي لرسول الله ﷺ على ما روى أنه بعث طلحة فغنم النبي ﷺ بعد غنم غنائم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلحة شيئاً فنزلت . والمعنى ما كان لنبي أن يعطى قوماً من العسكرو يمنع آخرين بل عليه أن يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظاً وأما ما قيل من أن المراد تنزيهه عليه السلام عما نقوه به بعض المنافقين إذ روى أن قطيفة حراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله ﷺ أخذها فبعيد جداً وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له أن يوجد غللاً أو ينسب إلى الغلول (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروى أنه عليه السلام قال ألا لا أعرفن أحداً يأتي بغير لهرغاء وبقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمداً يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً فقد بلغتك أو يأت

أَفَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَتَّبِعُ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ آل عمران ٢٣

هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ آل عمران ٢٣

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ آل عمران ٢٣

- بما احتمل من إثمه ووباله (ثم توفي كل نفس ما كسبت) أى تعطى وافياً جزاء ما كسبت خيراً أو شراً كثيراً أو يسيراً ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقاً للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفاً كأنهما شئ واحد وفى إسناد التوفية إلى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع أن المقصود بيان حال الغال عند إتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على نخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة فى بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فإنه حيث وفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شئ وإن كان جرمه فى غاية القلة والحقارة فلأن لا ينقص من جزاء الغال شئ وجرمه من أعظم الجرائم وأظهر وأجلى (وهم) أى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس (لا يظلمون) بزيادة عقاب أو بنقص ثواب (أفمن اتبع رضوان الله) أى سعى ١٦٢ فى تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير يسيرته (كمن باء) أى رجع (بسخط) عظيم لا يقادر قدره كائن (من الله) تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي عليه الصلاة والسلام وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقبول رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كأنه قيل أبعد ظهور حاله يكون من ترقى إلى أعلى عليين كمن تردى إلى أسفل سافلين وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لإدخال الروعة وترية المهابة (وماواه جهنم) إما كلام مستأنف مسوق لبيان مآل أمر من باء بسخطه تعالى وإما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية وأياً ما كان فلا محل له من الإعراب (وبئس المصير) اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف أى وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع أن الأول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الأولى بخلاف الثانى (هم) راجع إلى ١٦٣ الموصولين باعتبار المعنى (درجات عند الله) أى طبقات متفاوتة فى عليه تعالى وحكمه شبهوا فى تفاوت الأحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وإيداناً بأن بينهم تفاوتاً كالدراجات أو ذود درجات (والله بصير بما يعملون) من الأعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها (لقد من الله) جواب قسم محذوف أى والله لقد من ١٦٤ أى أنعم (على المؤمنين) أى من قومه عليه السلام (إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) أى من نسبهم أو من جنسهم عربياً مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والأمانة مفتخرين به وفى ذلك شرف لهم عظيم قال الله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقرئ من أنفسهم أى أشرفهم فإنه عليه السلام

أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ

١٦٥

كان من أشرف قبائل العرب وبطونها وقرىء لمن من الله على المؤمنين إذ بعث الخ على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى منه إذ بعث الخ أو على أن إذ فى محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للأسود والأحر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من أنفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا أى كائنات من أنفسهم وقوله تعالى (يتلو عليهم آياته) صفة أخرى أى يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شىء من الوحى (ويزكيهم) عطف على يتلو أى يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد أو ضارا الأوزار (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى القرآن والسنة وهو صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيدان بأن كل واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر إلى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر فى التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة أخرى رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فى ذلك شمول الحكمة لما فى مطاوى الأحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف فى سورة البقرة (وإن كانوا من قبل) أى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه (لنى ضلال مبين) أى بين لا ريب فى كونه ضلالاً وإن هى المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الأول لغو متعلق بكان والثانى خبرها وهى مع خبرها خبر لأن المخففة التى حذف اسمها أعنى ضمير الشأن وقيل هى نافية واللام بمعنى إلا أى وما كانوا من قبل إلا فى ضلال مبين وأياً ما كان فالجمله إما حال من الضمير المنصوب فى يعلمهم أو مستأنفة وعلى التقديرين فهى مبينة لكمال النعمة وتامها (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض ماصدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة الناشئة منها إثر إبطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف إلى ما بعده وقد أصبتم فى محل الرفع على أنه صفة لمصيبة والمراد بها ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما أصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع أنه المقصود إنكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فإن فعل القبيح فى غير وقته أقبح والإنكار على فاعله أدخل والمعنى أحياناً أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الإنكار والتقريع إلى صدور ذلك القول عنهم فى

وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَثَكُمْ
هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

آل عمران ٢٣

آل عمران ٢٣

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهِ وَلْيَعْلَمِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾

- ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعياً إليه بل على كونه داعياً إلى عدمه فإن كون مصيبة
عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة أو أفعلتم ما فعلتم ولما أصابتكم غائلته فلم أنى
هذا على توجيه الإنكار إلى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسيبها وتذكير اسم الإشارة في أنى
هذا مع كونه إشارة إلى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما أن إشارتهم ليست إلا إلى
ما شاهده في المعركة من حيث هو هو من غير أن يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم
المصيبة وإنما هي عند الحكاية وقوله عز وجل (قل هو من عند أنفسكم) أمر لرسول الله ﷺ بأن
يجيب عن سؤالهم الفاسد إثر تحقيق فسادهم بالإنكار والتفريع ويبيّن أن ما نالهم إنما نالهم من
جهنم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه أن الوعد بالنصر
كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وأن عمل النبي ﷺ بموجبه قد رفع
الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار الخروج والإصرار عليه كان من أكرمهم الله تعالى بالشهادة
يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل بأخذهم الفداء يوم بدر قبل أن يؤذن لهم والأول هو
الأظهر الأقوى وإنما يعضده توسط خطاب الرسول ﷺ بين الخطابين المتوجهين إلى المؤمنين وتفويض
التبكيك إليه عليه السلام فإن توبيخ الفاعل على الفعل إذا كان بمن نهاء عنه كان أشد تأثيراً (إن الله على
كل شيء قدير) ومن جملة النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم
منه تعالى ما أصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الأمر (وما أصابكم) رجوع إلى ١٦٦
خطاب المؤمنين إثر خطابه عليه السلام بسر يقتضيه وإرشاد لهم إلى طريق الحق فيما سألوا عنه وبيان
لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى أن يتوهم من قوله تعالى هو من عند أنفسكم من استقلالهم
في وقوع الحادثة والعدول عن الإصرار إلى ما ذكر للتحويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى (يوم
التقى الجمعان) أى جمعكم وجمع المشركين (فيا ذن الله) أى فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك
إذناً لكونها من لوازمه (وليعلم المؤمنين) عطف على قوله تعالى فياذن الله عطف المسبب على السبب
والمراد بالعلم التمييز والإظهار فيما بين الناس (وليعلم الذين نافقوا) عطف على ما قبله من مثله وإعادة الفعل ١٦٧
لتشريف المؤمنين وتزجيهم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق
بالفريقين فإنه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافيين على وجه جديد وهو السرف في إيراد الأولين
بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما

- أصابكم يومئذ فهو كائن تمييز الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق (وقيل لهم) عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة أو كلام مبتدأ قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا يوم أحد عن رسول الله ﷺ فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام أذكركم الله أن لا تأخذوا نبيكم وقومكم ودعاهم إلى القتال وذلك قوله تعالى (تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) قال السدي ادفعوا عنا العدو بتشكيش سوادنا إن لم تقاتلوا معنا وقيل أو ادفعوا عن أهلكم وبلدكم وحرمةكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما أن المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الأول توطئة له
- وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا (لونعلم قتالا لا تبعناكم) أى لو نحسن قتالا ونقدر عليه وإنما قالوه دغلاً واستهزاء وإنما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها أو لولعلم ما يصح أن يسمى قتالا لا تبعناكم ولكن ما أتم بصدده ليس بقتال أصلاً وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة وفي جعلهم التالى مجرداً لا يتابع دون القتال الذى هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تالياً لمقدم مستحيل الوقوع
- (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في للكفر وللإيمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظاً ومعنى بعامل واحد بلا عطف أو بدلية وإنما هو فيما عدا أفعال التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها وأما أفعال التفضيل فحيث دل على أصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قيل قربهم للكفر زائدة على قربهم للإيمان وقيل تعلق الجارين به لشبهتهما بالظرفين أى هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أماراة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا اتباعوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقبل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للشركين وقوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم) جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الأفواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به إما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفى متحدان ذاتاً وإن اختلفا مظهرأ وإما القول الملفوظ فقط فالمنفى حينئذ منشؤه الذى لا ينفك عنه القول أصلاً وإنما عبر عنه به إبانة لما بينهما من شدة الاتصال أى يتفوهون بقول لا وجود له أو لمنشئه في قلوبهم أصلاً من الأباطيل التى من جملتها ما حكى عنهم آنفاً فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذباً بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل (واقلعوا أذانهم) زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف أقوالهم من فنون الشر والفساد إثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض ما يكتُمونه من أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشهادة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الإجمال وأن تفاصيل ذلك

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

آل عمران ٢٣

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

آل عمران ٢٣

- وكيفياته مختصة بالعلم الإلهي (الذين قالوا) مرفوع على أنه بدل من واو يكتُمون أو خبر لمبتدأ محذوف ١٦٨
- وقيل مبتدأ خبره قل فادروا بمحذوف العائد تقديره قل لهم الخ أو منصوب على الذم أو على أنه نعت للذين نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل من ضمير أفواهم أو قلوبهم كما في قوله [على جوده لضم بالماء حاتم] والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه (إخوانهم) أي لا جملهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء (وقعدوا) حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال (لو أطاعونا) أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك (ماقتلوا) كالم نقتل وفيه إيدان بأنهم أمروهم بالانخزال حين انخزلوا وأغروهم كما غروا وحمل القعود على ما استصوبه ابن أبي عند المشاورة من الإقامة بالمدينة ابتداء وجعل الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فإنها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع أن ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على أن تخصيص عدم الطاعة بإخوانهم ينادى باختصاص الأمر أيضاً بهم فيستحيل أن يحمل على ما خوطب به النبي ﷺ عند المشاورة (قل) تبكيئنا لهم وإظهار الكذبهم (فادروا عن أنفسكم الموت) جواب لشرط قد حذف
- تعويلا على ما بعده من قوله تعالى (إن كنتم صادقين) كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فيما ينبيء عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عن أنفسكم فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقاً بسبب خاص مؤقتاً بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلهم كان بسبب أنه لم يكن مكتوباً عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعة ودمع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سبباً للنجاة والقعود مؤدياً إلى الموت . روى أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقاً وقيل أريد إن كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوك وقعدوا القتل قاعدون كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادروا عن أنفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا مدفاعين لأسباب الموت فادروا جميع أسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص
- (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون ١٦٩
- الناس منه ليس بما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يجدي ولا يغني وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطالب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

آل عمران ٢٣

- الإسناد إلى ضميره عليه السلام أو ضمير من يحسب وقيل إلى الذين قتلوا والمفعول الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جازا الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبهم الذين قتلوا أمواتا أى لا يحسن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا على أن المراد من توجيه النهى إليهم تنبيه السامعين على أنهم أحقاء بأن يسلموا بذلك ويشعروا بالحياة الأبدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لافى جميع أوقاتهم بل عند ابتداء القتل إذ بعد تبين حالهم لم لا يبقى الاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرىء قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين (بل أحياء) أى بل هم أحياء وقرىء منصوبا أى بل أحسبهم أحياء على أن الحسبان بمعنى اليقين كما فى قوله [حسبت التقى والمجد خير تجارة] رباحا إذا مال المرء أصبح ناظلا |
- أو على أنه وارد على طريق المشاكلة (عند ربهم) فى محل الرفع على أنه خبر ثان للبتدأ المقدر أو صفة لأحياء أو فى محل النصب على أنه حال من الضمير فى أحياء وقيل هو ظرف لأحياء أو للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم مزبد تكريمة لهم (يرزقون) أى من الجنة وفيه تأكيد لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم .
- قال الإمام الواحدى الأصح فى حياة الشهداء ما روى عن النبي ﷺ من أن أرواحهم فى أجواف طيور خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون . وروى عنه عليه السلام أنه قال لما أصيب لإخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طيور خضر تدور فى أنهار الجنة وروى ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وفيه دلالة على أن روح الإنسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه إداركه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجريد النفوس البشرية يقول المراد أن نفوس الشهداء تتمثل بطيور أخضر أو تتعلق بها فتلتذ بها ذكر وقيل المراد أنها تتعلق بالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو
- ١٧٠ ● شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا (ويستبشرون)
- يسرون بالبشارة (بالذين لم يلحقوا بهم) أى بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم (من خلفهم) متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم أو بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا أى لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين فى الدنيا (أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)
- بدل من الذين بدل اشتغال مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وأن هى المخففة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية أى ويستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب أو لا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التى يجب أن يرغب فيها فضلا

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

آل عمران

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

آل عمران

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

آل عمران

- عن أن تخاف وتحذر أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً فإن النفي وإن دخل على نفي المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام (يستبشرون ١٧١ بنعمة) كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقاً بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم بياناً لبعض ما أجمل فى قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة منه تعالى (وفضل) أى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) بفتح أن عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيدان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطاً لما نالوه من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية أجورهم على إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الأخوة فى الدين وقرىء بكسرها على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجر لهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المزمين بالفلاح ما لا يخفى (الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح) صفة مادحة للمؤمنين ١٧٢ لا مخصصة أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى (الذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) بجملة ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقيد لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون . روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأراد أن يرهبهم ويريمهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج فى طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج ﷺ مع جماعة حتى بلغوا حراء الأسد وهى من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فزلت (الذين قال لهم الناس) يعنى الركب الذين ١٧٣

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ٢٣ عمران

- استقبلوهم من عبد قيس أو نعيم بن مسعود الأشجعي وإطلاق الناس عليه لما أنه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد أو لأنه انضم إليه ناس من المدينة وأذا عوا كلامه (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روى أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل إن شئت فقال عليه السلام إن شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فالتقى الله تعالى في قلبه الرعب وبداله أن يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمراً فسأله ذلك والتزم له عشرأ من الإبل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم أتوكم في دياركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أقروا أن تخرجوا وقد جمعوا لكم ففروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لا أخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين راكباً كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل . قيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار (فراهم إيماناً) الضمير المستكن للقول أو لمصدر قال أو لفاعله
- إن أريد به نعيم وحده والمعنى أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم وأظهروا حمية الإسلام وأخلصوا النية عنده وهو دليل على أن الإيمان يتفاوت زيادة ونقصاناً فإن ازدياد اليقين بالإلف وكثرة التأمل وتناصر الحجج بما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
- (وقالوا حسبنا الله) أي حسبنا الله وكافياً من أحسبه إذا كفاه والدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) أي نعم الموكل وإليه والمخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل (فانقلبوا) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي فخرجوا إليهم ووافوا الموعد . روى أنه عليه الصلاة والسلام وافي بجيشه بدرأ وأقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً والباء في قوله تعالى (بنعمة) متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا
- والتنوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدتها التنكير بالفخامة الإضافية
- أي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم (وفضل) أي ربح في التجارة وتنكيره أيضاً للتفخيم (لم يمسسهم سوء) حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال إذا كان مضارعاً منفياً بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء وعنده ما في هذه الآية
- الكريمة وفي قوله تعالى ورده الله الذين كفروا بغضهم لم ينالوا خيراً (واتبعوا) في كل ما أتوا من قول وفعل (رضوان الله) الذي هو مناط الفوز بخير الدارين (والله ذو فضل عظيم) حيث تفضل عليهم

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ آل عمران
وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا
فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ آل عمران

- بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين وإظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرّموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروى أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضى عنهم (إنما ذلكم) إشارة إلى المشبط أو إلى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى ١٧٥ (الشیطان) إما خبره وقوله تعالى (يخوف أوليائه) جملة مستأنفة مبينة لشيظنته أو حال كما في قوله تعالى ● فلك بيوتهم خاوية الخ وإما صفته والجملة خبره ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان أي إبليس والمستكن في يخوف إما المقدر وإما الشيطان بحذف الراجع إلى المقدر أي يخوف به والمراد بأوليائه إما أبو سفيان وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أي يخوفكم أوليائه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده قوله تعالى (فلا تخافوهم) أي أوليائه (وخافون) في مخالفة ● أمرى وإما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف أي يخوفهم الخروج مع رسول الله ﷺ والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني أي فلا تخافوهم فتعدوا عن القتال وتجنبوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي أو الانتهاء على ما قبلها فإن كون المخوف شيطانياً مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه (إن كنتم مؤمنين) فإن الإيمان ● يقتضى إثبات خوف الله تعالى على خوف غيره ويستدعى الأمن من شر الشيطان وأوليائه (ولا يحزنك) ١٧٦ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ لتشريفه بتخصيصه بالتسليّة والإيذان بأصالته في تدبير أمور الدين والاهتمام بشئونه (الذين يسارعون في الكفر) أي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه ● وشدة رغبتهم فيه وإثارة كلبة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملاستهم له في مبدأ المسارعة ومنتها كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإن ذلك مؤذن بملاستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعفها وأما إثارة كلبة إلى في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يأياها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الإسلام والتعبير عنهم بذلك للإشارة بما في حيز الصلة إلى مظنة وجود المنهى عنه واعترائه لرسول الله ﷺ أي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم إلى تمشية أحكامه ومظاهرهم لأهله وتوجيه النهي إلى جمعتهم مع أن المقصود نهيهم عليه الصلاة والسلام عن التأثر منهم للبالغة في ذلك لما أن

٢٣ آل عمران

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْعًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾

- النهى عن التأثير نهى عن التأثير بأصله ونفى له بالمرّة وقد يوجه النهى إلى اللازم والمراد هو النهى عن الملزوم كما في قولك لا أرينك ههنا وقرأ لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاى والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزناً كما في دهنه أى جعل فيه دهنًا ومعنى أحزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن (إنهم لن يضرروا الله) تعليل للنهى وتكميل للتسليّة
- بتحقيق نفى ضررهم أبداً أى لن يضرروا بذلك أولياء الله البتة وتعليل نفى الضرر به تعالى لتشريفهم والإيدان
 - بأن مضارّتهم بمنزلة مضارّته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسليّة وقوله تعالى (شيئاً) في حيز النصب على المصدرية أى شيئاً من الضرر والتشكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار أى بشىء ما أصلاً وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكة تعالى وسلطانه شيئاً كما روى أبو ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال يقول الله تعالى لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً والاول هو الانسب بمقام التسليّة والتعليل (يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة)
 - استئناف مبين لسرا بتلاّهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الإيدان بكال خلوص الداعى إلى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما إرادة أرحم الراحمين مالا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها أى يريد الله بذلك أن لا يجعل لهم في الآخرة حظاً من الثواب
 - ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون إلى أن يهلكوا على الكفر (ولهم) مع ذلك الحرمان الكلى (عذاب عظيم) لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشىء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية للنسابة وتنبهاً على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة إمامة مبتدأة مبيّنة لحظهم من العقاب إثريان أن لاشىء لهم من الثواب وإما حال من الضمير في لهم أى يريد الله حرمانهم من الثواب
- ١٧٧ معدّ لهم عذاب عظيم (إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان) أى أخذوه بدلا منه رغبة فيما أخذوه وإعراضاً عما تركوه وقدم تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة
- بالهدى مستوفى (لن يضرروا الله شيئاً) تفسيره كما مر غير أن فيه تعريضاً ظاهراً باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وإنما يضرّون أنفسهم فإن جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بأن يراد باشتراء الكفر بالإيمان إثاره عليه إما بأخذه بدلا من الإيمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القرينة منه الحاصلة بمشاهدة دلالة في التوراة كما هو شأن اليهود ومناقضهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فإن ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في حقوق ضرره بأنفسهم وعدم تعديده إلى غيرهم أصلاً كيف لا وهو علم في الخسران الكلى والحرمان الأبدى دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأى ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهى أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب الجوّ وإن أجرى الموصول على

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ

١٧٨

عمومه بأن يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للبعينين المذكورين ولأخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الإيمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررمة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الأحكام هذا وقد جوز كون الموصول الأول عاماً للكفار والثاني خاصاً بالمعويدين وأنت خير بأنه مع خلوه عن النسكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما أن صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لإيراث الحزن لرسول الله ﷺ كما يفهم من النهي عنه إنما يتصور ممن علم اتصافه بها وأما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الآماكن البعيدة فإسناد المسارعة المذكورة إليهم باعتبار كونها من مبادئ حزنه عليه السلام مما لا وجه له وقوله تعالى (ولهم عذاب أليم) جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية إيلامه بعد ذكر نهاية عظمه . قيل لما جرت العادة باغتياب المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وتآلمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالإيلام مراعاة لذلك (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم) عطف على ١٧٨ قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند إلى الموصول وأن بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيوييه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر أو مسداً أحدهما والآخر محذوف عند الاختفش وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لا تباع الإمام أي لا يحسبن الكافرون أن إملأنا لهم أو أن مانمليه لهم خيراً لأنفسهم أو لا يحسبن الكافرون خيرية إملأنا لهم أو خيرية مانمليه لهم ثابتة أو واقعة ومآله نهيمهم عن السرور بظاهر إملأته تعالى لهم بناء على حسابان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان أنه شربحت وضرر محض كما أن مآل المعطوف عليه نهى الرسول ﷺ عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول إما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلى أحكام المعويدين اندراجاً أولياً وإما المعويدون خاصة فإيثار الإظهار على الإضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الإملأ الذي هو عبارة عن إملأهم وتخليتهم وشأنهم دهرأ طويلاً فإن المقارن له دائماً إنما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فإنهما من الأحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرىء لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله ﷺ وهو الأنسب بمقام التسلية أو لكل من يتأق منه الحسابان قصداً إلى إشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وإنما نملي لهم إما بدل منه وحيث كان التعويل على البديل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى أم تحسب أن أكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض وإما مفعول ثان بتقدير مضاف إما فيه أي لا تحسبن

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذِرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

آل عمران

الذين كفروا أصحاب أن الإملاء خير لأنفسهم أو في المفعول الأول أى لا تحسبن حال الذين كفروا أن الإملاء خير لأنفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم (إنما نملى لهم ليزدادوا إثماً) استئناف مبين لحكمة الإملاء وما كافة واللام لام الإرادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرىء بفتح الهمزة ههنا على إيقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على أنه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بإبطال الحسبان وورده على معنى لا يحسبن الكافرون أن إملاءنا لهم لازدياد الإثم حسباً هو شأنهم بل إنما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الإيمان (ولهم) في الآخرة (عذاب مهين) لما تضمن الإملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعى التعزز والتعبر وصف عذابهم بالإهانة ليكون جزاؤهم جزاءً وفاقاً والجملة إما مبتدأة مبنية لحالهم في الآخرة إثر بيان حالهم في الدنيا وإما حال من الواو أى ليزدادوا إثماً معداً لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الأخيرة (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه) كلام مستأنف ١٧٩ مسوق لوعده المؤمنين ووعدته المنافقين بالعقوبة الدنيوية التى هى الفضيحة والخزى إثر بيان عقوبتهم الآخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون وأما الخطاب فقد قيل إنه لجمهور المصدقين من أهل الإخلاص وأهل النفاق ففيه التفات فى ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم بعضاً واستواؤهم فى إجراء أحكام الإسلام عليهم إذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل إنه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي وأكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار وإلا فلا شركة بين المؤمنين والمنافقين فى أمر من الأمور والمراد بما هم عليه مامر من القدر المشترك فإنه كما يجوز نسبته إلى الفريقين معاً يجوز نسبته إلى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فإن المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم فى ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل إنه للمؤمنين خاصة وهو قول أكثر أهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لإيمانهم قبل الخطاب للإشعار بعلّة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والأول هو الأقرب وإليه جنح المحققون من أهل التفسير لكونه صريحاً فى كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الأخيرين فإنهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقين هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الإيمان والإخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فإنما يفهم من حيث الانتساب إلى أحدهما لا من حيث الانتساب إليهما معاً وعليه يدور أمر الاختلاط المحجوج إلى الإفراز واللام فى ليندراماً متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدره أى ما كان الله مريداً أو متصدياً لأن يذر المؤمنين الخ ففى توجيه التنى إلى إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست فى توجيهه إلى نفسه

- وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأى الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل (حتى يميز الخبيث من الطيب) غاية لما يفيدُه النفي المذكور ● كأنه قيل ما يتركهم الله تعالى على ذلك الاختلاط بل يقدر الأمور ويرتب الأسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به وإشعار بعلّة الحكم وإفراد الخبيث والطيب مع تعدد ما أريد بكل منهما وتكثيره لاسيما بعد ذكر ما أريد بأحدهما أعني المؤمنين بصيغة الجمع للإيذان بأن مدار إفراز أحد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد أحدهما كما في مثل قوله تعالى ذلك أدنى أن لا تقولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء أو غيرهم وتعليل الميز بالخبيث للمعبر به عن المنافق مع أن المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وإفرازهم عن المنافقين لما أن الميز الواقع بين الفريقين إنما بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال إلى حال مغايرة للأولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من أصل الإيمان وإن ظهر مزید إخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال إلى حال أخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستنار ولأن فيه مزید تأكيد للوعيد كما أشير إليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وإنما لم ينسب عدم الترك إليهم لما أنه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب إليه فإن المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشریفاً لهم وقوله عز وجل (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) إشارة إلى كيفية وقوعه على سبيل الإجمال وإظهار الاسم الجليل في الموضعين لترية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافيين بل يربط المبادئ حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك بإطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحى إلى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الأقوال والأفعال حسبما حكى عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رءوس الأشهاد ويخلصكم من خسة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتناب للإيذان بأنه الوقوف على أمثال تلك الأسرار الغيبية لا يتأتى إلا بمن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الأمم واصطفاه على الجماهير لإرشادهم وتعميم الاجتناب لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على أن شأنه عليه السلام في هذا الباب أمر متين له أصل أصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الأمر في قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله) مع أن سوق النظم الكريم للإيمان بالنبي ﷺ لإيجاب الإيمان به بالطريق البرهاني ● والإشعار بأن ذلك مستلزم للإيمان بالكل لأنه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه الصلاة والسلام والمأمور به الإيمان بكل ما جاء به عليه الصلاة والسلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما أخبر به من أحوال المنافقين دخولا أولاً هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز أن يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكليف الصعبة التي لا يصبر عليها إلا الخالص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال في سبيل الله تعالى

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ٢٣ عمران

- فيجعل ذلك عياراً على عقائدكم وشاهداً بضائركم حتى يعلم بعضكم بما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فإن ذلك مما استأثر الله تعالى به وأنت خير بأن الاستدراك باجتهاد الرسل المنبي عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق إثر بيان قصور تبتم عن الوقوف على خفايا السرائر صريح في أن المراد لإظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي إلى خروج أسرارهم عن رتبة الخفاء وأقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على أن تكون مسوقة لبيان الحكمة في إملائه تعالى للكفرة إثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط أبداً كما تركهم كذلك إلى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلى الكفرة وشأنهم فأبرز لهم صورة الغلبة فأظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبايا وافتضحوا على رؤوس الأشهاد وقيل قال الكافرون إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فزلات (وإن تؤمنوا) أي بما ذكر حق الإيمان (وتتقوا) أي عدم مراعاة حقوقه أو النفاق (فلكم) بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى (أجر عظيم) ١٨٠ لا يبلغ كنهه (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم) بيان لحال البخل ووخامة عاقبته وتخطئة لأهله في توهم خيريته حسب بيان حال الإملاء وإيراد ما بخلوا به بعنوان إيتاء الله تعالى إياه من فضله للبالغ في بيان سوء صنيعهم فإن ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند إلى الموصول والمفعول الأول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع إليه أي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخل فيه أو استحقاق له هو خيراً لهم من إنفاقه وقيل الفعل مسند إلى ضمير النبي ﷺ أو إلى ضمير من يحسب والمفعول الأول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب أي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم (بل هو شر لهم) التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للبالغ في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) بيان لكيفية شريته أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام الطوق على أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للإيذان بكال المناسبة بينهما وروى عن النبي ﷺ أنه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله له شجاعاً في عنقه يوم القيامة وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية في عنقه تنهشه من قرنه إلى قدمه وتقرر رأسه وتقول أنا مالك (ولله) وحده لا لأحد غيره استقلالاً أو اشتراكاً (ميراث السموات والأرض) أي ما يتوارثه أهلها من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها أهل السموات والأرض فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة (والله بما تعملون) من المنع والبخل (خبير) فيجازيكم على ذلك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾

آل عمران ٢

آل عمران ٣

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

- لترية المهابة والالفتات للمبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرىء بالياء على الظاهر (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) قالته اليهود لما سمعوا قوله ١٨١ تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً وروى أنه عليه السلام كتب مع أبي بكر رضى الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً فقال فنحاص إن الله فقير حتى سألنا القرض فلطمه أبو بكر رضى الله عنه في وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله ﷺ وجحد ما قاله فتزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحداً لرضا الباقيين بذلك والمعنى أنه لم يخف عليه تعالى وأعدله من العذاب كفاه والتعبير عنه بالسمع للإيذان بأنه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بأن يسمعه سامع والتوكيد القسمى للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد (سنكتب ما قالوا) أى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظه أو سنحفظه ونثبته ● في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيدي أن يفوتنا أبداً تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم وال هول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى (وقتلهم الأنبياء) إيذاناً بأنهم أفي العظم أخوان وتنبهاً على أنه ليس بأول جريمة ارتكبوها ● بل لهم فيه سوابق وأن من اجتراً على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم وقوله تعالى (بغير حق) متعلق بمحذوف وقع حالاً من قتلهم أى كائناً بغير حق في اعتقادهم أيضاً كما هو في نفس الأمر وقرىء سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع (ونقول ذوقوا عذاب الحريق) أى ومنتقم منهم بعد الكتابة بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق ● كما أذقم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرىء ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول (ذلك) إشارة إلى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول ١٨٢ والفضاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما قدمت أيديكم) أى بسبب ما اقترتموه من قتل الأنبياء والتفوه ● بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن النفس بالأيدي لما أن عامة أفاعيلها تراول بهن ومحل أن في قوله تعالى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي ● مقرر لمضمون ما قبلها أى والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلاع كونه ظالماً بالغالبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الإثابة على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمال غير موجهة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ ٢٣ عمران
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ ٢٣ عمران

المبالغة لنا كيد هذا المعنى يبرز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها للمبالغة كما لا كيفاً هذا وقد قيل محل أن الجر بالعطف على ما قدمت وسببته للعذاب من حيث أن نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضى لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فإن ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعاً ولا عقلاً حتى ينتهض نفي الظلم سبباً للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الأنفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى إليها إذ لولاها لا يمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم وأنت خير بأن إمكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج إلى اعتبار عدمه معه وإنما يحتاج إلى ذلك أن لو كان المدعى أن جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين (الذين قالوا) ١٨٣ نصب أو رفع على الذم وهم كعب بن الأشرف ومالك بن صيفي وحيي بن أخطب وفتحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا (إن الله عهد إلينا) أي أمرنا في التوراة وأوصانا (أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) كما كان عليه أمر أنبياء بني إسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتزل نار من السماء فتأكله أي تحمله إلى طبعها بالإحراق وهذا من مفترياتهم وأباطيلهم فإن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان إلا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل أن عدم إيمانهم برسول الله ﷺ لعدم إتيانه بما قالوا ولو تحقق الإتيان به لتحقق الإيمان رد عليهم بقوله تعالى (قل) أي تبسكتنا لهم وإظهاراً لكذبهم (قد جاءكم رسل) كثيرة العدد كبيرة المقدار (من قبلي بالبينات) أي المعجزات الواضحة (وبالذي قلتم) بعينه من القربان الذي تأكله النار (فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين) فيما يدل عليه كلامكم من أنكم تؤمنون لرسول يأتكم بما اقترحتموه فإن زكريا ويحيى وغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاءوكم بما قلتم مع معجزات أخر فها لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم (فإن كذبوك) شروع في تسليية رسول الله ﷺ إثر ما أوحى إليه ما يحزنه عليه الصلاة والسلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى (فقد كذب رسل من قبلك) تعليل لجواب الشرط أي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب أو بمحذوف صفة لرسل أي كائنة من قبلك (جاءوا بالبينات) أي المعجزات الواضحات صفة لرسل (والزبر) هو جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته إذا حسنته وقيل زبر المواعظ والزواجر من زبرته إذا زجرته (والكتاب المنير) قيل أي التوراة والإنجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والأحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرى وبالزبر بإعادة الجار دلالة على أنها مغايرة بالذات

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾
لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَذَى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَلَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

آل عمران

آل عمران

- الليينات (كل نفس ذائقة الموت) وعدا ووعدا للمصدق والمكذب وقرىء ذائقة الموت بالتنوين وعدمه ١٨٥
- كما في قوله [ولا ذا كراهة إلا قليلا] (ولإنما توفون أجوركم) أى تعطون أجزية أعمالكم على التهام والكمال
- (يوم القيامة) أى يوم قيامكم من القبور وفى لفظ التوفية إشارة إلى أن بعض أجورهم يصل إليهم قبله
 - كما يبنى عنه قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (فمن زحزح
 - عن النار) أى بعد عنها يومئذ ونجى والزحزحة فى الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ
 - فَقَدْ فَازَ) بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي ﷺ من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل
 - الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه (وما الحياة الدنيا)
 - أى لذاتها وزخارفها (إلا متاع الغرور) شبهت بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويفرح حتى يشتره وهذا من
 - آثارها على الآخرة فأما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور إما مصدر أو جمع غار (لتبلون) شروع ١٨٦
 - فى تسلية رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكارة إثر تسليتهم
 - عما قد وقع منهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقاءه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات
 - فإن هجوم الأوجال مما يزلزل أقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب وأصل الابتلاء
 - الاختبار أى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً ملاسته ومقارفته وذلك إنما
 - يتصور حقيقة مما لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من جهة العلم الخبير فلا يكون إلا مجازاً من تمكنه
 - للعبد من اختيار أحد الأمرين أو الأمور قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مبادئ العادية كما مر والجملة
 - جواب قسم محذوف أى والله لتبلون أى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق
 - والأعمال الحسنة وفائدة التوكيد إما تحقيق معنى الابتلاء تهويناً للخطب وإما تحقيق وقوع المبتلى به
 - مبالغة فى الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد (فى أموالكم) بما يقع فيها من ضروب الآفات
 - المؤدية إلى هلاكها وأما إنفاقها فى سبيل الخير مطلقاً فلا يليق نظماً فى سلك الابتلاء لما أنه من باب
 - الأضعاف لا من قبيل الاتلاف (وأنفسكم) بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أصناف المتاعب
 - والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الأموال لكثرة وقوع الهلكة فيها (ولتسمعن من الذين أوتوا
 - الكتاب من قبلكم) أى من قبل إيتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للإشعار بمدار
 - الشقاق والإيذان بأن بعض ما يسمعونهم منهم مستند على زعمهم إلى الكتاب كما فى قوله تعالى إن

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿١٨٧﴾

آل عمران

- الله عهد إلينا الخ والتصريح بالقبلة لنا كيد الإشعار وتقوية المدارفان قدم نزول كتابهم بما يؤيد تمسكهم به (ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) من الطعن في الدين الخفيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف وأضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله ﷺ ونحو ذلك مما لا خير فيه (وإن تصبروا) أى على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التجميل (وتتقوا) أى تبتلوا إلى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث يتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه (فإن ذلك) إشارة إلى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجتكما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب إما باعتبار كل واحد من المخاطبين وإما لأن المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية أحوال المخاطبين (من عزم الأمور) من معزوماتها التى يتنافس فيها المتنافسون أى مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالعزم فيه يعنى أن ذلك عزمة من عزمات الله تعالى لا بد أن تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كأنه قيل وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فافعلوا أو فقد أحسنتم أو فقد أصبتم فإن ذلك الخ ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفى إيراد الأمر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية ١٨٧ من إظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى (وإذ أخذ الله) كلام مستأنف سيق لبيان بعض أذياتهم وهو كتمانهم ما فى كتابهم من شواهد نبوته عليه الصلاة والسلام وغيرها وإذ منصوب على المفعولية بمضمهر أمر به النبي ﷺ خاصة بطريق تجريد الخطاب إثر الخطاب الشامل له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة فى إيجاب ذكرها على ما مر بيانه فى تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل الخ أى اذكروا وقت أخذه تعالى (ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان إيتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح حالهم (لتبينته) حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم نبيء عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبينته (للناس) وتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التى من جهلتها أمر نبوته عليه الصلاة والسلام وهو المقصود بالحكاية وقرىء بالياء لأنهم غيب (ولا تكتُمونه) عطف على الجواب وإنما لم يؤكد بالنون لكونه منقياً كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتأكيد فى الأول لأنه تأكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين إما على إضمار مبتدأ بعد الواو أى وأنتم لا تكتُمونه وإما على رأى من جوز دخول الواو على المضارع المنقى عند وقوعه حالاً أى لتبينته غير كاتمين والنهى عن الكتمان بعد الأمر بالبيان

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَازِرَةٍ مِّنَ
الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

آل عمران ٢٣

- إما للبالغة في إيجاب الأمور به وإما لأن المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وبالكتمان المنهى عنه إلقاء التأويلات الزائفة والشبهات الباطلة وقرىء بالياء كما قبله (فنبذوه) ●
- النبذ الرمي والإبعاد أى طرخوا ما أخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التأكيذ والاقوه (وراء ظهورهم) ●
- ولم يراعوه ولم يلتفتوا إليه أصلاً فإن نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية كما أن جملة نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين وإظهار ما منجوه من العلم للناس أجمعين وحرمة كتبانه لغرض من الأغراض الفاسدة أو لطمع في عرض من الأعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي ﷺ من كتم علماً عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لو هب بن منبه إلى أرى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبياً فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت على علمه ولا يحل لجاهل أن يسكت على جملة حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجمل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا (واشتروا به) أى بالكتاب الذى أمروا ببيانه ونهوا عن كتبانه فإن ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وإيقاع الفعل على الكل مع أن المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عليه الصلاة والسلام ونحوها لما أن ذلك كتم للكل إذ به يتم الكتاب كما أن رفض بعض أركان الصلاة رفض لكلها أو بمنزلة كتم الكل من حيث إنهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموه أى تركوا ما أمروا به وأخذوا بدله (ثمناً قليلاً) أى شيئاً تافهاً حقيراً من حطام الدنيا وأعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لاسيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والإعراض عن المعطى والتعبير عن المشتري الذى هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذى شأنه أن يكون وسيلة إليه وجعل الكتاب الذى حقه أن يتنافس فيه المتنافسون مصحوباً بالبلاء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بإيثارهم الدنىء الحقيق على الشريف الخطير وتعكيسهم بمعلمهم المقصد الأصلى وسيلة والوسيلة مقصداً ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه (فبئس ما يشترون) مانكرة منصوبة مفسرة لفاعل ●
- بئس ويشترون صفتهم والمخصوص بالذم محذوف أى بئس شيئاً يشترونه ذلك الثمن (لا تحسبن) الخطاب ١٨٨
- لرسول الله ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح له (الذين يفرحون بما أتوا) أى بما فعلوا كما في قوله تعالى ●
- إنه كان وعده ما تبا ويدل عليه قراءة أبى يفرحون بما فعلوا وقرىء بما أتوا بمعنى أعطوا وبما أتوا أى أى بما أتوه من علم التوراة. قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك وأحبوا أن يوصفوا بالديانة والفضل روى أن رسول الله ﷺ سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا

الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتان
النصوص الناطقة بنبوته عليه الصلاة والسلام وأجوا أن يحمدوا بأنهم متبعون ملة إبراهيم عليه السلام
فالوصول عبارة عن المذكورين أو عن مشاهيرهم وضع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه
أعمالهم المحكية من العقاب الأخرى إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو
إصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة
وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للوصول عند المخاطب إيذاناً بشهرة اتصافهم
بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون
● كافة وهو الأنسب بظاهر قوله تعالى (ويحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا) لشهرة أنهم كانوا يفرحون بما فعلوا
من إظهار الإيمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان وهم عن فعله بألف معزل
وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالوصول عبارة عن طائفة معهودة من
المذكورين وغيرهم فإن أكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الأولى لإجراء الوصول على عمومه شاملاً
لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضائل
● منتظماً للمعويدين انتظاماً أولياً وأياً ما كان فهو مفعول أول لتحسين وقوله تعالى (فلا تحسبنهم) تأكيداً
● والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى (بمفاضة من العذاب) أي ملتبسين بنجاة منه على أن المفاضة مصدر
ميمى ولا يضر تأنيهاً بالناء لما أنها مبنيّة عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله [فلولا رجاء النصر
منك ورهبة * عقابك قد كانوا لنا بالموارد] ولا سيبل إلى جعلها اسم مكان على أن الجار متعلق بمحذوف
وقع صفة لها أي بمفاضة كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص ليصح به المعنى أي
بمفاضة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على
أن الخطاب شامل للمؤمنين أيضاً وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على أن الفعل له عليه الصلاة والسلام
أو لكل أحد من يتأق منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على أن الفعل للوصول
والمفعول الأول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفاضة أي لا يحسبن الذين يفرحون أنفسهم فآزين
وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيداً للمفعول والفاء زائدة كما مروى يجوز أن يحمل الفعل الأول على حذف المفعولين
معاً اختصاراً للدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله [بأي كتاب أو بأية سنة * ترى حبيهم عاراً
على وتحسب] حيث حذف فيه مفعولاً الثاني للدلالة مفعولي الأول عليهما أو على أن الفعل الأول
للرسول ﷺ أو لكل حاسب ومفعولاه الأول الوصول والثاني محذوف للدلالة مفعول الفعل الثاني عليه
والفعل الثاني مسند إلى ضمير الوصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانته عليه
السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفاضة وتصدير الوعيد بنهيم عن الحسبان المذكور للتنبيه
على بطلان آرائهم الركيكة وقطع أطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون أنهم ينجون بما صنعوا من
عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذه الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم وأمانته عليه السلام فالتعريض
● بحسبانهم المذكور للاحتمال وقوع الحسبان من جهته عليه السلام (ولهم عذاب أليم) بعد ما أشير

٢٣ آل عمران

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ٢٣ آل عمران

- إلى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق أن لهم فرداً منه لا غاية له في المدة والشدة كما تلوح به الجملة الاسمية والتشكيك التفضيلي والوصف (ولله) أى خاصة (ملك السموات والأرض) أى السلطان القاهر ١٨٩
- فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة تعذيباً وإثابة من غير أن يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررّة لما قبلها وقوله تعالى (والله على كل شيء قدير) تقرير لاختصاص ملك العالم الجثامى المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فإن كونه تعالى قادراً على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الأشياء يستدعى كون ما سواه كائناً ما كان مقدوراً له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة أن يشاركه شيء من الأشياء في القدرة على شيء من الأشياء فضلاً عن المشاركة في ملك السموات والأرض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الأليم لهم وعدم نجاتهم منه أثر تقرير وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من أحكام الألوهية مع ما فيه من الإشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير (إن في خلق السموات) جملة مستأنفة سيقّت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان ١٩٠
- القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها أى في إنشائها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الأمور التي يحار في فهم أجلاها العقول (والأرض) على ما هي عليه ذاتاً وصفة ●
- (واختلاف الليل والنهار) أى في تعاقبهما في وجه الأرض وكون كل منهما خلفه للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الأرض أوفى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إليها قرباً وبعداً بحسب الأزمنة أوفى اختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة إما في الطول والقصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالى أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه ولياليها وإما في أنفسها فإن كرية الأرض تقتضى أن يكون بعض الأوقات في بعض الأمكنة ليلاً وفي مقابلة نهاراً وفي بعضها صباحاً وفي بعضها ظهراً أو عصرأ أو غير ذلك والليل قيل إنه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرّة والليالى جمع جمع والصحيح أنه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالى جمع ليلة وهو جمع غريب كأنهم توهموا أنها ليلة كما في كيكه وكيكى كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار إما لأنه الأصل فإن غرر الشهور تظهر في الليالى وإما لتقدمه في الخلفية حسبما ينبى عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أى نزله منه فيخلفه (لآيات) ●
- اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتشكيك للتفخيم كما وكيفاً أى لآيات كثيرة عظيمة لا يقدر قدرها دالة على تعاقب شئونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾

آل عمران

التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما أن المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك وأما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالألوهية بيان انصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فإن ما فصل هناك من آيات رحمته تعالى كما أنه من آيات ألوهيته ووحدته (لأولى الألباب) أي لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين من العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المشابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين إلى شيء مما سواه إلا من حيث إنه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفاته كماله فإن كل ما ظهر في مظاهر الإبداع وحضر محاضر التكوين والاختراع - بيل - سوى إلى عالم التوحيد ودليل قوى على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع ومخبر بأنباء عليه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى بالطف إشارة مراعيًا في الحوار إلهامهم وتصريحهم وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشئون والأسرار إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار .

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال هل لك يا عائشة أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكن من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس لحمد الله تعالى وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بليت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم قال ومالي لا أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة إن في خلق السموات والأرض الخ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لا كها بين فسيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول إن في خلق السموات والأرض (الذين يذكرون الله) الموصول إما موصول بأولى الألباب مجرور على أنه نعت كاشف له بما في حيز الصلة وإما مفصول عنه مرفوع أو منصوب على المدح أو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل مالا يخفى وأياً ما كان فقد أشير بما في حيز صلته أن

المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقانهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا بأن كل ما سواه فائض منه وعائد إليه فلا يشاهدون حالا من الأحوال في أنفسهم وإليه أشير بقوله عز وجل (قياماً وقيوداً وعلى جنوبهم) ولا في الآفاق وإليه أشير بما بعده إلا وهم يعاينون في ذلك شأننا من شئونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقاً سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات والأفعال وسواء قارنه الذكر اللساني أو لا وأما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضى الله عنهم من أنهم خرجوا يوم العيد إلى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم أما قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياماً وقيوداً فقاموا يذكرون الله على أقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وإنما أرادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الإتيان بفرد من أفراد مدلولها وأما حمل الذكر على الصلاة في هذه الأحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب تومىء إيماء فيما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كقيام ورقود جمع قائم وراقود وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون أى يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحاليين أى وكائنين على جنوبهم أى مضطجعين والمراد تعميم الذكر للأوقات كما مروى تخصيص الأحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لأنها الأحوال المعهودة التى لا يتخلو عنها الإنسان غالباً (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة ● فلا محل له من الإعراب وقيل محله النصب على أنه معطوف على الأحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكيرهم في أفعاله سبحانه إثر بيان تفكيرهم في ذاته تعالى على الإطلاق وإشارة إلى نتيجه التى يؤدى إليها من معرفة أحوال المعاد حسبما نطقت به أسنة الرسل وآيات الكتب فكما أنها آيات تشرىعية هادية للخلق إلى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم إلى ذلك فالأولى منبهات لهم على الثانية ودواع إلى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها بما ورد في مواضع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للأولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فإن من تأمل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتى والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على إنشائه بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتجيه فهو على أعادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هى جزاء المسكفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم أى علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارتهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والآمارات والمخايل وسائر أعمالهم المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي بل هو أشرف أفرادها لما أن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به ومن قضية كون الأولى أشرف من الثانى كون عمله أيضاً أشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التى هى أول الواجبات على العباد والغاية

القصوى من الخلق على ما نطق به عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أى ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف خلقت الخلق لأعرف وإنما طريقها النظر والتفكير فيما ذكر من شئونه تعالى وقد روى عنه عليه السلام أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير فى أمر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا عبادة مثل التفكير وقد عرفت أنه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة وإلا لما فسر النبي ﷺ قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله تعالى فإن التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة لحيث تنصادق الآيات التكوينية وتتوافق الأدلة السمعية والعقلية وهو السر فى نظم ما حكى عن المتفكرين من الأمور المستدعية للإيمان بالشريعة فى سلك نتيجة تفكيرهم كما ستقف عليه وإظهار خلق السموات والأرض مع كفاية الإضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم والإبذان بكون تفكيرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لإدراج اختلاف الملوين فى سلك التفكير مع ذكره فيما سلف إما للإبذان بظهور اندراج فيه لما أن ذلك من الأحوال التابعة لأحوال السموات والأرض كما أشير إليه وإما للإشعار بمسارعتهم إلى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكيرهم فى بعض الآيات من غير حاجة إلى بعض آخر منها فى إثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله أى يتفكرون فى إنشائهما وإبداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن الإضافة بمعنى فى أى يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها بيانية (ربنا ما خلقت هذا باطلا) كلمة هذا إشارة إلى السموات والأرض متضمنة لضرب من التعظيم كما فى قوله تعالى إن هذا القرآن يهتدى للتي هى أقوم والتذكير لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق وباطلا إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أو حال من المفعول به أى ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثاً عارياً عن الحكمة خالياً عن المصلحة كما ينبىء عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكير فيه بل منتظماً لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جهاتها أن يكون مداراً للمعاش العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلهية كما تحققته مفصلاً والجملة بتامها فى حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتاً لأولى الأبواب استئناف مبين لنتيجة التفكير ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة فى خلق العالم بأولى الأبواب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكير فى محال تلك الآيات تبقى مترتبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل فإذا يكون عند تفكيرهم فى ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبىء عن وقوفهم على سر الخلق المؤدى إلى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الأحكام الشرعية على التفصيل الذى وقفت عليه هذا وأما جعله حالاً من المستكن فى الفعل كما أطبق عليه الجمهور فما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن ما فى حيز الصلة وما هو قيد له حقه أن يكون من مبادئ

آل عمران ٢

﴿١٩٢﴾

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾

آل عمران ٣

﴿١٩٣﴾

سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنا مَعَ الْأَبْرَارِ

- الحكم الذى أجرى على الموصول ودواعى ثبوته له كذكرهم الله عز وجل فى عامة أوقاتهم وتفكرهم فى خلق السموات والأرض فإنهما مما يؤدى إلى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولارىب فى أن قولهم ذلك ليس من مبادئ الاستدلال المذكور بل من نتائج المترتبة عليه فاعتباره قيداً لما فى حين الصلة مما لا يلىق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعاً أو منصوباً على المدح أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف إذ لا اشتباه فى أن قولهم ذلك من مبادئ مدحهم ومحاسن مناقبهم وفى إبراز هذا القول فى معرض الحال دون الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلغى وتردد فى ذلك وقوله تعالى (سبحانك) أى تنزيهاً لك عما لا يلىق بك من الأمور التى من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكّد لمضمون ما قبله ومهد لما بعده من قوله تعالى (فقننا عذاب النار) فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعى الاستعاذة مما يحيق بالخليلين بذلك من وجهين أحدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثانى الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعى أعنى الوقاية على ذلك كأنه قيل وإذ قد عرفنا شرك وأطعنا أمرك ونزهنالك عما لا ينبغى فقننا عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت) مبالغة فى استعداد الوقاية وبيان لسببه وتصدير ١٩٢ الجملة بالنداء للبالغة فى التضرع والجوار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيدان بشدة الخوف وإظهار النار فى موضع الإضمار لتحويل أمرها وذكر الإدخال فى مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته . قال الواحدى للإخزاء معانٍ متقاربة يقال أخزاء الله أى أبعدوه وقيل أهانوه وقيل أهلكه وقيل فضحه . قال ابن الأنبارى الخزى لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع فى بلاء والمعنى فقد أخزيتهم خزباً لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أى المرعى الذى لا مرعى بعده وفيه من الإشعار بفضاعة العذاب الروحانى ما لا يخفى وقوله تعالى (وما للظالمين من أنصار) نذيل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستعداد ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لدمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء فى غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أى ما ظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمداينة والقهر فليس فى الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار (ربنا إننا ١٩٣ سمعنا منادياً ينادى للإيمان) حكاية لدعاء آخرهم مبنى على تأملهم فى الدليل السمعى بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكير فى الأدلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ آل عمران

والتأكيد للإيذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما بإلى لتضمنهما معنى الإنهاء وباللام لاشتغالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادى الرسول ﷺ وتنوينه للتفخيم وإيثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتناؤه بشأن الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي لما فيه من الإيذان برفع الصوت وينادي صفة لمنادياً عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلاً يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالاً منه كما إذا قلت سمعت زيداً يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي وأتباعه وهذا أسلوب بديع يصار إليه للبالغ في تحقيق السماع والإيذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتنويع إلى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالنداء للإيمان على طريقة قولك سمعت متكلماً يتكلم بالحكمة لما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول وقيل المنادى القرآن العظيم (أن آمنوا) أى آمنوا على أن تفسيرية أو بأن آمنوا على أنها مصدرية (بربكم) بما لكم ومتولى أموركم ومبلغكم إلى الكمال وفي إطلاق الإيمان ثم تقييده تفخيم لشأنه (فآمنوا) أى فآمننا بأمره وأجبنا نداءه (ربنا) تكرير للتضرع وإظهار لجمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به والفاء في قوله تعالى (فاغفر لنا) لترتيب المغفرة أو الدعاء بها على الإيمان به تعالى والإقرار بربوبيته فإن ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها (ذنوبنا) أى كبائرنا فإن الإيمان يجب ما قبله (وكفر عنا سيئاتنا) أى صغائرنا فإنها مكفرة عن مجتنب الكبائر (وتوفنا مع الأبرار) أى مخصوصين بصحبهم مغنمين لجوارهم معدودين من زميرتهم وفيه إشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ١٩٤ والأبرار جمع بار أو بر كأصحاب وأرباب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مراراً والمراد بالموعود الثواب وعلى إمام متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة أى وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف أى وعدتنا وعداً كائناً على السنة رسلك وقيل التقدير منزلاً على رسلك أو محمولا على رسلك ولا يخفى أن تقدير الأفعال الخاصة في مثل هذه المواقف تعسف وجمع الرسل مع أن المنادى هو الرسول ﷺ وحده لما أن دعوته عليه السلام لاسيما في باب التوحيد وما أجمع عليه الكل من الشرائع منظوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد أخذ منهم الميثاق بالإيمان به عليه السلام لقوله تعالى وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وإيثار الجمع لإظهار كمال الثقة بإنجاز الموعود بناء على كثرة الشهود (ولا تخزينا يوم القيامة) قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين أنهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلوكهم يومئذ وقوله تعالى (إنك لا تخلف الميعاد) تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مَّن ذَكَرَ أَوْ أُنتِنِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَدِينَ
هَاجِرُوا وَأَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتْلُوا وَقَتْلُوا لَا كَفَرْنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلَتْهُمْ
جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ آل عمران

والابتهال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد بل لخوفهم من أن لا يكونوا من جملة الموعددين بتغير
الحال وسوء الخاتمة والمآل فرجعوا إلى الدعاء بالثبوت أولدبالغة في التبعد والخشوع والميعاد الوعد
وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزه أمر
فقال ربنا خمس مرات أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد وقرأ هذه الآية (فاستجاب لهم ربهم) ١٩٥
الاستجابة بمعنى الإجابة وقال تاج القراء الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المستول وتعدى
باللام وبفسها كما في قوله [فلم يستجبه عند ذاك مجيب] وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف
مترتب على ما في حيزه من الأدعية كما أن قوله عز وجل ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر
قبل الآن أى قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما أن قوله تعالى في سورة الأعراف ونطبع
على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى أو لم يهد لهم الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ
ولا ضير في اختلافهما صيغة لما أن صيغة المستقبل هناك الدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء
وصيغة الماضي ههنا للإيذان بتحقيق الاستجابة وتقررهما كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى إذ
تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتى ويجوز أن يكون معطوفا على
مضمرة ينساق إليه الذهن أى دعوا بهذه الأدعية فاستجاب الخ وأما على تقرير كون المقدر حالا فهو
عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله أعنى قوله تعالى ربنا ربنا الخ فإن الاستجابة
مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكيرهم وحيث كانت هى من أوصافهم الجميلة المترتبة على أعمالهم بالآخرة
استحقت الانتظام فى سلك محاسنهم المعدودة فى أثناء مدحهم وأما على تقدير كون الموصول نعتاً لأولى
الآلئاب فلا مساغ لهذا العطف أصلاً لما عرفت من أن حق ما فى حيز الصلة أن يكون من مبادئ جريان
الحكم على الموصول وقد عرفت أن دعواتهم السابقة ليست كذلك فإين الاستجابة المتأخرة عنها وفى
التعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم من تشریفهم وإظهار اللطف
بهم ما لا يخفى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) أى بأتى وهكذا قرأ أبى رضى الله عنه والباء للسببية كأنه
قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب أنه لا يضيع عمل عامل منهم أى سنته السنية مستمرة على ذلك والاتفات
إلى التكلم والخطاب لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشریف الداعين بشرف الخطاب والمراد
تأكيداً ببيان سببها والإشعار بأن مدارها أعمالهم التى قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد
لسائر العاملين وإن لم يبلغوا درجة أولى الآلئاب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن
ترك الإثابة بالإضاعة مع أنه ليس بإضاعة حقيقية إذ الأعمال غيره وجهه للثواب حتى يلزم من تخلفه

عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبايح وإبراز الإثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرىء بكسر الهمزة على إرادة القول أي قائلًا أني أخ فلا التفات حينئذ وقرىء لا أضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل أي عامل كائن منكم وقوله تعالى (من ذكر أو أنى) بيان لعامل وتأكيده لعمومه وقوله تعالى (بعضكم من بعض) جملة معترضة مهيئة لسبب انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فإن كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من أصل واحد أو لفرط الاتصال بينهما أو لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعى الشركة والاتحاد في ذلك . روى أن أم سلمة رضى الله عنها قالت لرسول الله ﷺ إني أسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى (فالذين هاجروا) ضرب تفصيل لما أجمل في العمل وتعداد لبعض أحاسن أفراد على وجه المدح والتعظيم أي فالذين هاجروا الشرك أو الأوطان والعشائر للدين وقوله تعالى (وأخرجوا من ديارهم) على الأول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيةها وكونها بالقسروا الاضطرار (وأودوا في سبيل) أي بسبب إيمانهم بالله ومن أجله وهو متناول لكل أذية نالتهم من قبل المشركين (وقاتلوا) أي الكفار في سبيل الله تعالى (وقتلوا) استشهدوا في القتال وقرىء بالعكس لما أن الواو لا تستدعى الترتيب أو لأن المراد قتل بعضهم وقتال آخرين إذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من أفراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الأوصاف المذكورة أو باثنين منها أو بأكثر إما بطريق التوزيع أو بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأى الكوفيين كيف لا ولو أدير الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد أضيع عمل من اتصف بالبعض وقرىء وقتلوا بالتشديد (لا كفرن عنهم سيئاتهم) جواب قسم محذوف أي والله لا كفرن والجملة القسمية خبر للابتداء الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعده ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى (ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) إشارة إلى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتينا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له (ثواباً) مصدر مؤكد لما قبله فإن تكفير السيئات وإدخال الجنة في معنى الإثابة وقوله تعالى (من عند الله) متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه أي لا يثيبهم إثابة كائنة أو تنويها كائناً من عنده تعالى بالغاً إلى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى (والله عنده حسن الثواب) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والإسم الجليل مبتدأ خبره عنده و حسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتداده على المبتدأ أو هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة أحد لا يد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التثنية سواء جعل عنده خبراً مقدماً لحسن الثواب أولاً وفي تصدير الوعد الكريم بعدم إضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الإحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شأن المحسن مالا يخفى .

آل عمران ٢

لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾

آل عمران ٣

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُبْسُ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

آل عمران ٣

وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ بَرَّارٍ ﴿١٩٨﴾

- (لا يغرتك تقلب الذين كفروا في البلاد) بيان لقبح ما أوتى الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة ١٩٦ شأنها وسوء مغبتها لإثريان حسن ما أوتى المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي ﷺ على أن المراد تنبيهته على ما هو عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين أو على أن المراد نهى المؤمنين كما يوجه الخطاب إلى مداره القوم ورؤسائهم والمراد أفناؤهم أو لكل أحد من يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للخطاب وإنما جعل للتقلب مبالغة أى لا تنظر إلى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجرو المزارع . روى أن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون إن أعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهدة فزلت وقرى ولا يغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر لمبتدأ محذوف أى هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر ١٩٧ من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر به يرجع فإذا لا يجدى وجوده لو أجديه ولا يضر فقداؤه لفافديه (ثم ما واهم) أى مصيرهم الذى يأوون إليه لا يبرحونه (جهنم) التى لا يوصف عذابها وقوله تعالى (ويبس المهاد) ذم لها وإيدان بأن مصيرهم إليها مما جنته أنفسهم وكسبته أيديهم والخصوص بالذم محذوف أى بئس ما مهدوا لأنفسهم جهنم (لكن ١٩٨ الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) بيان لكمال حسن حال المؤمنين غيب بيان وتكرير له إثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليم بذلك سرورهم ويزداد تبجحهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وإبراد التقوى في حين الصلة للإشعار بكون الحاصل المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالوصول لمبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو الظرف خبر لجنات والجملة خبر للوصول وخالدين فيها أى في الجنات حال مقدرة من الضمير أو من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما فى الظرف من معنى الاستقرار (نزلنا من عند الله) وقرى . بسكون الزاى وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال أبو الشعر الضبي [وكنا إذا الجبار بالجيش ضافناه جعلنا القنا والمرهفات له نزلا] وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما فى الظرف من معنى الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقاؤه عطاء من عنده الله (وما عند الله خير) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (الأبرار) متعلق بمحذوف هو صفة لخير أى ما عنده تعالى • من الأمور المذكورة الدائمة خير كائن للأبرار أى ما يثقل قلبه فيه الفجاء من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالأبرار للإشعار بأن الصفات المعدودة من أعمال البر كما أنها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ
بِعَايَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ٢٣٢ عمران
يَتَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ٢٣٣ عمران

- ١٩٩ (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) جملة مستأنفة سبقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن
حكيت هتاهم من نبد الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة . قيل هم عبد الله
ابن سلام وأصحابه وقيل هم أربعون من أهل نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا نصارى فأسلموا وقيل المراد به أصحابمة النجاشي فإنه لما مات نعا جبريل إلى النبي عليه السلام فقال
عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع فنظر إلى أرض الحبشة
فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على علعج نصراني
لم يره قط وليس على دينه فزلت وإنما دخلت لام الابتداء على اسم إن لفصل الطرف بينهما كما في قوله
تعالى وإن منكم لمن ليبطئن (وما أنزل إليكم) من القرآن (وما أنزل إليهم) من الكتابين وتأخير إيمانهم
بهما عن إيمانهم بالقرآن في الذكر مع أن الأمر بالعكس في الوجود لما أنه عيار ومهيمن عليهما فإن
إيمانهم بهما إنما يعتبر بتبعية إيمانهم به إذ لا عبرة بأحكامهما المنسوخة ومالم ينسخ منها إنما يعتبر من
حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بإيمانهم بهما إيمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم
كما هو ديدن المحرفين وأتباعهم من العامة (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى
(لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً) تصريح بمخالفتهم للحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها في سلك
محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لإظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته
عليه السلام (أولئك) إشارة إليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة ومافيه من معنى البعد
الدلالة على علو رتبهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (لهم) وقوله
(أجرهم) أى المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم
كفلاً من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية أو على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لأولئك وقوله
تعالى (عند ربهم) نصب على الحالية من أجرهم والمراد به التشريف كالصفة (إن الله سريع الحساب)
لنفوذ عليه بجميع الأشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الأجر من غير حاجة إلى تأمل والمراد بيان
٢٠٠ سرعة وصول الأجر الموعود إليهم (بأيها الذين آمنوا) إثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون
الحكم والأحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقل (اصبروا) أى على مشاق الطاعات وغير ذلك من
المكاره والشدائد (وصابروا) أى غالبوا أعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب وأعدى عدوكم
بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالأمر بعد الأمر بمطلق الصبر لكونها أشد منه وأشق
(ورابطوا) أى أقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط

٤ - سورة النساء

مائة وست وسبعون آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ النساء

- الحليل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي ﷺ من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا يفتل عن صلاته إلا لحاجة (واتقوا الله) في مخالفة أمره على الإطلاق ● فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجاً أولياً (لعلكم تفلحون) كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل الكروب. عن النبي ﷺ من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أماناً على جسر جهنم. وعنه ﷺ من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس والله أعلم.

(سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها الناس) خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فإن خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف إلا عند الحنابلة بل إما بطريق تغليب الفريق الأول على الآخرين وإما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فإن الإجماع منعقد على أن آخر الأمة مكلف بما كلف به أولها كما نبه عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني إلى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني إلى يوم القيامة وقد فصل في موضعه وأما الأمام الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الأوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال وأما اندراجهم في خطاب ما عداهما بماله دخل في تأكيد التكليف وتقوية الإيجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر في قوله تعالى (اتقوا ربكم) فواردة على طريقة التغليب لعدم تناوُلها حقيقة للإناث عند غير الحنابلة وأما إدخالهن في الأمر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وإن كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض أفراده والأمور به إما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وإما التقوى فيما يتعلق بحقوق أبناء الجنس أي اتقوه في مخالفة أوامره ونواهيه على الإطلاق أو في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا وأياً ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به على طريقة الترغيب

- والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى (الذى خلقكم من نفس واحدة) فإن خلقه تعالى إياهم على هذا النمط البديع لإنبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من أقوى الدواعي إلى الاتقاء من موجبات نعمته وأتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى إياهم صنواً مفرعة من أرومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الأخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للأمم السالفة أيضاً مع اختصاصه فيما قبل بالأمورين بناء على أن تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الأمر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيكاً للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لأن خلقه تعالى للأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الآباء والأمهات كان التعرض لخلقهم متضمناً للتعرض لخلق الوسايط جميعاً وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لأصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل (وخلق منها زوجها) فإنه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف إما على مقدر ينبي عنه سوق الكلام لأن تفريع الفروع من أصل واحد يستدعي إنشاء ذلك الأصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها أولاً وخلق منها زوجها الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما أجمل أولاً أو صفة لنفس مفيدة لذلك وإما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر وإعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الأول كما في قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الخ لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت فإن الأول بطريق التفريع من الأصل والثاني بطريق الإنشاء من المادة فإنه تعالى خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام . روى أنه عز وجل لما خلقه عليه السلام وأسكنه الجنة ألقى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انقبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما أن تذكير خلقهم أدخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالأمر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر
- كما مر مراراً وإيرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل (وبث منهما) أى نشر من تلك النفس
- وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل (رجالاً كثيراً) نعت لرجالاً مؤكداً لما أفاده التشكير من الكثرة
- والإفراد باعتبار معنى الجمع أو العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل أى بثاً كثيراً (ونساء) أى كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وإيثارها على ذكورها وإناثاً لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرىء وخالق وبث على حذف المبتدأ أى وهو خالق وبث (واتقوا الله الذى تساءلون به) تكرر للأمر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فإن سؤال بعضهم بعضاً بالله تعالى بأن يقولوا أسألك بالله وأنشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضى الاتقاء من مخالفة أو أمره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وإدخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا غيره من أسمائه تعالى وصفاته وتساؤلون أصله تتساءلون فطرح إحدى التامين تخفيفاً وقرىء بإدغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُوَ
كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

٤ النساء

- وقرىء تسألون من الثلاثى أى تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الأولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما فى قولك رأيت الهلال وتراهمناه وبه فسر عم يتساءلون على وجه وقرىء تسألون بنقل حركة الهمزة إلى السين (والأرحام) بالنصب عطفاً على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرأ وينصره قراءة تسألون به وبالأرحام فإنهم كانوا يقرنونها فى السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون أسألك بالله وبالرحم أو عطفاً على الاسم الجليل أى اتقوا الله والأرحام وصلوها ولا تقطعوها فإن قطيعتها مما يجب أن يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدى والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدى نصبه على الإغراء أى والزمو الأرحام وصلوها وقرىء بالجر عطفاً على الضمير المجرور وبالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أى مما يتقى أو يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على أن صلتها بمكان منه كما فى قوله تعالى أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً وعنه عليه السلام الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله (إن الله كان عليكم رقيباً) أى مراقباً وهى صيغة مبالغة من رقب يرقب رقياً ورقباً ورقباً ورقباً ورقيباً إذا أحداً النظر لا يريد تحقيقه أى حافظاً مطلقاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما فى ضمائرهم من النيات يريد أن يجازاتكم بذلك وهو تعليل للأمر وجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيد تقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل (وأتوا اليتامى أموالهم) شروع فى تفصيل موارد الاتقاء ومطابقته بتكليف ما يقابلها أمراً ونهياً عقيب الأمر بنفسه مرة بعد أخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لإظهار كمال العناية بأمرهم وللاستفهام بالأرحام إذ الخطاب الأولياء والأوصياء وقبلما تفوض الوصاية إلى الأجانب . واليتيم من مات أبوه من اليتيم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى إما لأنه لما جرى مجرى الأسماء جمع على بتأنيهم ثم قلب فقيل يتامى أو لأنه لما كان من وادى الآفات جمع على يتامى ثم جمع يتامى على يتامى والاشتقاق يقتضى صحة إطلاقه على الكبار أيضاً واختصاصه بالصغار مبنى على العرف وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ أى لا يجرى على اليتيم بعده حكم اليتام والمراد بإيتاء أموالهم قطع المخاطبين أطعامهم الفارغة عنها وكف أكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيمهم وتصل إليهم سالمة كما ينبى عنه ما بعده من النهى عن التبديل والاكل لا الإعطاء بالفعل فإنه مشروط بالبلوغ وإيناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى إذا بلغوا الآية وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازاً للإيدان بأنه ينبغى أن يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم إما الصغار على ما هو المتبادر والأمر خاص بمن يتولى أمرهم من الأولياء والأوصياء وشمول حكمه لأولياء من كان بالغاً عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة وأما من جرى عليه اليتيم فى الجملة مجازاً أعم من

أن يكون كذلك عند النزول أو بالغاً فالأمر شامل لأولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ أموالهم والتحفظ عن إضاعتها مطلقاً وأما وجوب الدفع إلى الكبار فاستفاد مما سيأتي من الأمر به وقيل المراد بهم الصغار وبالإيتاء الإعطاء في الزمان المستقبل وقيل أطلق اسمهم على الكبار بطريق الإيتاء لقرب عهدهم باليتيم حثاً لأولياء على المسارعة إلى دفع أموالهم إليهم أول ما بلغوا قبل أن يزول عنهم اسمهم المعروف بالإيتاء بمعنى الإعطاء بالفعل وبأبائهما ماسياً من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فإن مافيه من الأمر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته أو بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين وأما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازاً بطريق التغليب مع تعميم الإيتاء للإيتاء حالاً وللإيتاء مآلاً وتعميم الخطاب لأولياء كلا الفريقين على أن من بلغ منهم فوليّه مأمور بالدفع إليه بالفعل وأن من لم يبلغ بعد فوليّه مأمور بالدفع إليه عند بلوغه رشيداً فمع ماسيق تكلف لا يخفى فالأنسب ما تقدم من حمل إيتاء أموالهم إليهم على ما يؤدى إليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الإعطاء بالفعل بالدفع سواء أريد باليتامى الصغار أو ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفاً وأما ما روى من أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال أطلعنا الله وأطلعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فقبح قادح في ذلك لما أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) نهى عن أخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهى الضمى عن أخذه على الإطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصله أو في شرف الحصول يستعملان أبدأ بإفضائهما إلى الحاصل بأنفسهما وإلى الزائل بالبلاء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان الخ وقوله تعالى استبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وأما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنّتهم جنّتين الخ وأخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتماً نص عليه الأزهري وتارة أخرى بإفضائه إلى مفعوليّه بنفسه كما في قوله تعالى بيد الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب إن كان هو الحرام والحلال فالمنهى عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقاً كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالكم فالمنهى عنه أكل ماله مكان ما لهم المحقق أو المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وأياً ما كان فإنما عبر عنهما بهما تنفيراً عما أخذوه وترغيباً فيما أعطوه وتصويراً لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وإن كان هو الردى والجيد فمورد النهى ما كانوا عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم وإعطاء الردى من مال أنفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والأزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهى لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ماعداها وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبدل به أو تبدل الطيب بالخبيث فلا يبدان بأن الأولياء حقهم أن يكونوا في المعاملات طاملين لليتيم لا لأنفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المحبوب إليه مشتري كان أو ثمناً لا لسلب المسلوب عنه (ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم) نهى عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أى لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون

وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٤﴾ النساء

- الولي فقير! (إنه) أى الا كل المفهوم من النهى (كان حوباً) أى ذنباً عظيماً وقرىء بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوباً وقرىء حاباً وهو أيضاً مصدر كقال قولاً وقالاً (كبيراً) مبالغة في بيان عظم ذنب الا كل المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها (وإن خفتم ألا تقسطوا في ٣ اليتامى) الإقساط العدل وقرىء بفتح التاء ففيل هو من قسط أى جار ولا مزبدة كما في قوله تعالى لتلا يعلم وقيل هو بمعنى أقسط فإن الزجاج حكى أن قسط يستعمل استعمال أقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفاً عبر عنه بذلك إيداناً بكون المعلوم مخوفاً محذوراً لا معناه الحقيقي لأن الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الامر شاملاً لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهى عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعاً عقيب النهى عما يتعلق بأموالهم خاصة وتأخير عنه لقلة وقوع المنهى عنه بالنسبة إلى الأول ونزوله منه بمنزلة المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من تحمل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيثون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرنوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وإيها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضى الله عنها وأما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يحد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وإيها فيتزوجها ضناً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فإن المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن أى وإن خفتم أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق (فانكحوا ما طاب لكم) ما موصولة أو موصوفة ● ما بعدها صلتها أو صفتها أو ثرت على من ذهاباً إلى الوصف وإيداناً بأنه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على أن الإناث من العقلاء يجرى مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن أبي عيطة من طاب ومن في قوله تعالى (من النساء) بيانية وقيل تبعية والمراد بهن غير اليتامى ● بشهادة قرينة المقام أى فانكحوا من استطابتهن نفوسكم من الأجنيبات وفي إشار الامر بنكاحهن على النهى عن نكاح اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزاهم عن ذلك فإن النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه الذى أشير إليه فيه مبالغة في الاستمالة إليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بهن فهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهى الضمنى إلى النكاح المترقب مع أن سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة إلى دفع الشر قبل وقوعه

فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فإن محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى وقيل المراد بالطيب الحل أى ما حل لكم شرعاً لأن ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو أقطع منه لأن ما حل لهم يحمل وقد تقرر أن النص إذا تردد بين الإجمال والتخصيص يحمل على الثاني لأن العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والجمل ليس بحجة قبل ورود البيان أصلاً ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالاً على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجمل دالاً على التخصيص (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فإنها بنيت صفات وإن لم تكن أصولها كذلك وقرئ وثلاث ورباع على القصر من ثلاث ورباع ومحملن النصب على أنها حال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة إليهن بتوسيع دائرة الإذن أى فأنكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً حسبما يريدون على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أى عدد شاء من الأعداد المذكورة لا أن بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقسموا هذه البكرة درهمين درهمين وثلاثاً ثلاثاً وأربعة أربعة ولو أفردت لفهم منه تجوز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة أولفات تجوز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما فى أكل أموالهم من الحوب الكبير أخذ الأولياء يتخرجون من ولايتهم خوفاً من لحوق الحوب بترك الإقساط مع أنهم كانوا لا يتخرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقليل لهم إن خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتخرجتم منها غافوا أيضاً ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لأن من تخرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متخرج ولا نائب عنه وقيل كانوا لا يتخرجون من الزنى وهم يتخرجون من ولاية اليتامى فقليل إن خفتم الجور في حق اليتامى غافوا الزنى فأنكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى أنه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لا بقتنائهما على تقديم نزول الآية الأولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم إلى قوله تعالى وكفى بالله حسيباً (فإن خفتم ألا تعدلوا) أى فيما بينهن ولو فى أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى أو كما لم تعدلوا في حقهن أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد (فواحدة) أى قالزموها أو فاخترأوا واحدة وذروا الجميع بالكفية وقرئ بالرفع أى فامنعوا واحدة أو فحسبكم واحدة (أو ما ملكت أيمانكم) أى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيها عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضوعين بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم فإن المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وإنما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن

وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ النساء

- وخفة مؤتتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرىء أو من ملكت أيمانكم وما في القراءة المشهورة للإيدان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء (ذلك) إشارة إلى اختيار الواحدة والتسرى (أدنى ألا تعولوا) العول الميل من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وعال في الحكم أى جار والمراد هنا الليل المحظور المقابل للعدل أى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى أقرب بالنسبة إلى ما عداهما من أن لا تميلا وما يلاحظ محظورا لا تنفائه رأسا بانتفاء محله فى الأول وانتفاء خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهار فإن الميل المحظور متوقع فيه لتحقيق المحل والخطر ومن ههنا تبين أن مدار الأمر هو عدم العول لا تحقيق العدل كما قيل وقد فسر بأن لا يكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أى مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلا من أعال الرجل إذا كثر عياله ووجه كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السرارى أنه يجوز العزل عنهم بغير رضاهن ولا كذلك المهار والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل (وأتوا النساء) أى اللاتى أمر بنكاحهن ٤ (صدقاتهن) جمع صدقة كسكرة وهى المهر وقرىء بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة (نحلة) قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لأنها فرضه الله فى النحلة أى الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات أى أعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدبنا فانتصابها على أنها مفعول له أى أعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة أى هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها أيضاً وقيل عطية من جهة الأزواج من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووجهه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلاو التعبير عن إيتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الأزواج لإفادة معنى الإيتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لأن الإيتاء والنحلة بمعنى الإعطاء كأنه قيل واتحلوا النساء صدقاتهن نحلة أى أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحالية من ضمير أتوا أى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أى منحولة معطاة عن طيبة الأنفس فالخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئاً لك النافخة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أى تعظمه (فإن طبن لكم عن شيء منه) الضمير للصدقات وتذكيره لإجرائه مجرى ذلك فإنه قد يشاربه إلى المتعدد كما فى قوله عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤية أنه حين قيل له فى قوله [فيها خطوط من سواد وبلق ه كأنه فى الجلد توابع البهق] إن أردت الخطوط ينبغى أن تقول كأنها وإن أردت السواد والبلق ينبغى أن تقول كأنهما قال لكنى أردت كأن ذلك أول للصادق الواقع موقعه صدقاتهن كأنه قيل وأتوا النساء صدقاتهن كما فى قوله تعالى فأصدق وأكن حيث عطف أكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه قيل إن أخرتنى أصدق وأكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

مَعْرُوفًا ﴿٥٦﴾

٤ النساء

بتضمينه معنى التجاني والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء أى كائن من الصداق وفيه بعث
 ● لمن على تقليل الموهوب (نفساً) تمييز والتوحيد لما أن المقصود بيان الجنس أى إن وهن لكم شيئاً من
 الصداق متجافياً عنه نفوسهن طيبات غير مخبرات بما يضطرهن إلى البذل من شكاسة أخلاقكم وسوء
 معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة إلى ما عليه النظم الكريم لإيداناً بأن العمدة في الأمر إنما
 ● هو طيب النفس وتجايفها عن الموهوب بالمرّة (فكلوه) أى أخذوا ذلك الشيء الذى طابت به نفوسهن
 ● وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لأنه معظم وجوه التصرفات المالية (هينئاً مريئاً) صفتان
 من هتؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغاً لا تنغيص فيه وقيل الهنىء الذى يلذه الاكل والمرىء ما يحمد عاقبته
 وقيل ما ينساخ في مجراه الذى هو المرء وهو ما بين الخلقوم إلى فم المعدة سمي بذلك لمرؤ الطعام فيه أى
 إنسياغه ونصبهما على أنهما صفتان للبصر أى أكلا هينئاً مريئاً أو على أنهما حالان من الضمير المنصوب
 أى كلوه وهو هنىء مرىء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هينئاً مريئاً على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا
 مقام المصدرين كأنه قيل هنا ومرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة . روى
 ● أن ناساً كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً مما ساقه إليها فنزلت (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)
 رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها ووقته
 وكيفيته إثر بيان بعض الأحكام المتعلقة بأنفسهن أغنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن
 من الأجنبية من حيث النفس ومن حيث المال استطراداً والخطاب الأولياء نهوا أن يؤتوا المبدزين
 من اليتامى أموالهم مخافة أن يضيئوها وإنما أضيف إليهم وهى اليتامى لانظراً إلى كونها تحت ولايتهم
 كما قيل فإنه غير مصحح لا تصافى بالوصف الآتى بل تنزىلاً لا اختصاصاً بأصحابها منزلة اختصاصها بالأولياء
 فكان أموالهم عين أموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة في حملهم على المحافظة عليها
 كما في قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم أى لا يقتل بعضكم بعضاً حيث عبر عن بنى نوعهم بأنفسهم مبالغة
 في زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل أنفسهم وقد أيد ذلك حيث عبر عن جعلها منطاً للمعاش أصحابها
 ● بجعلها منطاً للمعاش الأولياء فقيل (التي جعل الله لكم قياماً) أى جعلها الله شيئاً تقوون به وتنتعشون
 على حذف المفعول الأول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياماً فكانها في
 أنفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل إنما أضيفت إلى الأولياء لأنها من جنس ما يقيم به الناس معاشهم حيث
 لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل إليه القلوب ويدخر
 لاوقات الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وأنت خير بأن ذلك بمعزل من حمل الأولياء
 على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين أموال اليتامى وأموال

وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

٤ النساء

- الأولياء بل هي متحققة بين أموالهم وأموال الأبناء فإذا لا وجه لا اعتبارها أصلاً وقرىء اللاتي واللواتي وقرىء قوماً بمعنى قياماً كما جاء عوداً بمعنى عياداً وقرىء قواماً بكسر القاف وهو ما يقام به الشيء أو مصدر قاوم وقرىء بفتحها (وارزقوهم فيها واكسوهم) أى واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوهم بأن • تنجروا وتزجروا حتى تكون نفقاتهم من الأرباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل أحد كانتاً من كان والمراد نهيهم عن أن يفوض أمر ماله إلى من لا رشد له من نسائه وأولاده وولادته وغير ذلك ولا يخفى أن ذلك محل بجزالة النظم الكريم (وقولوا لهم قولاً معروفاً) أى كلاماً ليناً طيباً به نفوسهم • وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جملة بأن تقولوا إذا صلحتم ورشدتم سلمنا إليكم أموالكم وكل ما سكنت إليه النفس لحسنه شرعاً أو عقلاً من قول أو عمل فهو معروف وما أنكرته لقبحه شرعاً أو عقلاً فهو منكر (وابتلوا اليتامى) شروع في تعيين وقت تسليم أموال اليتامى إليهم وبين شرطه ٦ بعد الأمر بإيتائهم على الإطلاق والنهى عنه عند كون أصحابها سفهاء أى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتبضع أحوالهم في صلاح الدين والاهتداء إلى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فإن كانوا من أهل التجارة فبأن تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه يبيعاً وابتاعاً وإن كانوا ممن له ضياع وأهل وخدم فبأن تعطوهم منه ما يصرفونه إلى نفقة عبيدهم وخدمهم وأجرائهم وسائر مصارفهم حتى تبين لكم كيفية أحوالهم (حتى إذا بلغوا النكاح) بأن يحتلوا لأنهم يصلحون عنده للنكاح • (فإن آنستم) أى شاهدتم وتبينتم وقرىء أحسستم بمعنى أحسستم كما في قول من قال | خلا أن العتاق من المطايا | أحسن به ومن إليه شوس | (منهم رشداً) أى اهتداء إلى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والنشويق إلى المؤخر أو للاعتداد بمبدئياته والتنويع للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرىء بفتح الراء والشين وبضمهما (فادفعوا إليهم أموالهم) من غير تأخير عن حد البلوغ وفي إنباط الدفع على الإيتاء الوارد في أول الأمر إيدان بتفاوتهما بحسب المعنى كما أشير إليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة أن حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتى في قوله | فما زالت القتلى تمج دماءها | بدجلة حتى ماء دجلة أشكل | وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع أموالهم إليهم بشرط إنباس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة أن من بلغ غير رشيد إما بالتبذير أو بالعجز لا يدفع إليه ماله أبداً وبه أخذ أبو يوسف ومحمد وقال أبو حنيفة ينتظر إلى خمس وعشرين سنة لأن البلوغ بالنسبة ثمانى عشرة سنة فإذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة في تغير أحوال الإنسان لما قاله عليه الصلاة

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾

٤ النساء

- والسلام مروم بالصلاة لسبع دفع إليه ماله أو نس منه رشد أو لم يؤنس (ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) أى مسرفين ومبشرين كبرهم أو لإسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى إنفاقها وتقولون تنفق كما نشتهى قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيدينا والجملة تأكيد للأمر بالدفع وتقريبها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (ومن كان غنياً فليستعفف) الخ أى من كان من الأولياء والأوصياء غنياً فليتنزه عن أكلها وليقتنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق إشفافاً على اليتيم وإبقاء على ماله (ومن كان) من الأولياء والأوصياء (فقيراً فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته الضرورية وأجرة سعيه وخدمته وفى لفظ الاستعفاف والأكل بالمعروف ما يدل على أن اللوصى حقاً لقيامه عليها عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له إن فى حجرى يتيماً أفأكل من ماله قال بالمعروف غير متأنل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ولى يتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتنهأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فأشرب غير مضل بنسل ولا ناهك فى الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر قضاه وإن أعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنى أنزلت نفسى من مال الله تعالى منزلة ولى اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت . واستعف أبلى من عفا كأنه يطلب زيادة العفة (فإذا دفعتم إليهم أموالهم) بعد مراعاتيم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به (فأشهدوا عليهم) بأنهم تسلبوها وقبضوها وبرئت عنها ذمكم لما أن ذلك أبعد من التهمة وأننى للخصومة وأدخل فى الأمانة وبراءة الساحة وإن لم يكن ذلك واجباً عند أصحابنا
- فإن الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين خلافاً للمالك والشافعى رحمهما الله (وكفى بالله حسيباً) أى محاسباً
- ٧ ● فلا تخالفوا ما أمركم به ولا تجاوزوا ما حد لكم (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) شروع فى بيان أحكام الموارث بعد بيان أحكام أموال اليتامى المنتقلة إليهم بالإرث والمراد بالأقربين المتوارثون منهم ومن فى مائة متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب أى لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب (وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) لإيراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج فى تضاعيف أحكامهم بأن يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بأمرهن والإيذان بأصالتها فى استحقاق الإرث والإشارة من أول الأمر إلى تفاوت ما بين نصيبى الفريقين والمبالغة فى إبطال حكم الجاهلية فإنهم ما كانوا يورثون النساء والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روى أن أوس بن ثابت الأنصارى

وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

٤ النساء

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا

٤ النساء

سَدِيدًا ﴿٩﴾

- خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة أو قتادة وعرفطة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدثه الله تعالى فنزلت فأرسل إليهما إن الله قد جعل لمن نصيباً ولم يبين فلا تفرقا من مال أوس شيئاً حتى يبين فنزل بوصيكم الله الخ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابن العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى (مما قل منه أو كثر) بدل من ما الأخيرة بإعادة الجار وإليها يعود الضمير المجرور وهذا ● البدل مراد في الجملة الأولى أيضاً محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق أن لكل من الفريقين حقاً من كل ما جل ودق (نصيياً مفروضاً) نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة ● أو على الحالية إذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضاً أو على الاختصاص أى أعنى نصيباً مقطوعاً مفروضاً واجباً لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه (وإذا حضر القسمة) أى قسمة التركة وإنما قدمت مع كونها مفعولاً لأنها المبحوث ٨ عنها ولأن في الفاعل تعدداً فلوروعى الترتيب يفوت تجاوب أطراف الكلام (أولو القربى) من لا يرث ● (واليتامى والمساكين) من الأجنبي (فأرزقوهم منه) أى أعطوهم شيئاً من المال المقسوم المدلول عليه ● بالقسمة وقيل الضمير لما وهو أمر نذب كلف به البالغون من الورثة تطييباً لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه (وقولوا لهم قولا معروفاً) وهو أن يدعوا لهم ● ويستقلوا ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمتنوا عليهم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ٩ خافوا عليهم) أمر الأولياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه فى أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرائعهم الضعاف بعد وفاتهم أو لمن حضر المريض من العواد عند الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقة على أولادهم فلا يتركوه أن يضرهم بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافاً مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للبوصين بأن ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما فى حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا ورثة ضعافاً خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث على

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ النساء
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ
وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

النساء

- الترحم وأن يجب لأولاد غيره ما يجب لأولاد نفسه وتهديد للخالف بحال أولاده وقرىء ضعفاء وضعافي
- وضعافي (فليتقوا الله) في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها (وليقلوا قولاً سديداً) أمرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما أمرهم بها مراعاة للبداً والمنتهى إذ لا نفع للأول بدون الثاني ثم أمرهم بأن يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصدده عن الإسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلية الشهادة أو لحاضري القسمة عذراً ووعداً حسناً أو يقولوا في الوصية ما لا يؤدي إلى تجاوز الثلث وقوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) أي على وجه الظلم أو ظالمين استئناف جرى به لتقرير مضمون ما فصل من الأمر والنواهي (إنما يأكلون في بطونهم) أي ملء بطونهم (ناراً) أي ما يجرى إلى النار ويؤدي إليها وعن أبي بردة أنه عليه السلام قال يبعث الله تعالى قوماً من قبورهم تتأجج أفواههم ناراً فقبل من هم فقال عليه السلام ألم تر أن الله يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً (وسيصلون سعيراً) أي سيدخلون ناراً هائلة مبهمة الوصف وقرىء بضم الياء مخففاً ومشدداً من الإصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصلبته شويته وأصلبته وصلبته ألقبته فيها والسعير فاعيل بمعنى مفعول من سمرت النار إذا ألهبتها . روى أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروى أنه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالسكينة فصعب الأمر على اليتامى فنزل قوله تعالى وإن تخالطوهم الآية
- ١١ / (يوصيكم الله) شروع في تفصيل أحكام الموارث المحملة في قوله تعالى للرجال نصيب الخ وأقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم الآباء والأولاد والأزواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة أي
- يأمركم ويعهد إليكم (في أولادكم) أولاد كل واحد منكم أي في شأن ميراثهم بدى بهم لأنهم أقرب
- الورثة إلى الميت وأكثرهم بقاء بعد المورث (الذكر مثل حظ الأنثيين) جملة مستأنفة جرى بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب ببوصيكم على أن المعنى يفرض عليكم ويشترع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما رآه الفراء فإنه يجرى ما كان بمعنى القول من الأفعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره

- قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد إلى الأولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم أى للذكر منهم وقيل الألف واللام قائم مقامه والأصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف أى للذكر منهم حظ مثل حظ الأنثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لإظهار مزيته على الأنثى كما أنها المناط في تضعيف حظه وإيثار اسمى الذكر والأنثى على ما ذكر أولاً من الرجال والنساء للتخصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك أصلاً كما هو زعم أهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الأطفال كالنساء (فإن كن) أى الأولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى (نساء) أى خالصاً ليس ● معهن ذكر (فوق اثنتين) خبر ثان أو صفة لنساء أى نساء زائدات على اثنتين (فلهن ثلثا مترك) أى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام (وإن كانت) أى المولودة (واحدة) أى امرأة واحدة ليس معها أخ ● ولا أخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره عما سبق (فلها النصف) عما ترك وقرىء واحدة على كان ● التامة واختلف في اثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين أن حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوم ذلك أن يزداد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فإن كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحققت الثلث مع أخيها الأقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحقه مع مثلها أولى وأحرى وأن البنتين أمس رحماً من الأخنتين وقد فرض الله ● لهما الثلثين حيث قال تعالى فلمهما الثلثان مما ترك (ولا بويه) أى لا بوى الميت . غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور (لكل واحد منهما) بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذى هو قوله تعالى (السدس) وبين خبره الذى هو لا بويه ونقل الخبرية إليه تنصيماً على استحقاق كل منهما ● السدس وتأكيده بالتفصيل بعد الإجمال وقرىء السدس بسكون الدال تخفيفاً وكذلك الثلث والربع والثلثين (مما ترك) متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر أى كأنما ● ترك المتوفى (إن كان له ولد) أو ولد ابن ذكر أو كان أو أنثى واحداً أو متعدداً غير أن الأب في صورة ● الأنوثة بعد ما أخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقى من ذوى الفروض بالعصوبة (فإن لم يكن له ولد) ولا ولد ● ابن (وورثه أبواه) لحسب (فلأمه الثلث) مما ترك والباقي للأب وإنما لم يذكر لعدم الحاجة إليه لأنه لما فرض انحصار الوارث في أبويه وعين نصيب الأم علم أن الباقي للأب وتخصيص جانب الأم بالذكر وإحالة جانب الأب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس أيضاً لما أن حظها أخصر واستحقاقه أتم وأوفر أولاً لأن استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا إذا لم يكن معها أحد الزوجين أما إذا كان ● معها ذلك فللأم ثلث ما بقى بعد فرض أحدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فإنه يفضى إلى تفضيل الأم على الأب مع كونه أقوى منها في الإرث بدليل أضعافه عليها عند انفردهما عن أحد الزوجين ● وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع (فإن كان له أخوة) أى عدد من له أخوة من غير اعتبار التلث سواء كانت من جهة الأبوين أو من جهة أحدهما وسواء كانوا ذكوراً أو إناثاً أو

- مختلطين وسواء كان لهم ميراث أو كانوا محجوبين بالآب (فلأمه السدس) وأما السدس الذي حجبوها عنه فهو للآب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضى الله عنهما أنه لهم على كل حال خلا أن هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلاث وبالأخوات الخالص وقرىء فلأمه بكسر الهمزة اتباعاً لما قبلها (من بعد وصية) خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعاً لا بما يليها وحده
- أى هذه الأنصباء للورثة من بعد إخراج وصية (يوصى بها) أى الميت وقرىء مبنياً للمفعول مخففاً
- ومبنياً للفاعل مشدداً وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والنذب إليها (أودين) عطف على وصية إلا أنه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة أو الإقرار في الصحة وإثارة أو المفيدة للإباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقديمهما على القسمة بمجموعين أو منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكر أع تأخرها عنه حكماً لإظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط
- في أداها ولا طرادها بخلاف الدين (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً) الخطاب للورثة فأباؤكم مبتدأ وأبناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وأيهم مبتدأ وأقرب خبره ونفعاً نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كأنه قيل أيهم أقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية أى أصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون أيهم أنفع لكم أمن يوصى ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته أم من لا يوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الأمر عليهم وكون أنفعية كل من الأول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان أحدهما على الآخر كما في قوله عليه الصلاة والسلام مثل أمي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره فإن ذلك بمنزل من إفادة التأكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق أنفعية الأول في ضمن التعريض بأن لهم اعتقاداً بأنفعية الثاني مبنياً على عدم الدراية وقد أشير إلى ذلك حيث عبر عن الأنفعية بأفريقية النفع تذكيراً للمناط زعمهم وتعييناً لمنشأ خطتهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما أن الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كأنه قيل لا تدرون أيهم أنفع لكم فتحكمون نظراً إلى ظاهر الحال وقرب المال بأنفعية الثاني مع أن الأمر بخلافه فإن ثواب الآخرة لتحقق وصوله إلى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا أقرب وأحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاذه وفنائه أبعد وأقصى وقيل الخطاب للورثين والمعنى لا تعلمون من أنفع لكم من يرثكم من أصولكم وفروعكم عاجلاً وآجلاً فتحروا في شأنهم ما أوصاكم الله تعالى به ولا تعتمدوا إلى تفضيل بعض وحرمان بعض روى أن أحد المتوالدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل الله تعالى أن يرفع إليه صاحبه فيرفع إليه بشفاعته قيل فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لأمر القسمة وأنت خير بأنه مشعر بأن مدار الإرث ما ذكر من أفريقية النفع مع أنه
- العلاقة النسبية (فريضة من الله) نصبت نصب مصدر مؤكدة لفعل محذوف أى فرض الله ذلك فرضاً أو
- لقوله تعالى يوصيكم الله فإنه في معنى يأمركم ويفرض عليكم (إن الله كان عليماً) أى بالمصالح والمفاسد
- (حكياً) في كل ما قضى وقدر فدخل فيه الأحكام المذكورة دخولا أولاً .

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ النساء

- ١٢ (ولكم نصف ماترك أزواجكم) من المال شروع في بيان أحكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة إلى ذكره (إن لم يكن هن ولد) أي ولد وارث من بطنها أو من صلب بنيتها أو بنى بنيتها وإن سفل ذكر كان أو أنثى واحداً كان أو متعدداً لأن لفظ الولد ينتظم الجميع منكم أو من غيركم والباقي لورثتهن من ذوى الفروض والعصبات أو غيرهم وليت المال إن لم يكن هن وارث آخر أصلاً (فإن كان هن ولد) على نحو مافصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستلبع لتقدير وجوده وبيان حكمه (فلكم الربع مما تركن) من المال والباقي لباقي الورثة (من بعد وصية) متعلق بكتلتا الصورتين لا بما يليه وحده (يوصين بها) في محل الجر على أنه صفة لوصية وفائدتها مامر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها (أو دين) عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة أو بالإقرار وإثار أو على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكر لما ذكر من إبراز كمال العناية بتنفيذها (ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد) على التفصيل المذكور آنفاً والباقي لبقية ورثتهن من أصحاب الفروض والعصبات أو ذوى الأرحام أو ليت المال إن لم يكن لكم وارث آخر أصلاً (فإن كان لكم ولد) على النحو الذى فصل (فلهن الثمن مما تركن) من المال والباقي للباقيين (من بعد وصية توصون بها أو دين) الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيتها عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتراكاً في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن (وإن كان رجل) شروع في بيان أحكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الأولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى (يورث) على البناء للمفعول من ورث لا من أورث خبر كان أي يورث منه (كلالة) الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذى كلالة كما تطلق القرابة على ذوى القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للأحق فنصبها إما على أنها مفعول له أي يورث منه لا لجل القرابة المذكورة أو على أنها حال من ضمير

يورث أى حال كونه ذا كلاله أو على أنها خبر لكان ويورث صفة لرجل أى إن كان رجل موروث ذا كلاله ليس له والد ولا ولد وقرىء يورث على البناء للفاعل مخففاً ومشدداً فانتصاب كلاله إما على أنها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف أى يورث وارثه حال كونه ذا كلاله وإما على أنها مفعول به أى يورث ذا كلاله وإما على أنه مفعول له أى يورث لأجل الكلاله (أو امرأة) عطف على رجل مقيد بما قيد به أى أو امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للإيدان بشرفه وأصلاته في الأحكام (وله) أى للرجل ففيه تأكيد للإيدان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها أيضاً وقيل الضمير لكل منهما (أخ وأخت) أى من الأم فحسب وقد قرىء كذلك فإن أحكام بنى الأعيان والعلات هى التى ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير يورث أو من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسألة وذكر الكلاله لتحقيق جريان الحكم المذكور وإن كان مع من ذكر ورثة أخرى بطريق الكلاله وأما جريانه في صورة وجود الأم أو الجدة مع أن قرابتهما ليست بطريق الكلاله فبالإجماع (فلكل واحد منهما) من الأخ والأخت (السدس) من غير تفضيل للذكر على الأنثى لأن الإدلاء إلى الميت بمحض الأنوثة (فإن كانوا أكثر من ذلك) أى أكثر من الأخ أو الأخت المنفردين بواحد أو بأكثر والفاء لما مر من أن ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد: (فهم شركاء في الثلث) يقسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات هذا وأما تجويز أن يكون يورث في القراءة المشهورة مبنياً للمفعول من أورث على أن المراد به الوارث والمعنى وإن كان رجل يجعل وارثاً لأجل الكلاله أو ذا كلاله أى غير والد أو ولد ولذلك الوارث أخ أو أخت فلكل واحد من ذلك الوارث وأخيه أو أخته السدس فإن كانوا أكثر من ذلك أى من الإثنين بأن كانوا ثلاثة أو أكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للثنتين لا يزداد عليه شيء فبمعزل من السداد أما أولاً فلأن المعبر على ذلك التقدير إنما هى الأخوة بين الوارث وبين شريكه في الإرث من أخيه أو أخته لا ما بينه وبين مورثه من الأخوة التى عليها يترتب حكم الإرث وبها يتم تصوير المسألة وإنما المعبر بينهما الوراثه بطريق الكلاله وهى عامة لجميع صور القرابات التى لا تكون بالولادة فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه مما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالأخوة لأم متمسكا بالإجماع على أن المراد بالكلاله ههنا أولاد الأم فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه إنما هو الإجماع على أن المراد بالأخوة فى قوله تعالى وله أخ أو أخت هو الأخوة لأم خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية فى آخر السورة الكريمة ولولا أن الرجل عبارة عن الميت والأخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما أمكن كون الكل أولاد الأم ثم إن الكلاله كما نهت عليه باقية على إطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص بأولاد الأم فضلاً عن الإجماع على ذلك وإلا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وإنما الإجماع فيما ذكر من أن المراد بالأخ والأخت من كان لأم خاصة وأنت خبير بأن ذلك فى قوة الإجماع على أن يورث من ورث لا من أورث فتدبرو أما ثانياً فلأنه يقتضى أن يكون المعبر فى استحقاق الورثة فى الفرض المذكور أخوة بعضهم لبعض من جهة الأم فقط لما ذكر من الإجماع مع

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾

٤ النساء

- ثبوت الاستحقاق على تقدير الأخوة من الجهتين وأما ثالثاً فلأن حكم صورة انفرد الوارث عن الأخ والأخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الإجماع كونه كذلك عند الانفرد ألا يرى أن حظ كل من الأختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفرد وأما رابعاً فلأن تخصيص أحد الورثة بالتوريث وجعل غيره تابعاً له فيه مع اتحاد الكل في الإدلاء إلى المورث مما لا عهد به (من بعد وصية يوصى بها أو دين) الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا أن الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جرياً على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه أيضاً وذلك إنما يتحقق فيما يكون ثبوته بالإقرار في المرض كأنه قيل أو دين يوصى به (غير مضار) حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتماداً عليه كما أن رجالاً في قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبي عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحدوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل أى يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة أى بأن يوصى بما زاد على الثلث أو تكون الوصية لقصد الإضرار بهم دون القرابة وبأن يقر في المرض بدين كاذباً وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما أن الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم (وصية من الله) مصدر مؤكد لفعل محذوف وتوحيته للتفخيم ومن متعاقبة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الإضافية أى يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الإشعار بما بين الأحكام المتعلقة بالأصول والفروع وبين الأحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وإن كانت كلاًهما واجبة المراعاة أو منصوب بغير مضار على أنه مفعول به فإنه اسم فاعل معتمد على ذى الحال أو منى معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالإضافة أى غير مضار لوصية الله وعهده لافى شأن الأولاد فقط كما قيل إذ لا تعلق لهم بالمقام بل فى شأن الورثة المذكورة ههنا فإن الأحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارها الإخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الإضرار دون القرابة والإقرار بالدين كاذباً وإيقاعها على الوصية مع أنها واقعة على الورثة حقيقة كما فى قوله يا سارق الليلة أهل الدار للبلابة فى الزجر عنها بإخراجها مخرج مضارة أمر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فادونه يقتضى أن يكون غير مضار حالاً من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدى إلى الفصل بين الحال وعاملها بأجنبي هو المعطوف على وصية مع أنه لا تنحصر به مادة المضارة لبقاء الإفرا بالدين على إطلاقه (والله عليم) بالمضار وغيره (حليم) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالإمهال وإيراد الاسم الجليل مع كفاية الإضمار لإدخال الروعة وترية المهابة (تلك) إشارة إلى الأحكام التى تقدمت فى شئون البناتى والموارث وغير ١٣
- ٢٠٠ أبو السعود ج ٢

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ٤ النساء
وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ ٤ النساء

- ذلك (حدود الله) أى شرائعه المحدودة التى لا تجوز مجاوزتها (ومن يطع الله ورسوله) فى جميع الأوامر
- والنواهي التى من جملتها ما فصل ههنا وإظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفاً (يدخله جنات) نصب على الظرفية
- عند الجمهور وعلى المفعولية عند الأخفش (تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها
- (خالدين فيها) حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر إلى جمعية من بحسب المعنى كأن أفراد
- الضمير بالنظر إلى إفراده لفظاً (وذلك) إشارة إلى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه
- الخلود وما فيه من معنى البعد للإيدان بكال علو درجته (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراه وصف
- الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم إما باعتبار متعلقه أو باعتبار ذاته فإن الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض
- (ومن يعص الله ورسوله) ولو فى بعض الأوامر والنواهي قال مجاهد فيها اقتص من الموارد وقال ١٤
- عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله تعالى ويتعد ما قال الله تعالى وقال الكلبي يعنى ومن يكفر
- بقسمة الله الموارد ويتعد حدوده استحالاً والإظهار فى موقع الإضمار للبالغة فى الزجر تهويل
- الأمر وترية المهابة (ويتعد حدوده) شرائعه المحدودة فى جميع الأحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا
- أولياً (يدخله) وقرئ بنون العظمة فى الموضعين (ناراً) أى عظيمة هائلة لا يقادر قدرها (خالداً فيها)
- حال كما سبق ولعل إشار الإفراد ههنا نظراً إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظراً إلى المعنى للإيدان
- بأن الخلود فى دار الثواب بصفة الاجتماع أوجب للأنس كما أن الخلود فى دار العذاب بصفة الانفراد
- أشد فى استجلاب الوحشة (وله عذاب مهين) أى وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم
- لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية (واللآتي يأتين الفاحشة من ١٥
- نسائكم) شروع فى بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام الموارد واللآتي جمع
- التى بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحة
- والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أى فعلها وبشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ
- بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أى اللآتي يفعلن الزنا
- كائنات من نسائكم أى من أزواجكم كفى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم
- اللآتي دخلتم بهن وبه قال السدى (فأستشهدوا عليهن أربعة منكم) خبر للوصول والفاء للدلالة على
- سببية ما فى حيز الصلة للحكم أى فاطلبوا أن يشهد عليهن يأتينها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم (فإن
- شهدوا) عليهن بذلك (فأمسكوهن فى البيوت) أى فاحبسوهن فيها واجعلوها سجناً عليهن (حتى يتوفاهن)
- أى إلى أن يستوفى أرواحهن (الموت) وفيه تهويل للموت وإبراز له فى صورة من يتولى قبض الأرواح

وَالَّذَانِ يَأْتِيَتَهَا مِنْكَ فَقَاذُومَاهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ ٤ النساء
 إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ٤ النساء

- وتوفيها أو يتوفاهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لمن سبيلا) أى يشرع لمن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للإبذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه أخف من الحبس كما قاله أبو مسلم (واللذان يأتيناها منكم) هما الزانى والزانية بطريق التغليب قال السدى أريد بهما البكران منهما كما ١٦ ينبىء عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا أنه يبقى حكم الزانى المحصن مبهما لا اختصاص العقوبة الأولى بالمحصنات وعدم ظهور إلحاقه بأحد الحكامين دلالة لخفاء الشركة فى المناط (فأذوما) أى بالتوبيخ والتفريع وقيل بالضرب بالنعال أيضاً وظاهر أن إجراء هذا الحكم أيضاً إنما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفاً (فإن تابا) عما فعلا من الفاحشة ● بسبب ما لقيتا من زواج الأذية وقوارع التوبيخ كما ينبىء عنه الفاء (وأصلحا) أى أعمالهما (فأعرضوا ● عنهما) بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز أن يكون الخطاب للشهود الواقفين على هاتهما ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاية وبالإعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع إليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين فى أوائل الإسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما ورى أن النبى ﷺ قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لمن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الأولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقاً الأذى ثم الحبس ثم الجلد ثم الرجم وقد جوز أن يكون الأمر بالحبس غير منسوخ بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمسأكن فى البيوت بعد إقامة الحد صيانة لمن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى أنه مما لا يساعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد عزاه إلى مجاهد إن الأولى فى السحاقيات وهذه فى اللواتين وما فى سورة النور فى الزناة والزواني متمسكا بأن المذكور فى الأولى صيغة الإناث خاصة وفى الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة إلى المصير إلى التغليب على أنه لا إمكان له فى الأولى وبأباه الأمر باستشهاد الأربعة فإنه غير معهود فى الشرع فيما عدا الزنا (إن الله كان تواباً) مبالغاً فى قبول التوبة (رحيماً) واسع الرحمة وهو تعليل للأمر بالإعراض (إنما التوبة على الله) استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه ١٧ كما ينبىء عنه وصفه تعالى بكونه تواباً رحيماً بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى (للذين يعملون السوء) خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما يتعلق به الخبر من الاستقرار فإن تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوى مما لا نزاع فى جوازه وكذا الظرف أو بمحدوف وقع حالاً من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر على رأى من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوى عند كونها ظرفاً

أو حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى والله على الناس حج البيت وأيا ما كان فعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعنى التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل هي التوبة التي أوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير إلى أن قوله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلقه معرفة على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أى إنما التوبة الكائنة على الله والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت أو كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر أو بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الأول من تقديم الحال على العامل المعنوى إلا أن الذى يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الأول لما أن ما قبله من وصفه تعالى بكونه تواباً رحيماً إنما يقتضى بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمدكورين وذلك إنما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبراً ألا يرى إلى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فإنه ناطق بما قلنا كأنه قيل إنما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء (بجمالة) متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون أى يعملون السوء ملتبسين بها أى جاهلين سفهاء أو يعملون على أن الباء سببية أى يعملونه بسبب الجمالة لأن ارتكاب الذنب مما يدعو إليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوء أبلى عدم التفكير في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع أصحاب الرسول ﷺ فرأوا أن كل شيء عصى به ربه فهو جمالة عمداً كان أو خطأ وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جماله وقال الزجاج يعنى بقوله بجمالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية (ثم يتوبون من قريب) أى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبىء عنه ما سياتى من قوله تعالى حتى إذا حضر أحدهم الموت الخ فإنه صريح فى أن وقت الاحتضار هو الوقت الذى لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراءه فى حيز القبول وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن إبراهيم النخعى مالم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى أبو أيوب عن النبي ﷺ إن الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرر وعن عطاء ولو قبل موته بفراق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم مادام روحه فى جسده فقال تعالى وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة مالم يغرر ومن تبعضية أى يتوبون بعض زمان قريب كأنه سعى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زماناً قريباً فى أى جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب

● (فأولئك) إشارة إلى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم فى حكم البعيد والخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يتوب الله عليهم) وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم إثر بيان أن التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول (وكان الله عليهما حكيمًا) مبالغة فى العلم والحكمة فيبني أحكامه وأفعاله على أساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراضية مقررة لمضمون ما قبلها وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار للإشعار بعلّة الحكم فإن الألوهية منشأ لا تصافه تعالى بصفات الكمال

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنِّ وَلَا
 الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾
 ٤ النساء
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ
 إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا
 شَيْعًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
 ٤ النساء

- (وليس التوبة للذين يعملون السيئات) تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب ١٨
 وزيادة تعيين له ببيان أن توبة من عدام بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرار وقوعها في الزمان
 للمديد لأن المراد بها جميع أنواعها وبما مر من السوء نوع منها (حتى إذا حضر أحدكم الموت قال إني تبت
 الآن) حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها أى ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
 إلى حضور موتهم وقولهم حينئذ إني تبت الآن وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وإيثار قال على تاب لإسقاط
 ذلك عن درجة الاعتبار والتجاشى عن تسميته توبة (ولا الذين يموتون وهم كفار) عطف على الموصول
 الذى قبله أى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء ولا لما ذكر هؤلاء مع أنه لا توبة لهم رأساً مبالغة في بيان
 عدم قبول توبة المسوفين وإيداناً بأن وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف إشعار
 خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى أقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد
 بالموصولين إما الكفار خاصة وإما الفساق وحدثهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفاراً للتغليظ كما في قوله
 تعالى ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين وأما ما يعم الفريقين جميعاً فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز أن
 يراد بالاول الفسقة والثانى الكفرة ففيه مبالغة أخرى (أولئك) إشارة إلى الفريقين وما فيه من معنى
 البعد للإيدان بترامى حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره (أعتدنا لهم) أى
 هيأنا لهم (عذاباً أليماً) تكرير الإسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
 الصريح لإظهار الإعتناء بكون العذاب معداً لهم وتكثير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتى والوصفى /
 (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) كان الرجل إذا مات فريته يلقى ثوبه على امرأته أو على ١٩
 خباتها ويقول أرث امرأته كما أرث ماله فيصير بذلك أحق بها من كل أحد ثم إن شاء زوجها بلا صداق
 غير الصداق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً وإن شاء عضلها لتفتدى بما
 ورثت من زوجها وإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل إلقاء الثوب فهي أحق بنفسها ففها عن ذلك وقيل لهم
 لا يحل لكم أن تأخذوهن بطريق الإرث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات عليه
 وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهم فليل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غيرراضيات بامساككم
 وقرىء لا تحل بالناء الفوقانية على أن ترثوا بمعنى الورثة وقرىء كرها بضم الكاف وهى لغة كالضعف
 والضعف وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ أَحَدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْعًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْئَتِنَا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ۝٢٠

٤ النساء

- لتفتدى منه بما لها وتختلع فقيل لهم (ولا تعضلوهم) عطفًا على ترثوا ولا لنا كيد النفي والخطاب الأزواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه أى ولا أن تضيقوا عليهم (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهم) أى من الصداق بأن يدفعن إليكم بعضه اضطراراً فتأخذوه منهن وإنما لم يتعرض لفعلهن إيداناً بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطراراً وإنما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالأخذ ولا بالإذهاب للبالغة في تقييده ببيان تضمنه لأمرين كل منهما محذور
- شنيع الأخذ والإذهاب منهن لأنه عبارة عن الذهاب مستصحباً به (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرىء على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من أبان بمعنى تبين أى بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالذناء والسلطة ويعضده قراءة أبى إلا أن يفحش عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من أعم الأحوال أو أعم الأوقات أو أعم العلل أى ولا يحل لكم عضلهم في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات أو لعل من العلل إلا في حال إتيانهم بفاحشة أو إلا في وقت إتيانهم أو إلا لإتيانهم بها فإن السبب حينئذ يكون من جهتهم وأنتم معذورون في طلب الخلع (وعاشروهم بالمعروف) خطاب للذين يسيتون العشرة معهم والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في المقال ونحو ذلك (فإن كرهتموهن) وسنتم محبتهم بمقتضى الطبيعة من غير أن يكون من قبلهم ما يوجب ذلك من الأمور
- المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن (فحسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) علة للجزاء أقيمت مقامه للإيدان بقوة استلزامها إياه كأنه قيل فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيراً كثيراً ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر أى فقد قربت كراهتكم شيئاً وجعل الله فيه خيراً كثيراً فإن النفس ربما تكره ما هو أصلح في الدين وأحد عاقبة وأدنى إلى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم إلى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى أنفسكم وذكر الفعل الأول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل إلى تعميم مفعوله ليفيد أن ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصاً بمكرهه دون مكرهه بل هو سنة إلهية جارية على الإطلاق حسب اقتضاء الحكمة وأن مانحن فيه مادة من موادها وفيه من البالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الإرشاد ما لا يخفى وقرىء ويجعل مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تقديره وهو أى ذلك الشئ يجعل الله فيه خيراً كثيراً وقيل تقديره والله يجعل بوضع المظهر موضع المضمرة وتنوين خيراً لتفخيمه الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان غيامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الألفة والمحبة (وإن أردتم استبدال زوج) أى تزوج امرأة ترغبون فيها (مكان زوج) ترغبون عنها بأن تطلقوها (وآتيتهم إحداهن) أى إحدى الزوجات فإن المراد بالزوج هو الجنس

وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ٤ النساء
وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ ٤ النساء

- والجملة حالية ياخمار قد لا معطوفة على الشرط أى وقد آتيتم التى تريدون أن تطلقوها (قنطارا) أى مالا
- كثيراً (فلا تأخذوا منه) أى من ذلك القنطار (شياً) يسيراً فضلاً عن الكثير (تأخذونه بهتاناً وإثماً ميبناً) استثناء مسوق لتقرير النهى والتنفير عن المنهى عنه والاستفهام للإنكار والتوبيخ أى تأخذونه باهتين وآثمين أو للبهتان والإثم فإن أحدهم كان إذا تزوج امرأة بهت التى تحتها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج الجديدة فهواً عن ذلك والبهتان الكذب الذى يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل فى الفعل الباطل ولذلك فسرهننا بالظلم وقوله عز وجل (وكيف تأخذونه) ٢١ إنكار لأخذه إثر إنكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الإنكار إلى كيفية الأخذ إذناً بأنه مما لا سبيل له إلى التحقق والوقوع أصلاً لأن ما يدخل تحت الوجود لا بد أن يكون على حال من الأحوال فإذا لم يكن لشيء حال أصلاً لم يكن له حظ من الوجود قطعاً وقوله عز وجل (وقد أفضى بعضهم إلى بعض) حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد أى على أى حال أو فى أى حال تأخذونه والحال أنه قد جرى بينكم وبينهن أحوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) عطف على ما قبله داخل فى حكمه أى أخذن منكم عهداً وثيقاً وهو حق الصحبة والمعاشرة أو ما أوثق الله تعالى عليهم فى شأنهن بقوله تعالى فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان أو ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم) شروع فى بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم ٢٢ وإنما خص هذا النكاح بالنهى ولم ينظم فى سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة فى الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم فهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الأجداد مجازاً فنثبت حرمة ما نكحوها نصاً وإجماعاً ويستقل فى إثبات هذه الحرمة نفس النكاح إذا كان صحيحاً وأما إذا كان فاسداً فلا بد فى إثباتها من الوطء أو ما يجرى مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها فى الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين أو بالوجه المحرم ثبتت به الحرمة عندنا خلافاً للشافعى فى المحرم أى لا تنكحوا التى نكحها آبائكم وإيثار ما على من للذهاب إلى الوصف وقيل ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر (من النساء) ● بيان لما نكح على الوجهين (إلا ما قد سلف) استثناء مما نكح مفيد للبالغة فى التحريم بإخراج الكلام مخرج التعليق بالحال على طريقة قوله [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب] والمعنى لا تنكحوا حلال آبائكم إلا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الإباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى بلغ الجمل فى سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهى ويستوجب مباشرة المنهى عنه

حَرَمْتُ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُتُم نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمْ اللَّاتِي فِي جُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٤ النساء

كانه قيل لا تسكحوا ما نسكح آباؤكم من النساء فإنه موجب للعقاب إلا ما قد مضى فإنه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذه عليه لا أنه مقرر وبأبهما قوله تعالى (إنه كان فاحشة ومقتاً) فإنه تعليل للهي وبيان لسكون المنهى عنه في غاية القبح مبغوضاً أشد البغض وأنه لم يزل في حكم الله تعالى وعليه موصوفاً بذلك ما رخص فيه لأمة من الأمم فلا يلائم أن يوسط بينهما ما يهون أمره من ترك المؤاخذه على ما سلف منه (وساء سبيلاً) في كلمة ساء قولان أحدهما أنها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلاً سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب أى ذلك الماء وثانيهما أنها كسائر الأفعال وفيها ضمير يعود إلى ما عاد إليه ضمير أنه وسبيلاً تمييز والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو معطوفة على خبر كان محكمة بقول مضمرة هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلاً فإن السنة الأمم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الأعصار والأصاغر قبل مراتب القبح ثلاث القبح الشرعى والقبح العقلى والقبح العادى وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلى وقوله تعالى ومقتاً مرتبة قبحه الشرعى وقوله تعالى وساء سبيلاً مرتبة قبحه العادى وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ أقصى مراتب القبح (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت) ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصده من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له رأساً وأما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التى يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رهن فثابتة بدلالة النص لا اتحاد المدار الذى هو عدم محلية أبضاعهن لذلك لا بعبارة به شهادة سباق النظم الكريم وسياقه وإنما لم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن رأساً ولا حرمة سببه الذى هو العقد أو ما يجرى مجراه كما أوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لأن مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذى هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فإنه حيث كان مورده ذلك فأتى بفوات محليته له قطعاً وإنما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقيق محله حتماً ثم يزول بوقوع العتق في المواد التى سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتباً لجميع

- أحكامه المقصودة منه شرعاً وأما حل الوطء فليس من تلك الأحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والأمهات تعم الجدات وإن علون والبنات تتناول بناتهن وإن سفلان والأخوات ينتظمن الأخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل أنثى ولدها من ولد والدك والخالة كل أنثى ولدها من ولد والدتك قريباً أو بعيداً وبنات الأخ وبنات الأخت تتناول القريى والبعدى (وأمهاتكم اللائى • أَرْضِعْنَكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ) نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختاً وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم إخوته وأخواته لآبيه وأم المرضعة جدته وأختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم أخوته وأخواته لآبيه وأمه ومن ولدها من غيره فهم أخوته وأخواته لآمه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كللى جار على عموميه وأما أم أخيه لآب واخت ابنه لآم وأم أم ابنه وأم عمه وأم خاله لآب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى يحل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة ألا يرى أن الأولى موطوءة أبيه والثانية بنت موطوءته والثالثة أم موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد (وأمهات نسائكم) • شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة إثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحة كبحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الإطلاق سواء كن مدخولاً بهن أولاً وعليه جمهور العلماء روى عن النبي ﷺ أنه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل أن يدخل بها أنه لا بأس بأن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها وعن عمر وعمران بن الحصين رضى الله عنهما أن الأم تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسله فأرسلوا ما أرسل الله وعن ابن عباس أبهموا ما أبهم الله خلا أنه روى عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم أنهم قرءوا وأمهات نسائكم اللائى دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد أنه إذا ماتت عنده فأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها وإذا طلقها قبل أن يدخل بها فإن شاء فعل أقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والمسوسات ونظائرهن والأمهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر (وربائبكم اللائى في حجوركم) الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل إلى الاسمىة والريبب ولد المرأة من آخر سمي به لأنه يربيه غالباً كما يرب ولده وإن لم يكن ذلك أمراً مطرداً وهو المعنى بكونهن في الحجور فإن شأنهن الغالب المعتاد أن يكن في حضنة أمهاتهن تحت حماية أزواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكملها كما أنها النكته في إيرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فإن كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف القلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوى الملازمة والشبه بينهما وبين أولادهم ويستدعى إجراءهن مجرى بناتهن لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روى عن علي رضى الله عنه وبه أخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر أولاً بخلاف ما في قوله تعالى (من نسائكم اللائى دخلتم بهن) فإنه لتقييدها به قطعاً فإن • ٢١ - أبو السعود ج ٢ .

كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم أو من ضميرها المستكن في الظرف لأنه لما وقع صلة تحمل ضمير أي وربائبكم الآتي استقرار في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من أمهات أو ما أضيفت هي إليه خاصة وهو بين لا ستره به ولا مع ما ذكر أو لا ضرورة أن حالته من ربائبكم أو من ضمير ما تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحالته من أمهات أو من نسائكم تستدعي كونها بيانية وإدعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان أو جعل الموصول صفة للنساء مع اختلاف عاملهما بما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله مع أنه سعى في إسكات ما نطق به النبي ﷺ واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل وأما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن لإدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب

- وفي حكمه اللبس ونظائره كما مر (فإن لم تكونوا) أي فيما قبل (دخلتم بهن) أصلا (فلا جناح عليكم) أي في نكاح الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه (وحلائل أبنائكم) أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحملها للزوج أو لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه وفي حكمهن مزيئاتهم ومن يجزئ مجراهن من الممسوسات ونظائره من وقوله تعالى (الذين من أصلا بكم) لإخراج الأديباء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا في حكم الأبناء الصلبية (وأن تجمعوا بين الأخنتين) في حيز الرفع عطفاً على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهم في النكاح لا في ملك اليمين وأما جمعهما في الوطء بملك اليمين فلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن مائه في رحم أخنتين بخلاف نفس ملك اليمين فإنه ليس في معنى النكاح في الإفضاء إلى الوطء ولا مستلزماً له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها لا يحل له وطء إحداها حتى يحرم عليه وطء الأخرى بسبب من الأسباب وكذا لو تزوج أخت أمته الموطوءة لا يحل له وطء إحداها حتى يحرم عليه الأخرى لأن المنكوحة موطوءة حكماً فكأنه جمعهما وطأ وإسناد الحرمة إلى جمعهما لا إلى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن إفادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمنزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فإن مدار حرمة الجمع بين الأخنتين إفضاؤه إلى قطع ما أمر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل أولى فإن العمة والحالة بمنزلة الأم فقوله عليه السلام لا تنسك المرأة على عمها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب (إلا ما قد سلف) استثناء منقطع أي لكن ما قدمضي لا تؤخذون به ولا سبيل إلى جملة متصله بقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لأن قوله تعالى (إن الله كان غفوراً رحيماً) تعليل لما أفاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه قد جمع بين ليا أم يهوذا وبين راحيل أم يوسف عليه الصلاة والسلام ولا يساعده التعليل لأن ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالاً في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ
 أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً
 وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ٤ النساء

تعالى إلا امرأة الأب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن أنه قال كان أهل
 الجاهلية يعرفون هذه المحرمات إلا اثنتين نكاح امرأة الأب والجمع بين الاختين ألا يرى أنه قد عقب
 النهي عن كل منهما بقوله تعالى إلا ما قد سلف وهذا يشير إلى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وبأباه
 اختلاف التعليلين (والمحصنات) بفتح الصاد وهن ذوات الأزواج أحصنهن الزوج أو الأزواج أو ٢٤
 الأولياء أى أعفهن عن الوقوع فى الحرام وقرىء على صيغة اسم الفاعل فإنهن أحصن فروجهن عن غير
 أزواجهن أو أحصن أزواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الأولى أيضاً وفتح الصاد محمول على الشذوذ
 كما فى نظيره ملقح ومسهب من ألحق وأسهب قيل قد ورد الإحصان فى القرآن بإزاء أربعة معان الأول
 الزوج كما فى هذه الآية السكينة الثانى العفة كما فى قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما فى قوله تعالى
 ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات والرابع الإسلام كما فى قوله تعالى فإذا أحصن قيل فى
 تفسيره أى أسلن وهى معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى (من النساء) متعلق بمحذوف وقع حالا
 منها أى كائنات من النساء وفائدته تأكيد كيدعموها لا يدفع توهم شمول الرجال بناء على كونها صفة الأنفس كما
 توهم (إلا ما ملكت أيمانكم) استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس أى ملكتموه وإسناد الملك
 إلى الأيمان لما أن سببه الغالب هو الصفة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك فى الأرقاء لسيافى إناثهم وهن المرادات
 ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما إسقاطهن بما فيهن من قصور
 الرق عن رتبة العقلاء وهى إما عامة حسب عموم صلتها فلا استثناء حينئذ ليس لإخراج جميع أفرادها من
 حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لإخراج بعضها أى حرمت عليكم المحصنات
 على الإطلاق إلا المحصنات اللاتى ملكتموهن فإنهن لسن من المحرمات على الإطلاق بل فيهن من لا يحرم
 نكاحهن فى الجملة وهن المسيبات بغير أزواجهن أو مطلقاً حسب اختلاف الرايين وإما خاصة بالمذكورات
 فالمعنى حرمت عليكم المحصنات إلا اللاتى سبين فإن نكاحهن مشروع فى الجملة أى لغير ملاكهن وأما حلمن
 لهم بحكم ملك اليمين ففهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان
 حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وإنما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق
 دلالة النص وذلك مما لا يجرى فيه الاستثناء قطعاً وأما عدهن من ذوات الأزواج مع تحقق الفرقة بينهما
 وبين أزواجهن قطعاً بالتباين أو بالسبب على اختلاف الرايين فبنى على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ
 غافلين عن الفرقة ألا يرى إلى ما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من أنه قال أصبنا يوم أوطاس
 سباباً لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن فسالنا النبي ﷺ وفى رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على

نساء قد عرفنا أنسابهن وأزواجهن فنزلت والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم فاستحللناهن وفي رواية أخرى عنه ونادى منادى رسول الله ﷺ ألا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فأباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فإن ذلك إنما يتوقف على إفاذتها له بوجه من وجوه الدلالة على إفاذتها بطريق العبارة أو نحوها . هذا وقد روى عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه قال إنها نزلت في نساء كن يهاجرن إلى رسول الله ﷺ ولهن أزواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم أزواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق أو يتوقع من أزواجهن الإسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الإحصان والنهي التحريم المحقق وتعرف حال المتوقع وإلا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق إطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبوبة وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها أحق وأولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فإن علمتموهن مؤمنات فلا تزجوهن إلى الكفار لانهن حل لهن ولا هم يحلون لهن الآية (كتاب الله) مصدر مؤكد أي كتب الله (عليكم) تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الإغراء بفعل مضمر أي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق إما بالمصدر وإما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو إغراء آخر مؤكداً قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه أو بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الإغراء كما في قوله [بأيها المانح دلوى دونكاه] [أني رأيت الناس يحمدونكاه] وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل (وأحل لكم) عطف على حرمت عليكم الخ وتوسط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهم • للبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفاً على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بأمر الله تعالى ولا ضمير في اختلاف المسند إليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما أكدت الأولى بما يدل على أن المحرم هو الله تعالى (ما وراء ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من المحرمات المعدودة أي أحل لكم نكاح ما سواهن انفراداً وجمعاً ولعل إظهار اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه بدور حكم الحرمة في فهم مشاركة من في معناه لهن فيها بطريق الدلالة فإن حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالإحلال الإحلال مطلقاً أي على جميع الأحوال حتى يرد أنه يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل إنما هو لإحلالهن في الجملة أي على بعض الأحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الإنفراد ولا يقدح في ذلك حرمة بطريق الجمع ألا يرى أن حرمة نكاح المعتدة المطلقة ثلاثاً والخامسة ونكاح الأمة على الحرمة ونكاح الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرمة وبعد كذاب الملاعن نفسه وأنت خير بأن الحل يجب أن يتعلق ههنا بما يتعلق به الحرمة فيما سلف وقد • يتعلق ههنا بالجمع فلا بد أن يتعلق الحل ههنا به أيضاً (أن تبتغوا) متعلق بالفعلين المذكورين على أنه

- مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما وإظهارهما أى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة وإحلال ما سواهن إرادة أن تبتغوا بأموالكم والمفعول محذوف أى تبتغوا النساء أو متروك أى تفعلوا
- الابتغاء (بأموالكم) بصرفها إلى مهورهن أو بدل اشتغال مما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول (محصنين)
- حال من فاعل تبتغوا والإحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب (غير مسالحين) حال ثانية منه أو حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى هو صب المني سمي به لأنه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف أى محصنين فروجكم غير مسالحين الزواني
- وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لأن المحصن غير مسافح البتة ومافى قوله تعالى (فما استمتعتم به منهن) إما عبارة عن النساء أو عما يتعلق بهن من الأفعال وعلى التقديرين ففى إما شرطية ما بعدها شرطها وإما موصولة ما بعدها صلتهما وأياً ما كان ففى مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية إما فعل الشرط أو جوابه أو كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى (فأتوهن أجورهن) والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد إلى المبتدأ هو الضمير المنصوب فى فأتوهن سواء كانت شرطية أو موصولة ومن بيانية أو تبعيضية محملاً للنصب على الحالية من الضمير المجرور فى به والمعنى فأتى فرد استمتعتم به أو فالفرد الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء أو بعضهن فأتوهن أجورهن وقد روى تارة جانب اللفظ فأفرد الضمير أولاً وأخرى جانب المعنى لجمع ثانياً وثالثاً وأما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد إلى المبتدأ محذوف والمعنى أى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح أو خلوة أو نحوهما أو فالفعل الذى استمتعتم به من قبلهن من الأفعال المذكورة فأتوهن أجورهن لأجله أو بمقابلته والمراد بالأجور المهور
- فإنها أجور أبضاعهن (فريضة) حال من الأجور بمعنى مفروضة أو نعت لمصدر محذوف أى إيتاء مفروضاً أو مصدر مؤكد أى فرض ذلك فريضة أى لهن عليكم (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به) أى لا إثم عليكم فيما تراضيتن به من الحط عن المهر أو الإبراء منه على طريقة قوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه إثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله تعالى إلا أن يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح عن الرجال لأنها ليست مظنة الجناح إلا أن يجعل الخطاب للأزواج تغليبا فإن أخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتن به من نفقة ونحوها وقيل من مقام أو فراق ولا يساعده قوله تعالى (من بعد الفريضة) إذ لا تعلق لهما بالفريضة إلا أن يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت فى المتعة التى هى النكاح إلى وقت معلوم من يوم أو أكثر سميت بذلك لأن الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد أبيضت ثلاثة أيام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روى أنه عليه السلام أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع من هذه النساء إلا إن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة وقيل أبيض مرتين وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رجع عن القول بجوازها عند موته وقال اللهم إني أتوب إليك من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف (إن الله كان عليماً) بمصالح العباد (حكياً) فيما شرع لهم من الأحكام ولذلك شرع لكم هذه الأحكام اللانفقة بحالكم

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْنَتِكُمُ
 الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ
 فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا
 خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

٤ النساء

- ٢٥ (ومن لم يستطع منكم) من إما شرطية ما بعدها شرطها أو موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق
 ● بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع أى حال كونه منكم وقوله تعالى (طولا) أو غنى وسعة أى اعتلاء
 ● ونىلا وأصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع . وقوله عز وجل (أن ينكح المحصنات المؤمنات) إما
 مفعول صريح لطولا فإن أعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتقيا
 ذا مقربة كأنه قيل ومن لم يستطع منكم أن ينال نكاحهن وإما بتقدير حرف الجر أى ومن لم يستطع منكم
 غنى إلى نكاحهن أو لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا أى طولا موصلا إليه أو كائن له أو على
 نكاحهن على أن الطول بمعنى القدرة فى القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة
 ومحل أن بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائى والآخرش وإما بدل من طولا
 لأن الطول فضل والنكاح قدرة وإما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لأنه بمعناه إذا استطاعة
 هى الطول أو تمييز أى ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة أو من جهة الطول والغنى أى لا من جهة
 الطبيعة والمزاج فإن عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل
 مقابلتهن بالملوكات فإن حريتهن أحصتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان
 ● وقوله عز وجل (فما ملكت أيمانكم) إما جواب للشرط أو خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط
 والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة أى فلينكح امرأة أو أمة من النوع الذى ملكته
 أيمانكم وهو فى الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعية أى فلينكح
 امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر أى فلينكح ما ملكته أيمانكم
 ● وقوله تعالى (من فتياتكم المؤمنات) فى محل النصب على الحالية من الضمير المقدر فى ملكت الراجع
 إلى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من وما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لا ابتداء الغاية أو
 بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعية أى فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت أيمانكم
 والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر وما ملكت على ما تقدم آنفاً
 ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الأمة للمستطيع كما
 ذهب إليه الشافعى رحمه الله تعالى وعدم جواز نكاح الأمة الكتابية أصلاً كما هو رأى أهل الحجاز
 وقد جوزها أبو حنيفة رحمه الله تعالى متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف هو الأفضلية ولا

- نزاع فيها لأحد وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال وبما وسع الله على هذه الأمة نكاح
 الأمة واليهودية والنصرانية وإن كان موسراً وقوله تعالى (والله أعلم بآيمانكم) جملة معترضة جىء
 بها لتأنيسهم بنكاح الإماء واستتزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان أن مناط التفاضل ومدار
 التفاخر هو الإيمان دون الأنساب والأنسب على ما نطق به قوله عز قائلها يا أيها الناس إنا خلقناكم من
 ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم والمعنى أنه تعالى أعلم منكم
 بمراتبكم في الإيمان الذى به تنتظم أحوال العباد وعليه يدور فلك المصالح فى المعاش والمعاد ولا تعلق
 له بخصوص الحرية والرق فرب أمة يفوق إيمانها إيمان الحرائر وقوله تعالى (بعضكم من بعض) إن
 أريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتسايبهم من تلك الحيثية لإثبات بيان تفاوتهم فى ذلك وإن أريد
 به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكداً للتأنيس من جهة أخرى والخطاب فى الموضعين
 إما لمن كفى الخطاب الذى يعقبه قد روى فيما سبق جانب اللفظ وهما جانب المعنى والالتفات للاهتمام
 بالترغيب والتأنيس وإما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم أيضاً وأياما
 كان لإعادة الأمر بالنكاح على وجه الخطاب فى قوله تعالى (فانكحوهن) مع انقضاءه من قوله تعالى
 فما ملكت أيمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب فى نكاحهن وتقبيده بقوله تعالى (بإذن أهلن) وتصديره
 بالفاء للإبذان بترتبته على ما قبله أى وإذ قد وقفتم على جليلة الأمر فانكحوهن بإذن مواليهن ولا تترفعوا
 عنهن وفى اشتراط إذن الموالى دون مباشرتهم للعقد إشعار بجواز مباشرتهن له (وآتوهن أجورهن)
 أى مهورهن (بالمعروف) متعلق بآتوهن أى أدوا إليهن مهورهن بغير مظل وضرار وإلجاء إلى الاقتضاء
 واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته أن يكون الأداء إليهن بإذن الموالى فيكون ذكر إيتائهن
 لبيان جواز الأداء إليهن لا لكون المهور لهن وقيل أصله آتوا مواليهن فحذف المضاف وأوصل الفعل
 إلى المضاف إليه (محصنات) حال من مفعول فانكحوهن أى حال كونهن عفائف عن الزنا (غير
 مسالحات) حال مؤكدة أى غير مجاهرات به (ولا متخذات أصدان) عطف على مسالحات ولا لتأكيد
 ما فى غير من معنى النفي الخدن صاحب قال أبو زيد الأخدان الأصدقاء على الفاحشة والواحد خدن
 وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى أن لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى أن لا يكون لها
 أخدان أى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا فى الجاهلية منقسماً إلى هذين القسمين (فإذا
 أحصن) أى بالتزويج وقرىء على البناء للفاعل أى أحصن فزوجهن أو أزواجهن (فإن أتيتن بفاحشة)
 أى فعلن فاحشة وهى الزنا (فعليهن) فتابت عليهن شرعاً (نصف ما على المحصنات) أى الحرائر الأبكار
 (من العذاب) من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الإحصان فالمراد بيان
 عدم تفاوت حدهن بالإحصان كتفاوت حد الحرائر فالقاء فى فإن أتيتن جواب إذا والثانية جواب أن
 والشرط الثانى مع جوابه مترتب على وجود الأول كما فى قولك إذا أتيتنى فإن لم أكرمك فعبدى حر
 (ذلك) أى نكاح الإماء (لمن خشى العنت منكم) أى لمن خاف وقوعه فى الإثم الذى تودى إليه
 غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعترى الإنسان بعد

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ النساء

صلاح حاله ولا ضرر أعظم من موقعة المآثم بارتكاب الفحش القباح وقيل أريد به الحد لأنه إذا هويها يخشى أن يواقعها فيحد والأول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لإيهامه أن المحذور عنده الحد لا ما يوجب (وأن تصبروا) أى عن نكاحن متعفين كافين انفسكم عما تشتميه من المعاصي (خير لكم) من نكاحن وإن سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضى الله عنه أيما حر تزوج بأمة فقد أرق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الأمة من الزنا إلا قريب ولأن حق المولى فيها أقوى فلا يتخلص للزوج خلوص الحرائر ولأن المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج وأولاده ما لا مزيد عليه ولأنها متهنة مبتدلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية إلى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولأن مهرها ما ولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينظم أمر المنزل وقد قال ﷺ الحرائر صلاح البيت والإماء هلاك البيت (والله غفور) مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحن ما في ذلك من الأمور المنافية لحال المؤمنين (رحيم) مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحن (يريد الله ليبين لكم) استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها جارية على مناهج الممتدين من الأنبياء والصالحين قيل أصل النظم الكريم يريد الله أن يبين لكم فزادت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للإرادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق أى يريد الله أن يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وأفاضل أعمالكم أو ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لأجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى إلى سيبويه وقيل إن اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير إضمار أن وهى وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فإن اللام قد تقام مقام أن في فعل الإرادة والأمر فيقال أردت لاذهب وأن أذهب وأمرت أن تقوم وأن تقوم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون أن يطفئوا وقال تعالى وأمرنا لنسلم وفي موضع وأمرت أن أسلم وفي آخر وأمرت لأعدل بينكم أى أن أعدل بينكم وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا إن وظيفة اللام هي الجرو والنصب فيما قالوا بإضمار أن أى أمرنا بما أمرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالا ابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعبدى خير من أن تراه أى أن تسمع به ويعزى هذا رأى إلى بعض البصريين (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) من الأنبياء والصالحين لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) إذا تبتم إليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فإن المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعى تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم أو يرشدكم إلى ما يردعكم عن المعاصي ويحكمكم على التوبة أو إلى ما يكون كفارة لسيناتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن إرادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة (والله عليم) مبالغ في العلم بالأشياء التى من جملتها

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ٤ النساء

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ٤. النساء

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ٤ النساء

- ما شرع لكم من الأحكام (حكيم) مراعاة في جميع أفعاله الحكمة والمصلحة (والله يريد أن يتوب عليكم) ٢٧ جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى وكال مضررة ما يريد الفجرة لا لبيان إرادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الأسلوب إلى الجملة الاسمية دلالة على دوام الإرادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى (و يريد الذين يتبعون الشهوات) للإشارة إلى الحدوث وللإيماء إلى كمال المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى : الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فإن اتباعها الاتمار بها وأما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتبهات دون غيره فهو متبع له لهما وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الأخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فإنكم تحلون بنت الخالة وبنت العمّة مع أن العمّة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الأخ والأخت فزلت (أن تميلوا) عن الحق بموافقتهن على اتباع الشهوات ● واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرىء بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات (ميلاً عظيماً) أى بالنسبة إلى ميل من اقتراف خطيئة على ندرة بلا استحلال (يريد الله أن يخفف عنكم) بما ٢٨ مر من الرخص ما في عهدكم من مشاق التكالييف والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب (وخلق الإنسان ضعيفاً) عاجزاً عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن أن المراد ضعف الحلقة ولا يساعده المقام فإن الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وإنما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في أمر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما أيس الشيطان من بنى آدم قط إلا أتاها من قبل النساء فقد أتى على ثمانون سنة وذهبت إحدى عيني وأنا أعشوا بالآخرى وإن أخوف ما أخاف على فتنه النساء وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما وخلق الإنسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضى الله عنه ثمانى آيات في سورة النساء هن خير لهذه الأمة بما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليعين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ٤ النساء

- ينسبكم بالباطل) شروع في بيان بعض الحرمات المتعلقة بالأموال والأنفس إثر بيان الحرمات المتعلقة بالآبضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبية لإظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبيحه الشرع أى لا يأكل بعضكم أموال بعض بغير طريق شرعى (إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أى إلا أن تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله [إذا كان يوماً ماذا كواكب أشنعاً] أى إذا كان اليوم يوماً ما الخ أو إلا أن تكون الأموال أموال تجارة وقرىء تجارة بالرفع على أن كان تامة أى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أى وقوعها أو ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها بالذكر من بيان سائر أسباب الملك لكونها معظمها وأغلبها وقوعا وأوقعها لذوى المروءات والمراد بالتراضى مرضاة المتبايعين فيما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعى رحمه الله حالة الاقتراق عن مجلس العقد (ولا تقتلوا أنفسكم) أى من كان من جنسكم من المؤمنين فإن كلهم كنفس واحدة وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم والتعبير عنهم بالأنفس للبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل أو لا تهلكوا أنفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى إليه فإنه القتل الحقيقى لها كما يشعر به إيراد عقيب النهى عن أكل الحرام فيكون مقررراً للنهى السابق وقيل لا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجملية أو بارتكاب ما يؤدى إلى القتل من الجنايات وقيل يالقاتها في التهلكة وأيد بما روى عن عمرو بن العاص أنه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى ﷺ وقرىء ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوضيعة بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقيقها من حيث أنه سبب لقوامها وتحصيل كمالها واستيفاء فضائلها وتقديم النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه (إن الله كان بكم رحيمًا) تعليل للنهى بطريق الاستئناف أى مبالغاً في الرحمة والراقة ولذلك نهاكم عما نهى فإن في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصى وللذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ أموالهم وأنفسهم وقيل معناه إنه كان بكم يا أمة محمد رحيمًا حيث أمر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصاً لخطاياهم ولم يكفكم تلك التكاليف الشاقة (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى القتل خاصة أو لما قبله من أكل الأموال وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهما في الفساد (عدواناً وظلماً) أى إفراطاً) في التجاوز عن الحد وإتياناً بما لا يستحقه وقيل أريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلبها النصب على الحالالية أو على العلية أى معتدياً وظالماً أو للعدوان والظلم وقرىء عدواناً بكسر العين (فسوف نصليه) جواب للشرط أى ندخله وقرىء بالتشديد من صلى وافتتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى ولذلك من حيث إنه سبب للصلى (ناراً) أى ناراً مخصوصة هائلة شديدة العذاب (وكان ذلك) أى لإصلاؤه النار (على الله يسيراً) لتحقيق الداعى وعدم التصارف وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييل

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ٤ النساء
وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا
اَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ٤ النساء

(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) أي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها ما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرىء ٣١
كبير على إرادة الجنس (نكفر عنكم) بنون العظيمة على طريقة الالتفات وقرىء بالياء بالإسناد إليه ●
تعالى والتكفير إمالة المستحق من العقاب ثواب أزيد أو بتوبة أي تغفر لكم (سيئاتكم) صفاتكم ونعمها ●
عنكم . قال المفسرون الصلاة إلى الجمعة والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن من
الصغائر إذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه
الحد أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمة بقاطع وعن النبي ﷺ أنها سبع الإشراف بالله تعالى وقتل
النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن علي رضي الله عنه التعقب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر رضي الله عنهما السحر
واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال له الكبائر سبع قال هي إلى سبع مائة
أقرب منها إلى سبع وروى عنه إلى سبعين إذ لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل أريد
به أنواع الشرك لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الأوقات والأماكن أيضاً فأكبر
الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسأيط يصدق عليه الأمران فن عن له أمران
منها ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب
الأكبر من الثواب (وندخلكم مدخلا) بضم الميم اسم مكان هو الجنة (كراماً) أي حسناً مرضياً أو ●
مصدر ميمي أي ادخالا مع كرامة وقرىء بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني
بفعل مقدر مطارع للذكور أي ندخلكم فتدخلون مدخلا أو دخولا كريماً كما في قوله [وعضة دهر
يا ابن مروان لم تدع • من المال إلا مسحت أو مجلف] أي لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ (ولا تتمنوا ٣٢
ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي عليكم ولعل إشاراً إليهم عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم .
قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس عقبة بالنهي عما يؤدي إليه
من الطمع في أموالهم وتمنيها وقيل نهاهم أولاً عن التعرض لأموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب
على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما أعطاه الله تعالى بعضكم من الأمور
الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فإن ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن
تدبير لا ترق بأحوال العباد مترتب على الإحاطة بجلال شئونهم ودقائقها فعلى كل أحد من المفضل عليهم
أن يرضى بما قسم الله له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما أنه معارضة لحكم القدر المؤسس على

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَنُكَ فَأَتَوْهُم نَصِيبُهُمْ إِنْ
 اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٤ النساء

الحكم البالغة لا لأن عدمه خير له ولا لأنه لو كان خلافه لكان مفسدة له كما قيل إذ لا يساعده ماسياتي
 من الأمر بالسؤال من فضله تعالى فإنه ناطق بأن المنهى عنه تمنى نصيب الغير لا تمنى ما زاد على نصيبه مطلقاً
 هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء نحن أحوج أن يكون
 لنا سهمان وللرجال سهم واحد لا ناضع معافوهم أقرباء وأقدر على طلب المعاش منا فزلت وهذا هو الأنسب
 بتعليل النهي بقوله عز وجل (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) فإنه صريح في جريان
 التمثيل بين فريق الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين
 في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعدادده وقد عبر عنه بالاكْتِسَابِ على طريقة الاستعارة
 التبعية للمبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية
 لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمثيل المذكور وقوله تعالى (واسألوا
 الله من فضله) عطف على النهي وتوسط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال
 بالأمر كأنه قيل لا تمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي
 لا تفادها وحذف المفعول الثاني للتعميم أي واسألوه ما تريدون فإنه تعالى يعطيه كره أو لكونه معلوماً
 من السياق أي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوه فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين
 أحدكم مال أخيه ولكن ليقول اللهم ارزقني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله
 ﷺ قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الأجر
 الآخرى وإبقاء الاكتساب على حقيقته يجعل سبب النزول ماروى أن أم سلمة رضي الله عنها قالت
 ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم على أن المعنى لكل من
 الفريقين نصيب خاص به من الأجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلة ما يليق بهم من الأعمال كالجهاد
 ونحوه وللنساء أجر بمقابلة ما يليق بهن من الأعمال كحفظ حقوق الأزواج ونحوه فلا تمنى النساء خصوصية
 أجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بهن من الأجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق
 بالموارث وفضائل الرجال (إن الله كان بكل شيء عليماً) ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم
 على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الآتية
 (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون) جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول
 ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجهل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل
 جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً أي ولكل تركه جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويمحزون منها أنصباهم
 بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحَ تِ قَنَتَنَ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِيوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ٤ النساء

- كافصل في قوله تعالى قل أغير الله أتخذولياً فاطر السموات والأرض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما أضيف إليه أعني غير أو لكل قوم جعلناهم موالى أى ورثا أنصيب معينه غير أنصيب قوم آخرين بما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع إليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أى حظ منه وأما ما قيل من أن المعنى لكل أحد جعلنا موالى بما ترك أى ورثا منه على أن من صلة موالى لأنه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير مستكن عائد إلى كل وقوله تعالى الوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالى كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ فقيه تفكيك للنظم الكريم لأن بيان الموالى بما ذكر يفوت الإبهام المصحح لا اعتبار النفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما أشير إليه فى تقرير الوجهين الأولين مع ما فيه من خروج الأولاد من الموالى إذ لا يتناولهم الأقربون كما لا يتناول الوالدين (والذين عقدت أيمانكم) هم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وعند أبى حنيفة رحمه الله إذا أسلم رجل على يد رجل وتعاقدوا على أن يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله إرثه إن لم يكن له وارث أصلا وإسناد العقد إلى الإيمان لأن المعتاد هو المباشرة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم لحذف العهود وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ عقدت بالتشديد وعقدت بمعنى عاهدتهم أيمانكم وما سحتموه وهو مبتدأ مضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر أعنى قوله تعالى (فأتوهم نصيبهم) ● بالفاء أو منصوب بمضمير يفسره ما بعده كقولك زيد أفاضه أو مرفوع معطوف على الوالدان والأقربون وقوله تعالى فأتوهم الخ جملة مبنية للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للوالى (إن الله كان على كل شىء) ● من الأشياء التى من جملتها الإنباء والمنع (شهيذاً) فقيه وعد ووعيد/ (الرجال قوامون على النساء) كلام ٣٤ مستأنف مسوق لبيان سبب استحقات الرجال الزيادة فى الميراث تفصيلا لإثر بيان تفاوت استحقاتهم إجمالا وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإبذان بعراقهم فى الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه أى شأنهم القيام عليهم بالأمر والنهى قيام الولاية على الرعية وعلل ذلك بأمرين وهى وكسبى فقيل (بما فضل الله بعضهم على بعض) الباء سببية متعلقة بقوامون أو بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليباً أى قوامون عليهم بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهم أو ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور الأمر وعدم الحاجة إلى التصريح بالمفضل والمفضل عليه أصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كاله التى هى كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزبد القوة فى الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة فى جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة وغير ذلك (وبما) ●

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

٤ النساء

- أنفقوا من أموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الأولى وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية أو ابتدائية متعلقة بأنفقوا أو بمحذوف وقع حالاً من العائد المحذوف أى وبسبب إيفاقهم من أموالهم أو بسبب ما أنفقوه من أموالهم أو كانتاً من أموالهم وهو ما أنفقوه من المهر والنفقة روى أن سعد ابن الربيع أحد نقباء الأنصار رضى الله عنهم نشرزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ وشكا فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام أردنا أمراً
- وأراد الله أمراً والذي أراده الله خير (فالصالحات) شروع في تفصيل أحوالهن وبيان كيفية القيام عليهن
- بحسب اختلاف أحوالهن أى فالصالحات منهن (قانتات) أى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الأزواج
- (حافظات للغيب) أى ما وجب الغيب أى لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الأزواج من الفروج والأموال
- عن النبي ﷺ خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم وإضافة المال إليها للإشعار بأن ماله في حق التصرف في حكم مالها
- كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية (بما حفظ الله) ما مصدرية أى بحفظه تعالى إياهن بالأمر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له أو موصولة أى بالذى حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرىء بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف أى بالأمر الذى حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال (واللاتى تخافون نشوزهن) خطاب الأزواج وإرشاد لهم إلى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث أمر مكروه أو عند الظن أو العلم بحدوثه وقد يراد به أحدهما أى تظنون عصيانهن وترفعن عن مطاوعتهن من الذنوه وهو المرتفع من الأرض (فمنظوهن) فأنصحوهن بالترغيب والترهيب (واجرهوهن) بعد ذلك إن لم ينفع الوعظ والنصيحة
- (في المضاجع) أى فى المراقدة فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجمع وقيل المضاجع المبايت أى لا تبايتوهن وقرىء فى المضجع وفى المضطجع (واضربوهن) إن لم ينجح ما فعلتم من العظة والهجرا ن ضرباً غير مبرح ولا شائن (فإن أظعنكم) بذلك كما هو الظاهر لأنه منتهى ما بعد زاجراً
- (فلا تبغوا عليهن سبيلاً) بالتوبيخ والاذية أى فاذيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأنه لم يكن
- فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له (إن الله كان عليماً كبيراً) فاحذروه فإنه تعالى أقدر عليكم منكم على من تحت أيديكم أو أنه تعالى على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فأنتم أحق بالعفو عن أزواجكم عند إطاعتهم لكم أو أنه يتعالى ويكبر أن يظلم أحداً أو ينقص حقه وعدم التعرض لعدم إطاعتهم لهم للإيدان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يتحقق أو يفرض تحقيقه وأن الذى يتوقع منهن ويليق بشأنهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الإطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبثقة عن سببية ما قبلها لما بعدها (وإن خفتم شقاق بينهما) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الأحكام وارد على بناء

وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَنَّا وَبِذَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

٤ النساء

- الامر على التقدير المسكوت عنه أعنى عدم الإطاعة المؤدى إلى المخاصمة والمرافعة إليهم والشقاق المخالفة
إما لأن كلا منهما يريد ما يشق على الآخر وإما لأن كلا منهما فى شق أى جانب غير شق الآخر والخوف
ههنا بمعنى العلم قاله ابن عباس والجزم بوجود الشقاق لا ينافى بعث الحكمين لأنه لرجاء إزالته لا لتعرف
وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير الثنية للزوجين وإن لم يجر لها ذكر لجرى ما يدل عليها وإضافة
الشقاق إلى الطرف إما على إجرائه مجرى المفعول به كما فى قوله [يا سارق الليلة] أو مجرى الفاعل كما فى
قولك نهارة صائم أى إن علمت أو ظننت تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على إزالتها (فابعثوا) أى
● إلى الزوجين لإصلاح ذات البين (حكما) رجلا وسطا صالحا للحكومة والإصلاح (من أهله) من
● أهل الزوج (وحكما) آخر على صفة الأول (من أهلها) فإن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال
وأطلب للإصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبنا من الأجانب جاز واختلف فى أنهما هل يليان
الجمع والتفريق إن رأيا ذلك فليلهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبي وعن
الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما أن يتخالعا إن كان الإصلاح فيه (إن يريدان) أى الحكمان
● (إصلاحا) أى إن قصدا لإصلاح ذات البين وكانت نيتهم صحيحة وقلوبهم ناصحة لوجه الله تعالى (يوفق
● الله بينهما) يوقع بين الزوجين الموافقة واللفة واللى فى نفوسهما المودة والرافة وعدم التعرض لذكر
عدم إرادتهما الإصلاح لما ذكر من الإيذان بأن ذلك ليس مما ينبغي أن يفرض صدوره عنهما وأن
الذى يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو إرادة الإصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الإصلاح
وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الأمر إلى عدم إرادتهما فإن الشرطية الناطقة بدوران وجود
التوفيق على وجود الإرادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها . وقيل كلا الضميرين للحكمين أى إن
قصدا لإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين أى إن أرادا
إصلاح ما بينهما من الشقاق أوقع الله تعالى بينهما اللفة والوافق وفيه تنبيه على أن من أصلح نيته فيما
يتوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه (إن الله كان عليهما خبيراً) بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق
ويوقع الوفاق (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) كلام مبتدأ مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بحقوق
٣٦ الوالدين والأقارب ونحوهم أثر بيان الأحكام المتعلقة بحقوق الأزواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز
وجل التى هى أكد الحقوق وأعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها فى سلكها كما فى سائر
المواقع وشيئاً نصب على أنه مفعول أى لا تشركوا به شيئاً من الأشياء صنما أو غيره أو على أنه مصدر
أى لا تشركوا به شيئاً من الإشراك جليلاً أو خفياً (وبالوالدين إحساناً) أى أحسنوا بهما إحساناً

الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾

٤ النساء

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾

٤ النساء

- (وبذى القربى) أى بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك (واليتمى والمساكين) من
- الأجانِب (والجار ذى القربى) أى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب
- أودين وقرىء بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى (والجار الجنب) أى البعيد أو الذى لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة تجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من أهل الكتاب وقرىء والجار الجنب (والصاحب بالجنب) أى الرفيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجانبك فى مسجد أو مجلس أو غير ذلك من أدنى
- حجة التأميت بينك وبينه وقيل هى المرأة (وابن السبيل) هو المسافر المنقطع به أو الضيف (وما ملكك أيمانكم) من العبيد والإماء (إن الله لا يحب من كان مختالا) أى متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه
- ٣٧ وأصحابه ولا يلتفت إليهم (فخوراً) يتفاخر عليهم والجملة تعليل للأمر السابق (الذين يبخلون ويأمرُونَ الناس بالبخل) بضم الباء وسكون الخاء وقرىء بفتح الأول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله تعالى من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أى هم الذين أو مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون أحقاء بكل ملامة (يكتُمون ما آتاهم الله من فضله) أى من المال والغنى أو من نعمته عليه السلام التى يدينها لهم فى التوراة وهو أنسب بأمرهم للباس بالبخل فإن أحبارهم كانوا يكتُمونها ويأمرُونَ أعقابهم بكتُمها (وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) وضع الظاهر موضع المضمَر إشعاراً بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافراً بنعمة الله تعالى فله عذاب مهين كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للأَنْصار بطريق النصيحة لا تنفقوا أو الكم فإننا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله ﷺ والجملة اعتراض
- ٣٨ تذييل مقرر لما قبلها (والذين ينفقون أموالهم رياء الناس) أى للفخار وليقال ما أسخام وما أجودهم لا لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون أو على الكافرين وإنما شاركوهم فى الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذى هو الإنفاق فيما لا ينبغي من حيث أنهما طرفا تفريط وإفراط سواء فى القبح واستتباع اللاتمة والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغير الوصفى مجرى التغير الذاتى كما فى قوله [إلى الملك القرم وابن الهمام] وليت الكتاب فى المزدحم] أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه
- قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل والذين ينفقون أموالهم رياء الناس (ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر)

وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴿٣٩﴾ ٤ النساء
إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيماً ﴿٤٠﴾ ٤ النساء

- ليتحروا بالإففاق مرضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون أموالهم في عداوة رسول الله ﷺ وقيل المنافقون (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) أى فقرينهم الشيطان وإنما حذف الإيذان بظهوره ● واستغناؤه عن التصريح به والمراد به إبليس وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) أى على من ذكر من الطوائف (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) أى ٣٩ ابتغاء لوجه الله تعالى وإنما لم يصرح به تعويلاً على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فإنه يقتضى أن يكون الإففاق لا ابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البينة أى وما الذى عليهم أو أى تبعة ووبال عليهم فى الإيمان بالله والإففاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكير لطلب الجواب لعله يودى بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الإيمان بهما لأهميته فى نفسه ولعدم الاعتداد بالإففاق بدونه وأما تقديم إنفاقهم رثاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس به (وكان الله بهم) وبأحوالهم المحققة (عليها) فهو وعيد لهم بالعقاب أو بأعمالهم ● المفروضة فهو بيان لإثابته تعالى إياهم لو كانوا قد آمنوا وأنفقوا كما ينبى عنه قوله تعالى (إن الله لا يظلم ٤٠ مثقال ذرة) المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على أنه نعت للفعال قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص أو بمعنى وضع الشيء فى غير موضعه أى لا ينقص من الأجر ولا يزيد فى العقاب شيئاً مقدار ذرة أو على أنه نعت للبصدر المحذوف نائب منابه أى لا يظلم ظلماً مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة أو كل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة وهو الأنسب بمقام المبالغة فإن قلته فى الثقل أظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة (وإن تك حسنة) أى وإن تك مثقال ذرة حسنة أنك لتأيت الخبر أو لإضافته إلى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف العلة وتخفيفاً لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة (يضاعفها) أى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيهاً على كمال الاتصال بينهما ● كأنهما شئ واحد وقرئ يضاعفهما وكلاهما بمعنى واحد وقرئ يضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات . عن عثمان النهدي أنه قال لأبى هريرة رضى الله عنه بلغنى عنك أنك تقول سمعت رسول الله ﷺ يقول يقول إن الله تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول يقول

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾
يَوْمَئِذٍ يُوَدِّعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ٤ النساء

- يعطيه أنى الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدهنه) ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائداً على ما وعده في مقابلة العمل (أجرأ عظيماً) عطاء جزيل
- ٤١ وإنما سماه أجرأ لكونه تابعاً للأجر مزيداً عليه (فكيف) محملاً إما الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف وإما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأى سيويه أو على التشبيه بالظرف كما هو رأى الأخفش أى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم أو كيف يصنعون (إذا جئنا) يوم القيامة (من كل أمة) من الأمم (بشاهد) يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبههم كما فى قوله تعالى وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم والعامل فى الظرف مضمون
- المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا (وجئنا بك) يا محمد (على هؤلاء) إشارة إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر (شهاداً) تشهد على صدقهم لعلك بعقائدهم لا استجماع شرعك لجامع قواعدهم وقيل إلى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والمصيان
- كما يشهد سائر الأنبياء على أممهم وقيل إلى المؤمنين كما فى قوله تعالى لتكنوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول) استئناف لبيان حالهم التى أشير إلى شدتها
- ٤٢ وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فإن أريد بهم المكذبون لرسول الله ﷺ فالتعبير عنهم بملو صول لاسيما بعد الإشارة إليهم بهؤلاء لدمهم بما فى حيز الصلة والإشعار بعلته ما اعترام من الحال الفظيعة والأمر الهائل وإبراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبه فإن حق الرسول أن يؤمن به ويطاع لا أن يكفر به ويعصى وإن أريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون فى زميرهم دخولا أوليا والمراد بالرسول حينئذ الجنس المنتظم للنبي عليه السلام انتظاماً أولياً وأياماً كان فقيه من تهويل الأمر وتفضيع الحال مالا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه فى الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم فقيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع فى حق المؤاخذه وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر أى يود فى ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول أو الذين كفروا وقد عصوا الرسول أو الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو فى قوله تعالى (لو تسوى بهم الأرض) إن جعلت مصدرية فالجمله مفعول ليود أى يودون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى وقيل يودون أنهم لم يبعثوا أو لم يحلقوا وكأنهم والأرض سواء وقيل تصير البهائم تراباً فيودون حالها وإن جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه أى يودون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضاً محذوف لإبذناً بغاية ظهوره أى لسروا بذلك وقوله تعالى (ولا يكتُمون الله حديثاً) عطف على يود أى ولا يقدرّون على كتمانها لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

٤ النساء

أى يودون أن يدفنوا فى الأرض وهم لا يكتُمون منه تعالى حديثاً ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روى أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرىء تسوى على أن أصله تنسوى فأدغم التاء فى السين وقرىء تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته قدسوى (بأياها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى ٤٣ تعلموا ما تقولون) لما نهوا فيما سلف عن الإشراف به تعالى نهوا ههنا عما يؤدى إليه من حيث لا يحسبون فإنه روى أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه صنع طعاماً وشراباً حين كانت الخمر مباحة فدعاهم من الصحابة رضى الله عنهم فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فزلت وتصدير الكلام بحرفى النداء والتنبيه للبالغه فى حملهم على العمل بموجب النهى وتوجيه النهى إلى قربان الصلاة مع أن المراد هو النهى عن إقامتها للبالغه فى ذلك وقيل المراد النهى عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها فى حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه إذ بتلك التجربة يظهر أنهم يعلمون ما يسقرونه فى الصلاة وحمل ما تقولون على ما فى الصلاة يستدعى تقدم الشروع فيها على غاية النهى وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرونها فى الصلاة تطويل بلا طائل لأن تلك الحيثية إنما تظهر بما ذكر من التجربة على أن إظهار ما تقولون على ما تقرونها حينئذ يكون عارياً عن الداعى وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وأباً ما كان فليس مرجع النهى هو المقيد مع بقاء القيد مرخصاً بحاله بل إنما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً كأنه قيل بآياها الذين آمنوا لا تسكروا فى أوقات الصلاة وقد روى أنهم كانوا بعد ما زلت الآية لا يشربون الخمر فى أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلوا ما يقولون (ولا جنباً) عطف على قوله تعالى وأنتم سكارى فإنه فى حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنباً والجنب من أصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر (إلا عابري سبيل) استثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقيده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه فعل النهى أى لا تقربوا الصلاة جنباً فى حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين على معنى أن فى حالة السفر ينتهى حكم النهى لكن لا بطريق شمول النهى لجميع صورها بل بطريق نفى المشمول فى الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية البعض المستثنى ولا على بقاء خصوصية

- البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كلياً ولا جزئياً فإن الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير إلى مخالفة حكم ما بعده لما قبله إشارة إجمالية يكتفى بها في المقامات الخطائية لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن ملاك الأمر في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقبيه على طريقة البيان وقيل هو صفة جنباً على أن إلا بمعنى غير أي وإلا جنباً غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن يكون الماء والطريق فيه وقيل إن رجلاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون مراً إلا في المسجد فرخص لهم ذلك (حتى تغتسلوا) غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للإيدان من أول الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق كما في صورة السكر تشويهاً إلى البيان وروماً لزيادة تفرره في الأدهان وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتحرز عما يليه ويشغل قلبه وأن يزي نفسه عما يندسها ولا يكتفى بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها (وإن كنتم مرضى) شروع في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ماهو في حكم المستثنى من الأعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للإشعار بأنه العذر الغالب المنبئ عن الضرورة التي عليها يدور أمر الرخصة كأنه قيل ولا جنباً إلا مضطرين وإليه مرجع ما قيل من أنه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقاً سواء كان ذلك بتعذر الوصول إليه أو بتعذر استعماله (أو على سفر) عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإبراده صريحاً مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فإن الاستثناء كما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلاً عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للإيدان بأصالة واستقلاله بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه (أو جاء أحد منكم من الغائط) هو المكان الغائر المظلم والمحجى منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريد بهذه إلى ليوارى شخصه عن أعين الناس وإسناد المحجى منه إلى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم إلى ما يستحي منه أو يستهجن التصريح به وكذلك إشار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل (أو لمستم النساء) على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى (فلم تجدوا ماء) بل هو السبب في الحقيقة وإنما ذكر اتهميداً له وتنبهاً على أنه سبب الرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى أو مسافرين بل كنتم فافدين للماء بسبب من الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع أنه معتبر في صورة المرض والسفر أيضاً للندرة وقوعه فيها واستغنائها عن ذكره إلا أن الجنابة معتبرة فيهما قطعاً فيعلم من حكمها حكم الحدث الأصغر بدلالة النص لأن تقدير النظم لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا حال كونكم مسافرين فإن كنتم كذلك أو كنتم مرضى إلخ ولما قيل من أن عموم إعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظاً وما قيل من أن هذا القيد راجع إلى الكل وأن قيد وجوب التطهر المكفى عنه بالمحجى من الغائط والملاسة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ النساء

- معتبر في الكل لما لا يساعده النظم الكريم (فتيمة و صعيداً طيباً) فعمدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً قال الزجاج الصعيد وجه الأرض تراباً أو غيره وإن كان صخراً لا تراب عليه لو ضرب التيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله لا بد أن يعلق باليد شيء من التراب (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) أى إلى المرفقين لما روى أنه ﷺ تيمم ومسح يديه إلى مرفقيه ولأنه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره (إن الله كان عفواً غفوراً) تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من عادته المستمرة أن يعفو عن الخطائين ويغفر للذنبين لا بد أن يكون ميسراً لا معسراً وقيل هو كناية عنهما فإن الترفيه والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران (ألم تر إلى الذين أوتوا ٤٤ نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من ينأت منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه إليه ههنا مع توجيهه فيما بعد إلى الكل معاً للإيدان بكال شهرة شناعة حالهم وأنها بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية أى ألم تنظر إليهم فإنهم أحقاء أن تشاهدكم وتتعجب من أحوالهم وتجويز كونها قلبية على أن إلى لتضمنها معنى الانتهاء لما فعلوه بأباه مقام تشهير شنائعهم ونظمها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في حبرين من أحبار اليهود كانا يأتیان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام وعنه رضى الله عنه أيضاً أنها نزلت في رفاعه بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله ﷺ لويأ لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاماً أولاً تطويل للمسافة وبالذى أوتوه ما بين لهم فيها من الأحكام والعلوم التي من جهلتها ما علوه من نعوت النبي ﷺ وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبى عن كونه حقاً من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للإيدان بكال ركافة آرائهم حيث ضيعوه تضييعاً وتنوينه تفخيماً مؤيداً للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شنائعهم والإشعار بمكان ما طوى ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو أحد العوضين وكلمة من متعلقة إما بأوتوا أو بمحذوف وقع صفة لنصيباً مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية أى نصيباً كائناً من الكتاب وقوله تعالى (يشترئون الضلالة) قيل هو حال مقدرة من • واو أوتوا ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشتراهم المذكور في الإيتاء مما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول أى ألم تنظر إليهم حال اشتراهم وأنت خبير بأنه خال عن إفادة أن مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم أنه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الإجمال والإبهام مبنى على سئوال نشأ منه كأنه قيل ما ذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقليل يأخذون الضلالة ويتركون ما أوتوه من الهداية وإنما طوى المتروك لغاية ظهور الأمر لاسيما بعد الإشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾
 ٤ النساء
 مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا
 لَيًّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ
 وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾
 ٤ النساء

استبدال السلعة بالثمن أى أخذها بدلا منه أخذاً ناشأ عن الرغبة فيها والإعراض عنه للإبذان بكال
 رغبتهم فى الضلالة التى حقها أن يعرض عنها كل الإعراض وإعراضهم عن الهداية التى يتنافس فيها
 المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم
 بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد ممن له أدنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى
 يخل بمعنى الاشتراء المنبئ عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم فى الكفر بعد
 ما علموا بشأن النبى ﷺ و يتقنوا بحقيقة دينه وأنه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة ولا ريب فى أن
 هذه الرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر فى أوائل سورة البقرة (ويريدون) عطف على يشعرون
 شريك له فى بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددى فإن تجدد
 حكم اشتراهم المذكور وتكرر العمل بموجبه فى قوة تجدد نفسه وتكرره أى لا يكتفون بضلال أنفسهم
 بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعمته عليه السلام (أن تضلوا) أنتم أيضاً أيها المؤمنون (السبيل) المستقيم
 ٤٥ الموصل إلى الحق (والله أعلم) أى منكم (بأعدائكم) جميعاً ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم
 وما يريدون بكم لتكسبوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة لتقرير
 ارادتهم المذكورة (وكفى بالله ولياً) فى جميع أموركم ومصالحكم (وكفى بالله نصيراً) فى كل المواقف فتقوا به
 واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من سوء فإنه تعالى يكفيكم
 مكرم وشرم ففيه وعد ووعد والباء مزيدة فى فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادى بالاتصال الإضافى
 وتكرير الفعل فى الجملتين مع إظهار الجلالة فى مقام الإضمار لاسيما فى الثانى لتقوية استقلالهما المناسب
 للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل فى كل من الولاية والنصرة والإشعار بعليتهما فإن الألوهية من
 ٤٦ موجباتها لا محالة (من الذين هادوا) قيل هو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه أنه لا وجه لتخصيص
 عليه سبحانه بطائفة من أعدائهم لاسيما فى معرض الاعتراض الذى حقه العموم والإطلاق وانتظام ما هو
 المقصود فى المقام انتظاماً أولياً كما أشير إليه وقيل هو صلة لنصير أى نصركم من الذين هادوا كما فى قوله تعالى
 فمن ينصرنى من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه لا داعى إلى وضع الموصول وضع
 ضمير الاعتداء لأن ما فى حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله
 تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه) صفة له أى من الذين هادوا قوم أو فريق يحرفون الكلم وفيه أنه يقتضى
 كون الفريق السابق بمحذوف من التحريف الذى هو المصدق لاشتراطهم فى الحقيقة فالنصير يلقب بشأن

- التنزيل الجليل أنه بيان للحوادث الأول المتناول بحسب المفهوم لأهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة إلى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وأن قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لا شراهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الإبهام والتفصيل إثر الإجمال وما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحدة كلمة كتمر وتمررة وتذكير ضميره باعتبار أفراد لفظاً وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرىء بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرىء يحرفون الكلام والمراد به ههنا إما ما في التوراة خاصة وإما ما هو أعم منه وما سيحكي عنهم من الكلمات المعمودة الصادرة عنهم في أثناء المحاورة مع رسول الله ﷺ ولا مسامحة لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يحمل عطف قوله تعالى (ويقولون سمعنا وعصينا) الخ على ما قبله عطفاً تفسيرياً لما استقف على سره فإن أريد به الأول كما هو رأى الجمهور فتحريفه إزالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي ﷺ أسمر ربعة عن موضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوالاً وتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد أو صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى مالا صحة له بالتأويلات الزائفة الملائمة لشهواتهم الباطلة وإن أريد به الثاني فلا بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقاً سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحاً كواضع ما في التوراة أو بتعيين العقل أو الدين كواضع غيره وأياً ما كان فقوله سمعنا وعصينا ينبغي أن يجري على إطلاقه من غير تقييد بزمان أو مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وأن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالمهم عند تحريف التوراة فإن من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية ولا يحمل على ما قالوه في مجلس النبي ﷺ من القبايح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها بهم من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع أنه معظم جنايتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر يخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي ﷺ أولاً بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا عناداً وتحقيقاً للخالف وقوله تعالى (واسمع غير مسمع) عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون ذلك في أثناء مخاطبته ﷺ خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاماً أصلاً بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت أو غير مسمع كلاماً ترصاه حينئذ يجوز أن يكون نصبه على المفعولية . وللخير بأن يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي ﷺ استهزاء به مظهرين له ﷺ إرادة المعنى الأخير وهم مضمررون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به (وراعنا) عطف على اسمع غير مسمع أي ويقولون في أثناء خطابهم له ﷺ هذا أيضاً يوردون كلا من العظام الثلاث في مراقبها وهي أيضاً كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى أرقبنا وانظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة أي الحق أو إيجرائها بحري ما يوجبها من كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعيناً كانوا يخاطبون به ﷺ بذلك بنوون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام بمصيرهم إلى مسلك النفاق في

القولين الآخرين مع تصريحهم بالعصيان في الأول لما قالوا من أن جميع الكفرة كانوا يوافقونه بالكفر
 والعصيان ولا يوافقونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الأول فيما بينهم وقيل يجوز أن لا ينطقوا
 بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به (لياً بالسنتهم) أى فتلابها وصرفاً للكلام عن نهجه
 إلى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا أسمعت مكرها وأجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى
 انظرنا أو فتلابها وضماً لما يظهرونه من الدعاء والتوقير إلى ما يضررونه من السب والتحقير (وطعننا في
 الدين) أى قد حافيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلبة ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الآخرين
 أى يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه إلى السب والطعن في الدين أو على الحالية أى لاوين وطاعنين
 في الدين (ولو أنهم) عندما سمعوا شيئاً من أوامر الله تعالى ونواهيه (قالوا) بلسان المقال أو بلسان
 الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا (سمعنا وأطعنا) إنما أعيد سمعنا مع أنه متحقق في كلامهم وإنما الحاجة
 إلى وضع أطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد
 ومرادهم بحكاية إعلام عصيانهم للأمر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من إزالته وإقامة سماع القبول
 مقامه (واسمع) أى لو قالوا عند مخاطبة النبي ﷺ بدل قولهم اسمع غير مسمع اسمع (وانظرنا) أى
 ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شراً وفساداً أى لو ثبت أنهم قالوا هذا مكان
 ما قالوا من الأقوال (لكن) قولهم ذلك (خير لهم) بما قالوا (وأقوم) أى أعدل وأسد في نفسه وصيغة
 التفضيل إما على بابها واعتبار أصل الفضل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم أو بطريق التكميل وإما بمعنى
 اسم الفاعل وإنما قدم في البيان حاله بالنسبة إليهم على حاله في نفسه لأن همهم مقصورة على ما ينفعهم
 (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أى ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وأبعدهم عن
 الهدى بسبب كفرهم بذلك (فلا يؤمنون) بعد ذلك (إلا قليلاً) قيل أى إلا إيماناً قليلاً لا يجاب به وهو
 الإيمان ببعض الكتب والرسل أو إلا زماناً قليلاً وهو زمان الاحتضار فإنهم يؤمنون حين لا ينفعهم
 الإيمان قال تعالى وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بإيمان قطعاً وقد جوز
 أن يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أى إن كان
 الإيمان المعدوم إيماناً فهم يحدثون شيئاً من الإيمان فهو في المعنى تعليق بالحال وأنت خبير بأن الكل يأباه
 ما يعقبه من الأمر بالإيمان بالقرآن الناطق بهذا لإفضائه إلى التكليف بالحال الذي هو إيمانهم بعدم إيمانهم
 المستمر أما على الوجه الأخير فظاهر وأما على الأولين فلأن أمرهم بالإيمان المنجز بجميع الكتب والرسل
 تكليف لهم بإيمانهم بعدم إيمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم إيمانهم إلى وقت الاحتضار فالوجه أن
 يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لإفضائه إلى
 وقوع إيمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراءة إلى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير
 المفعول في لعنهم أى ولكن لعنهم الله إلا فريقاً قليلاً فإنه تعالى لم يلغ عنهم فلم ينسده عليهم باب الإيمان وقد
 آمن بعد ذلك فريق من الأحبار كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما كما سيأتي .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلِكْتَبَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدِّهَا
عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

٤ النساء

- (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) تلوين للخطاب وتوجيه له إما إلى من حكيت أحوالهم وأقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بإيتاء الكتاب أى التوراة وأخرى بإيتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حقه فإن المقصود فيما سبق بيان أخذهم الضلالة وإزالة ما أوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما أزالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بإيتائه بل هو بعضها فوصفوا بإيتائه وأما همنا فالمقصود تأكيد إيجاب الامتثال بالأمر الذى يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث إن الإيمان بالمصدق موجب للإيمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتضى للكفر بالأول قطعاً ولا ريب فى أن المحذور عندهم إنما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك إنما يتحقق بجعل القرآن مصدقاً لكلها وإن كان مناط التصديق بعضاً منها ضرورة أن مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتماً . وإما إليهم وإلى غيرهم قاطبة وهو الأظهر وأياما كان تفصيل ما فصل لما كان من مظان إقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالأمر بالمبادرة إلى سلوك حجة الهداية مشفوعاً بالوعيد الشديد على المخالفة ف قيل (آمنوا بما نزلنا) من القرآن عبر عنه بالموصول ●
تشریفاً له بما فى حيز الصلة وتحقيقاً لكونه من عنده عز وجل (مصدقاً لما معكم) من التوراة عبر عنها بذلك للإيذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فإن المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرار المراجعة إليها من موجبات العثور على ما فى تضاعيفها المؤدى إلى العلم بكون القرآن مصدقاً لها ومعنى تصديقه إياها نزوله حسبما نعت لهم فيها أو كونه موافقاً لها فى القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصى والفواحش وأما ما يترامى من مخالفته لها فى جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم والأعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث إن كلا منها حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال ﷺ لو كان موسى حياً لما سمعه إلا اتباعى (من) ●
قبل أن نطمس وجوهاً متعلق بالأمر مفيد للسارعة إلى الامتثال به والجد فى الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على أبلغ وجهه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيهاً على أن ذلك أمر محقق غنى عن الإخبار به وأنه على شرف الوقوع متوجه نحو مخاطبين وفى تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفى إيهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الإيمان وأصل الطمس محو الآثار وإزالة الأعلام أى آمنوا من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضى الله عنهما نجعلها كحف البعير أو كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقولها تعالى فطمسنا أعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة (فردها على أدبارها) ●
فنجعلها على هيئة أدبارها وأقفاؤها مطموسة مثلاً فالفاء للنسيب أو ننكسها بعد الطمس فردها إلى موضع

الآقاء والافقاء إلى موضعها وقد اكتفى بذكر أشدهما فالقاء للتعقيب وقيل المراد بالوجه الوجهاء على أن الطمس بمعنى مطلق التغيير أى من قبل أن تغير أحوال وجهاتهم فنسلب إقبالهم ووجهاتهم ونكسوم صغاراً وأدباراً أو نردم من حيث جاءوا منه وهى أذرع الشأم فالمراد بذلك إجلاله بنى النصير ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ماسبق من الوجوه وقد اختلف فى أن الوعيد هل كان بوقوعه فى الدنيا أو فى الآخرة فقبل كان بوقوعه فى الدنيا ويؤيده ما روى أن عبد الله ابن سلام رضى الله تعالى عنه لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية أتى رسول الله ﷺ قبل أن يأتى أهله فأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهى إلى قفاى وفى رواية جاء إلى النبي ﷺ ويده على وجهه وأسلم وقال ما قال وكذا ما روى أن عمر رضى الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقبل لأنه منتظر بعد ولا بد من طمس فى اليهود ومسوخ وهو قول المبرد وفيه أن انصراف العذاب الموعود عن أولئهم وهم الذين باشروا أسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة فى رسول الله ﷺ فكذبوها وفى التوراة غر فوها وأصرروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشاهدة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعد مئات من السنين من أعقابهم الضالين يا ضلالهم العالمين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله تعالى العزيز الحكيم. وقيل إن وقوعه كان مشروطاً بعدم الإيمان وقد آمن من أحبارهم المذكوران وأضرابهما فلم يقع وفيه أن لإسلام بعضهم إن لم يكن سبباً لتأكد نزول العذاب على الباقين لتشديد التكرار والعناد بعد ازدياد الحق وضوحاً وقيام الحجة عليهم بشهادة أمثالهم العدول فلا أقل من أن لا يكون سبباً لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع أحد الأمرين كما ينطق به قوله تعالى (أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) فإن لم يقع الأمر الأول فلا نزاع فى وقوع الثانى كيف لا وهم ملعونون بكل لسان فى كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وأنت خير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب السبت هو المسخ وليس فى عطفه على الطمس والرد على الأدبار شائبة دلالة على عدم إرادة المسخ ضرورة أنه تغيير مغاير لما عطف عليه على أن المتوعد به لا بد أن يكون أمراً حادثاً مترتباً على الوعيد محذوراً عندهم ليسكون مزجراً عن مخالفة الأمر ولم يعهد أنه وقع عليهم لعن بهذا الوصف إنما الواقع عليهم ما تداولته الألسنة من اللعن المستمر الذى ألفوه وهو بمعزل من صلاحية أن يكون حكماً لهذا الوعيد أو مزجراً للعنيد وقيل إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر فى الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع وأما ما روى عن عبد الله بن سلام وكعب فمبنى على الاحتياط اللاتق بشأنهما والحق أن النظم الكريم ليس بنص فى أحد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الأول لأنه أدخل فى الزجر وعليه مبنى ما روى عن الخبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم أن المراد هو الثانى والله تعالى أعلم وأياً ما كان فلعل السر فى تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات خراعة المشاكلة بينهما وبين ما أوجها من جنائهم التى هى التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير (وكان أمر الله) أى ما أمر به كائنات ما كان أو أمره بإيقاع شيء ما من الأشياء (مفعولاً) نافذاً كائناتاً لا محالة فدخل فيه ما أوعدهم به

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا

عَظِيمًا ٤ النساء

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٤ النساء

- دخولاً أولاً فالجمللة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية الملمة وتعليل الحكم وتقوية مافي الاعتراض من الاستقلال (إن الله لا يغفر أن يشرك به) كلام ٤٨ مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيده وجوب الامثال بالآمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى تخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أى على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاماً أولاً فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الأنسب بسباق النظم الكريم وسياقه لا يقتضى اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجهم فيه قطعاً بل لا وجه له أصلاً لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أى لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلاتوبة وإيمان لأن الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرة بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر والمعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي (ويغفر ما دون ذلك) عطف على خبر إن وذلك إشارة إلى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربته في الذكر للإيذان ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب القبح أى ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلاً من لدنه وإحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل (لمن يشاء) أى لمن يشاء أن يغفر له من اتصف به فقط لا بما فوقه فإن مغفرة من اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الأول عبارة عن من لم يتب والثاني عن من تاب فقد ضل سواء الصواب كيف لا وأن مساق النظم الكريم لإظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازها عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق الإجماع على مغفرة المعاصي بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البالغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والإيمان (ومن يشرك بالله) إظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لزيادة تقبيح الإشراك وتفضيع حال من يتصف به (فقد افترى إثماً عظيماً) أى افترى واختلق مرتكباً إثماً لا يقادر قدره ويستحق دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم) تعجب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يؤمنون بأبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاءوا بأطفالهم إلى رسول الله ﷺ فقالوا هل على هؤلاء ذنب فقال ﷺ لا قالوا ما نبي إلا كهنتهم ما حملنا بالنهار كفر

أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٠﴾
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤ النساء

٤ النساء

عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار أى انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أذكيا عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والإثم العظيم أو من ادعائهم التكفير مع استحالة أن يغفر للكافر شيء من كفره أو معاصيه وفيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه وبعمله (بل الله يزكى من يشاء) عطف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكى من يشاء تركبته من يستأهلهم من المرتضين من عباده المؤمنين إذ هو العلم الخبير بما ينطوى عليه البشر من المحاسن والمساوى وقد وصفهم الله بما هم متصفون به من القبائح وأصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل أو القول (ولا يظلمون) عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وإيذاناً بأنها غنية عن الذكر أى يعاقبون بتلك الفعل القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب (فتيلا) أى أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المازكون ولا ينقص من ثوابهم شيء أصلا ولا يساعده مقام الوعيد (انظر كيف يفترون على الله الكذب) كيف نصب إماما على التشبيه بالظرف أو بالحال على الخلاف المشهور بين سيديويه والآخرين والعامل يفترون وبه تتعلق على أى فى أى حال أو على أى حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكال فظاعها والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بها وهو تعجيب إثر تعجيب وتنبيه على أن ما ارتكبه متضمن لآمرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعائهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه واقتراؤهم على الله سبحانه فإن ادعائهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضائه إياهم تعالى عن ذلك علواً كبيراً ولكون هذا أشنع من الأول جرماً وأعظم قبحاً لما فيه من نسبته سبحانه وتعالى إلى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر إلى كيفية تشديد الأمر للنشيع وتأكيدهم للتعجيب والتصريح بالكذب مع أن الافتراء لا يكون إلا كذباً للبالغة فى تقييح حالهم (وكفى به) أى باقتراؤهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية أنفسهم وسائر آثامهم العظام (إثماً مبيناً) ظاهراً بيناً كونه إثماً والمعنى كفى بذلك وحده فى كونهم أشد إثماً من كل كفار أئيم أو فى استحقاتهم لأشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزمعهم بما لا مسامحة له لإخلاله بهويل أمر الافتراء فتدبر (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) تعجيب من حال أخرى لهم ووصفهم بما ذكر من إتياء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل (يؤمنون بالجبتي والطاغوت) استئناف مبين لمادة التعجب مبنى على سؤال ينساق إليه الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون حين ينظر إليهم فقيل يؤمنون الخ والجبتي الأصنام وكل ما عبد من دون الله تعالى فليل أصله الجبس وهو الذى

٤ النساء

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴿٥٢﴾

٤ النساء

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً ﴿٥٣﴾

- لاخير عنده فأبدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قبل هو في الأصل كل ما يطفئ الإنسان . روى أن حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين خرجا إلى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشاً على محاربة رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه ﷺ فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكرهم فاسجدوا لأهتنا نطمئن إليكم ففعلوا فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا وقال أبو سفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأبنا أهدى طريقاً نحن أم محمد فقال ماذا يقول محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا أفعالهم فقال أنتم أهدى سبيلاً وذلك قوله تعالى (ويقولون الذين كفروا) أى لا جلمهم وفى حقهم (هؤلاء) يعنونهم (أهدى من الذين آمنوا سبيلاً) أى أقوم ديناً وأرشد طريقة وإبرادهم بعنوان الإيمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تعريفاً لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجع عليهم المتصفين بأفحج القبايح (أولئك) إشارة إلى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للإشعار ببعد منزلتهم ٥٢ فى الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة ● لبيان حالهم وإظهار مصيرهم ومآلهم (ومن يلعن الله) أى يبعده عن رحمته (فلن تجد له نصيراً) يدفع عنه العذاب دنيوياً كان أو آخروياً لا بشفاعاة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم عما طلبوا من قريش وفى كلمة لن وتوجيه الخطاب إلى كل أحد ممن يتسنى له الخطاب وتوحيد النصير منكرراً والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسنداً إلى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الأبدى بالكلية ما لا يخفى (أم لهم نصيب من الملك) شروع فى تفصيل بعض آخر من قبائحهم وأم منقطعة وما فيها من بل الإضراب ٥٣ والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم وغيرهما مما حكى عنهم إلى ذمهم بادعائهم نصيباً من الملك وبظلمهم المفرط وشحهم البائع والهمزة لإنكار أن يكون لهم ما يدعون وإبطال ما زعموا أن الملك سيصير إليهم وقوله تعالى (فإذن لا يؤتون الناس نقيراً) بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب أنهم من البخل والدناءة بحيث لو أوتوا شيئاً من ذلك لما أعطوا الناس منه أقل قليل ومن حق من أوتي الملك أن يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف أى إن جعل لهم نصيب منه فإذا لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم وإذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم أذلاء متفارقون ويمحوز أن لا تكون الهمزة لإنكار الوقوع بل لإنكار الواقع والتوبيخ عليه أى لعدده منكرراً غير لائق بالوقوع على أن الفاء للعطف والإنكار متوجه إلى مجموع المعطوفين على معنى أنهم نصيب وافر من الملك حيث

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَوَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ٥٤

٤ النساء

فِيهِمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ٥٥

٤ النساء

كانوا أصحاب أموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نفيرا كما تقول اغنى
لا يراعى أباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على أهلك شيئا وفائدة إذن تأكيد الإنكار والتوبيخ
حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للنسب مع كونه سببا للإعطاء وهي ملغاة عن العمل كأنه قيل فلا يؤتون
الناس إذن وقرىء فلا يؤتوا بالنصب على إعمالها (أم يحسدون الناس) منقطعة أيضا مفيدة للاتصال
من توبيخهم بما سبق إلى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل وأقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من
استحقاقه واللام في الناس للعمد والإشارة إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين وحمله على الجنس إيدانا بجيازتهم
الكالات البشرية فكلانهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل إبراهيم فإن ذلك لتذكير ما بين
الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه فإنهم
كانوا يطمعون أن يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم أى بل
● يحسدونهم (على ما آتاهم الله من فضله) يعنى النبوة والكتاب وازداد العزو والنصير بما قوله تعالى
● (فقد آتينا) تعليل للإنكار والاستقباح والإزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدوهم واستبعادهم المبنيين
على توهم عدم استحقاق المحسود لما أوتى من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الورانة كإبراهيم عن كابر
ولجاء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمرو المعنى أن حسدوهم المذكور
● فى غاية القبح والبطلان فإننا قد آتينا من قبل هذا (آل إبراهيم) الذين هم أسلاف محمد ﷺ أو أبناء أعمامه
● (الكتاب والحكمة) أى النبوة (وآتيناهم) مع ذلك (ملكا عظيما) لا يقادر قدره فكيف يستبعدون
نبوته ﷺ ويحسدونه على إيتائهم وتكرير الإيتاء لما يقتضيه مقام التفضيل مع الإشعار بما بين النبوة
والملك من المغايرة فإن أريد به الإيتاء بالذات فالمراد بآل إبراهيم أنبياءهم خاصة والضمير المنصوب
فى الفعل الثانى لبعضهم إما بحذف المضاف أو بطريق الاستخدام لما أن الملك لم يؤت كلهم . قال ابن
عباس رضى الله عنهما الملك فى آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وإن أريد به
ما يعمله وغيره من الإيتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والأوفق لما قبله من نسبة إيتاء الفضل إلى الناس
فالمراد بآل إبراهيم كلهم فإن تشريف البعض بما ذكر من إيتاء النبوة والملك تشريف للكل لا اعتنائهم بآثاره
واقتراسهم من أنواره وفى تفصيل ما أوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفضيلى
من تأكيد الإلزام وتشديد الإنكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم وإليه جنح جمهور أئمة
التفسير لكن الظاهر حينئذ أن يكون قوله تعالى (فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه) حكاية لما صدر
٥٥ عن أسلافهم عقيب وقوع المحكى من غير أن يكون له دخل فى الإلزام الذى سيق له الكلام أى فن جنس

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا فَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا
الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

٤ النساء

- هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما أوتى آل إبراهيم ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل إبراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولاً كيف لا وحكاية إيمانهم بالحديث المذكور وإعراضهم عنه بصيغة الماضي إنما يتصور بعد وقوع الإيمان والإعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهم رسول الله ﷺ إذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الإلزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا تساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد أن تكون الهمة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلاً له بدلالته على إعراضهم عما أوتى آل إبراهيم وإن لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فإنما قد آتينا آل إبراهيم ما آتينا فمنهم أي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من أعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه أعلم وفيه تسلية لرسول الله ﷺ (وكنى بجنهم سعيراً) ناراً مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها (إن الذين كفروا بآياتنا) إن أريد بهم ٥٦ الذين كفروا برسول الله ﷺ فالمراد بالآيات إما القرآن أو ما يعم كله وبعضه أو ما يعم سائر معجزاته أيضاً وإن أريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا أوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي أوتيتها الأنبياء عليهم السلام (سوف نصليهم ناراً) قال سيبويه سوف كلمة تذكير للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد يذكران في الوعد فيفيدان التأكيد أي ندخلهم ناراً عظيمة هائلة (كلما فضجت جلودهم) أي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه (بدلناهم جلوداً غيرها) من قبيل بدله بخوفه أمانة لا من قبيل يبدل الله سبحانه حسنات أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احترافه جلوداً جديداً مغايراً للمحترق صورة وإن كان عينه مادة بأن يزال عنه الاحتراق ليعود لإحساسه للعذاب والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير نصليهم وقد يجوز كونها صفة لناراً على حذف العائد أي كلما فضجت فيها جلودهم فعنى قوله تعالى (ليذوقوا العذاب) ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقوله للعزير أعزك الله وقيل يخلق مكانه جلوداً آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة إدراكها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يبدلون جلوداً بيضاء كأمثال القراطيس وروى أن هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله تعالى عنه فقال للقاريء أعدّها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قبل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ إن بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرّع وعن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله ﷺ حرس الكافر أوثاب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام والتعبير عن إدراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

٤ النساء

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ
اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

٤ النساء

ليبين أن إحساسهم بالعذاب في كل مرة كإحساس الذائق بالمذوق من حيث إنه لا يدخله نقصان لدوام
الملازمة أو للإشعار بمرارة العذاب مع إيلامه أو للتنبيه على شدة تأثيره من حيث إن القوة الذائقة أشد
الحواس تأثراً أو على سرايته للباطن ولعل السرفى بتبديل الجلود مع قدرته تعالى على إبقاء إدراك العذاب
وذوقه بحاله مع الاحتراق ومع إبقاء أبدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق أن النفس ربما تتوهم زوال
الإدراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد أن تكون مصونة عن التألم والعذاب بصيانة بدنهما عن
الاحتراق (إن الله كان عزيزاً) لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه أحد (حكيماً) يعاقب من يعاقبه على
وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الإصلاء والتبديل وإظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتحويل
الأمر وتربية المهابة وتعليل الحكم فإن عنوان الألوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى (والذين آمنوا
وعملوا الصالحات) عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلاً لمساءة الأولين
ومسرة الآخرين أي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (سندخلهم جنات
نجرى من تحتها الأنهار) وقرئ سيدخلهم بالياء رداً على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد (خالدين
فيها أبداً) حال مقدرة من الضمير المنصوب في سيدخلهم وقوله عز وعلا (لهم فيها أزواج مطهرة) أي
بما في نساء الدنيا من الأحوال المستفجرة البدنية والأدناس الطبيعية في محل النصب على أنه حال من
جنات أو حال ثانية من الضمير المنصوب أو على أنه صفة لجنات بعد صفة أوفى محل الرفع على أنه خبر
للوصول بعد خبر (وندخلهم ظلاً ظليلاً) أي فيناناً لا جوب فيه دائماً لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا
ذلك بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتأكيد كافي ليل أيل ويوم
أيوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على أنه غير الإدخال الأول بالذات بل بالعنوان
كما في قوله تعالى ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (إن الله
يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد
الأمر على صورة الإخبار من الفخامة وتأكيده وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه مالا
مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما أن الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بدمهم من
حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية وإن ورد في شأن عثمان بن طلحة
ابن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة يوم الفتح أغلق عثمان
رضي الله عنه باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت أنه رسول الله لم

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ٤ النساء

- أمنعه فلوى على بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل النبي ﷺ وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فأمر علياً أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وأذيت ثم جئت ترفو فقال لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرآناً فقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وأخبر رسول الله ﷺ أن السدانة في أولاد عثمان أبداً وقرىء الأمانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعبود وقيل هو أمر للولاة بأداء الحقوق المتعلقة بذمهم من المناصب وغيرها إلى مستحقيها كما أن قوله تعالى (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) أمر لهم بإيصال الحقوق المتعلقة بذم الغير إلى أصحابها وحيث كان المأمور به ههنا مختصاً بوقت المرافعة قيد به بخلاف المأمور به أولاً فإنه لما لم يتعلق بوقت دون وقت أطلق إطلاقاً فقوله تعالى أن تحكموا عطف على أن تودوا قد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين والمقدر يدل هو عليه عند البصريين لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها عندهم أى وأن تحكموا إذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا أو بمقدر وقع حالاً من فاعله أى ملتبسين بالعدل والإنصاف (إن الله نعماء يعظكم به) ما إمام منصوبة موصوفة ببعظكم به أو مرفوعة موصولة به ● كأنه قيل نعم شيئاً يعظكم به أو نعم الشيء الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف أى نعماء يعظكم به ذلك وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل فى الحكومات وقرىء نعماء بفتح النون والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزبد لطاف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الامتثال بالأمر وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة (إن الله كان سمياً) لا قوالكم (بصيراً) بأفعالكم فهو وعد ووعد وإظهار الجلالة لما ذكر آنفاً فإن فيه تأكيداً أكمل من الوعد والوعيد (يأيتها الذين آمنوا) بعد ما أمر الولاة بطريق العموم أو بطريق الخصوص بأداء الأمانات والعدل فى الحكومات أمر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقاً بل فى ضمن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله ﷺ حيث قيل (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) وهم أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول ﷺ فى وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولوروده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله) إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد فى حكمه إلا أن يجعل الخطاب لأولى الأمر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فإن بيان حكم طاعة أولى الأمر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ يستدعى بيان حكمها عند المخالفة أى إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم فى أمر من أمور الدين فراجعوا فيه إلى كتاب الله (والرسول) أى إلى سنته وقد استدل ●

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى
الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ٤ النساء

به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حججته كيف لاورد المختلف فيه إلى المنصوص عليه إنما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده الأمر به بعد الأمر بطاعة الله تعالى وبطاعة رسوله ﷺ فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد إليهما بالقياس (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) متعلق بالأمر الأخير الوارد في محل النزاع إذ هو المحتاج إلى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه إلخ فإن الإيمان بهما يوجب ذلك أما الإيمان بالله تعالى فظاهر وأما الإيمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة (ذلك) أي الرد المأمور به (خير) لكم وأصلح (وأحسن) في نفسه (تأويلاً) أي عاقبة ومآلاً وتقديم خيريته لهم على أحسنيته في نفسه لما مر من تعلق أنظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في أصل الخيرية والحسن كما ينبغي عنه التحذير السابق (ألم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ تعجباً له من حال الذين يتحالفون مامر من الأمر المحتوم ولا يطيعونه الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله أعنى التوراة لتأكيد التعجب وتشديد التوبيخ والاستعجاب ببيان كمال المباهنة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرىء الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل (يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت) استئناف سيق إيمان محل التعجب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهودى إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ ففضى لليهودى فلم يرض به المذاق فدعاه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال اليهودى فضى لى رسول الله ﷺ فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق أهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فاشتعل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا أفضى لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام وقال إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله ﷺ أنت الفاروق فالطاغوت كعب بن الأشرف سمي به لإفراطه في الطغيان وعداوة رسول الله ﷺ وأعلى التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير النبي ﷺ على التحاكم إليه تحاكماً إلى الشيطان وقال الضحك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي أن المنافق دعا خصمه إلى كاهن في جهة فتحاكما إليه وعن السدى أن الحادثة وقعت في قتل بين بنى قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين إلى النبي ﷺ وأبى المنافقون منهما إلا التحاكم إلى أبى بردة الكاهن الأسلمى فتحاكما إليه فيكون الاقتصار حينئذ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ٤ النساء
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِقُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْضَنَا لِلَّهِ
إِحْسَنًا وَتَوَفِّيقًا ﴿٦٢﴾ ٤ النساء

- في معرض التعجيب والاستقبح على ذكر إرادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه أيضاً للتنبيه على أن إرادته بما يقضى منه العجب ولا ينبغي أن يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا أنسب بوصف المنافقين بادعاء الإيمان بالتوراة فإنه كما يقتضى كونهم من منافقي اليهود يقتضى كون ماصدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الإيمان بالتوراة وليس التحاكم إلى كعب بن الأشرف بهذه المثابة من الظهور وأيضاً فالمبتدأ من قوله تعالى (وقد أمروا أن يكفروا به) كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك إلا الشيطان وأولياؤه المشهورون بولايتهم كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرىء أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كما في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقبح كالوصف السابق وقوله عز و علا (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فإن اتباعهم لمن يريد إضلالهم وإعراضهم عمن يريد هدايتهم أعجب من كل عجيب وضلالاً إما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى وأنبتنا نباتاً حسناً أى إضلالاً بعيداً وإما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالفعل المذكور أى فيضلوا إضلالاً وأياما كان فوصفه بالبعد الذى هو نعت موصوفة للبالغة وقوله تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) تكملة لمادة التعجيب ببيان إعراضهم صريحاً عن التحاكم إلى كتاب الله تعالى ورسوله لإثريان إعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم إلى الطاغوت وقرىء تعالوا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل تخفيفاً كما في قولهم ما باليت بالة أصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية إن أصلها أية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول أهل مكة للبراة تعالى بكسر اللام وعليه قول أبى فراس الحمداني | أيا جارتى ما أنصف الدهر بيننا ٥ تعالى أقاسمك الهوم تعالى | (رأيت المنافقين) إظهار المنافقين في مقام الإضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وضمهم به والإشعار بعلّة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى (يصدون عنك) حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والأول هو الأنسب بظهور حالهم وقوله تعالى (صدوداً) مصدر مؤكد لفعله أى يعرضون عنك إعراضاً وأى إعراض وقيل هو اسم للمصدر الذى هو الصد والأظهر أنه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للتعدي يقال صد عنه صدوداً أى أعرض عنه وصدّه عنه صدأ أى منعه منه وقوله تعالى (فكيف) شروع في بيان غائلة جنائهم المحكية ووخامة عاقبتها أى كيف يكون حالهم (إذا أصابتهم مصيبة) أى وقت إصابة المصيبة إياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم (بما قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من الجنایات التى من جملتها التحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن حكمك (ثم جاءوك) للاعتذار عما صنعوا

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ٤ النساء
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ ٤ النساء

- من القبايح وهو عطف على أصابتهم والمراد تفضيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من
● شدة الأمر عند إصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار (يخلفون بالله) حال من فاعل جاءوك (إن أردنا
إلا إحساناً وتوفيقاً) أى ما أردنا بتحاكنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين
ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطاً لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وأنهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدر الله
تعالى فقالوا ما أردنا أى ما أراد صاحبنا المقتول بالتحاكم إلى عمر رضى الله تعالى عنه إلا أن يحسن إليه
ويوفق بينه وبين خصمه (أولئك) إشارة إلى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في
● الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره (الذين يعلم الله ما في قلوبهم) أى من فنون الشرور والفسادات المنافية
● لما أظهروا لك من الأكاذيب (فأعرض عنهم) جواب شرط محذوف أى إذا كان حالهم كذلك فأعرض
عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم عليك بما في بواطنهم ولا تهتك
● سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر (وعظهم) أى ازجرهم عن النفاق والكيد (وقل لهم في أنفسهم)
في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المنطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى أوفى أنفسهم خالياً بهم ليس
● معهم غيرهم مساراً بالنصيحة لأنها في السر انجع (قولا بليغاً) مؤثراً واصلاً إلى كنه المراد مطابقاً لما
سبق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالأمر وقيل متعلق ببليغاً على رأى من يميز تقديم
معمول الصفة على الموصوف أى قل لهم قولا بليغاً في أنفسهم مؤثراً في قلوبهم يغتمون به اغتماماً
ويستشعرون منه الخوف استشعاراً وهو التوعد بالقتل والاستئصال والإيذان بأن ما في قلوبهم من
مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات وإنما هذه المكافأة
والتاخير لإظهارهم الإيمان والطاعة وإضمارهم الكفر ولئن أظهروا الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من
● نفق النفاق ليمسهم العذاب إن الله شديد العقاب (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) كلام مبتدأ
جىء به تمهيداً لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جنائهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافيها بالتوبة أى
وما أرسلنا رسولا من الرسل لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في طاعته وأمره المرسل إليهم
بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤدعته تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول
● فقد أطاع الله أو بتفسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) وعرضوها لعذاب على
● عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك (جاءوك) من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف
متوسلين بك في التنصل عن جنائهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

٤ النساء

- بالاعتذار الباطل والأيان الفاجرة (فاستغفروا الله) بالتوبة والإخلاص وبالغوا في التضرع إليك
- حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم وإنما قيل (واستغفر لهم الرسول) على طريقة
- الالتفات تفخيم الشأن رسول الله ﷺ وتعظيماً لاستغفاره وتنبهوا على أن شفاعته في حيز القبول (لوجدوا
- الله تواباً رحيماً) لعلوه مبالغاً في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وإن فسر الوجدان بالمصادفة كان
- قوله تعالى تواباً حالاً ورحيماً بدل منه أو حالاً من الضمير فيه وأياً ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين
- في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهروا بتبشير قبول
- التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارها نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام
- الحسرة على فواتها (فلا وربك) أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي في جوابه ٦٥
- أعنى قوله (لا يؤمنون) لأنها تزداد في الإثبات أيضاً كما في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم ونظارته
- (حتى يحكموك) أي يتحاكموا إليك ويترافعوا إليك وإنما جيء بصيغة التحكيم مع أنه ﷺ حاكم بأمر
- الله سبحانه إيداناً بأن حقهم أن يجعلوه حكماً فيما بينهم ويرضوا بحكمه وإن قطع النظر عن كونه حاكماً على
- الإطلاق (فيما شجر بينهم) أي فيما اختلف بينهم من الأمور واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه (ثم
- لا يجدوا) عطف على مقدر ينساق إليه الكلام أي فتقضى بينهم ثم لا يجدوا (في أنفسهم حرجاً) ضيقاً
- (مما قضيت) أي مما قضيت به أو من قضائك وقيل شكاً من أجله إذ الشاك في ضيق من أمره (ويسلبوا)
- أي ينقادوا لأمرك ويدعوا له (تسليماً) تأكيد للفعل بمنزلة تكريره أي تسليماً تاماً بظاهرهم وباطنهم
- يقال سلم لأمر الله وأسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة أي ينقادوا لحكمك
- إنقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودى وقيل في شأن الزبير ورجل
- من الأنصار حين اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال ﷺ
- اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصارى وقال لأن كان ابن عمك فتغير وجه رسول
- الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقه ثم أرسله إلى جارك كان قد
- أشار على الزبير برأى فيه سعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله ﷺ له استوعب للزبير حقه في صريح
- الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد بن الأسود فقال لمن القضاء فقال الأنصارى قضى لابن عمته ولوى
- شذقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم يتهمون به في قضاء
- يقضى بينهم وإيم الله لقد اذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا
- فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم
- منى الصدق لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها . وروى أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ

٤ النساء

فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾

٤ النساء

وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِنَ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾

٤ النساء

وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ

٤ النساء

وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾

- رضى الله عنهم فقال رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده إن من أمتى رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسى فتزلت في شأن هؤلاء (ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم) أى لو أوجبنا عليهم مثل ما أوجبنا على بنى إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وأن مصدرية أو مفسرة لأن كتبنا فى معنى أمرنا (ما فعلوه) أى المكتوب المدلول عليه
- بكتبنا أو أحد مصدرى الفعلين (إلا قليل منهم) أى إلا أناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال والله لو أمرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا أنفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرىء إلا قليلا بالنصب على الاستثناء أو إلا فعلا قليلا (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) من متابعة الرسول ﷺ وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهراً وباطناً وسميت أوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقتراانها بالوعد والوعيد (لكان) أى فعلهم ذلك (خير لهم) عاجلاً وآجلاً (وأشد تثبيثاً) لهم على الإيمان وأبعد من الاضطراب فيه وأشد تثبيثاً لثواب أعمالهم (وإذا لا تأتيناهم من لدنا أجراً عظيماً) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت
 - ٦٧ فقيل وإذن لو ثبتوا لا تأتيناهم فإن إذن جواب وجزاء (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) يصلون بسلوكة إلى
 - ٦٨ عالم القدس ويفتح لهم أبواب الغيب قال ﷺ من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم (ومن يطع الله والرسول) كلام مستأنف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق إليها ببيان أن نتيجتها أقصى ما ينتهى إليه هم الأمم وأرفع ما يمتد إليه أعناق عزائمهم من مجاورة أعظم الخلائق مقداراً وأرفعهم مناراً متضمن لتفسير ما أبهم فى جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما أجل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد
 - التام والامثال الكامل لجميع الأوامر والنواهي (فأولئك) إشارة إلى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فى فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب فى الذكر للإيذان بعلود رجعتهم وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدأ خبره (مع الذين أنعم الله عليهم) والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للإشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه (من النبيين) بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا ﷺ لجريان ذكرهم فى

- سبب النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته ﷺ متضمنة لطاعتهم لاشتغال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الأعصار روى أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا نبي الله إن صرنا إلى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا إله إلا هو لآنت أحب إلى من نفسي وأهلي ومالي وولدي وإنى لا أذكرك وأنا في أهلي فيأخذني مثل الجنون حتى أراك وذكرت موتى وأنتك ترفع مع البينين وإنى إن أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك فلم يرد النبي ﷺ فنزلت وروى أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب له عليه الصلاة والسلام قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله ﷺ عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أنى إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى أفتاك فذكرت الآخرة خفت أن لا أراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع البينين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وروى أن أنسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوماً ولما يلحق بهم قال عليه الصلاة والسلام المرء مع من أحب (والصديقين) ●
- أى المتقدمين فى تصديقهم المبالغين فى الصدق والإخلاص فى الأقوال والأفعال وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأما مثل خواصهم المقربين كأبى بكر الصديق رضى الله عنه (والشهداء) ●
- الذين بذلوا أرواحهم فى طاعة الله تعالى وإعلاء كلمته (والصالحين) الصارفين أعمارهم فى طاعته وأموالهم فى مرضاته وليس المراد بالمعوية الاتحاد فى الدرجة ولا مطلق الاشتراك فى دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أرادوا إن بعد ما بينهما من المسافة (وحسن أو أهلك رفيقاً) الرفيق صاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة فى المعاشرة قولاً وفعلًا فإن جعل أولئك إشارة إلى النبيين ومن بعدهم على أن ما فيه من معنى البعد لما مر مراراً فرفيقاً إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاء لهم وإفراده لما أنه كالصديق والخليط والرسول يستوى فيه الواحد والمتعدد أو لأنه أريد حسن كل واحد منهم رفيقاً وإن جعل إشارة إلى المطيعين فهو تمييز على معنى أنهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز فى الوجه الأول والمجمل تذييل مقرر لما قبله مؤكداً للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقاً ولا استقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن يسكون السين (ذلك) إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء ٧٠ المنعم عليهم أو إلى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته فى الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى (الفضل) صفته وقوله تعالى (من الله) خبره أى ذلك الفضل العظيم من الله ●

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾
 وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُّبِطَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالِ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾
 وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِيتُنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ
 فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

٤ النساء

- تعالى لا من غيره أو الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالاً منه والعامل فيه معنى الإشارة أى
 ذلك الذى ذكر الفضل كأنما من الله تعالى لا أن أعمال المكلفين توجبها (وكفى بالله علماً) بجزاء من أطاعه
 ٧١ وبمقادير الفضل واستحقاق أهله (يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم) الحذر والحذر واحد كالآثر والآثر
 والشبه والشبه أى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمسكنوه من أنفسكم يقال أخذ حذره إذا تيقظ
 واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آله التىبقى بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم أى
 استعدوا للعدو (فانفروا) بكسر الفاء وقرئ بضمها أى اخرجوا إلى الجهاد عند خروجكم (ثبات) جمع
 ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها فى الأصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء
 التأنيث وهل هى واو أو ياء فيه قولان قيل إنها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يخلو أى اجتمع وقيل من ثبتت على
 الرجل إذا أُنبت عليه كأنك جمعت محاسنه ويجمع أيضاً على ثبين جبراً لما حذف من عجزه ومحلهما نصب
 على الحالية أى انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية (أو انفروا جميعاً) أى مجتمعين كوكبة واحدة ولا
 ٧٢ تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة (وإن منكم لمن ليبطئن) أى ليتناقلن ولينخلعن عن الجهاد من بطأ بمعنى
 أبطأ كعتم بمعنى أغمى والخطاب لعسكر رسول الله ﷺ كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطلون منافقوهم
 الذين تناقلوا وتحلفوا عن الجهاد أو ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولاً من بطؤ كثقل من ثقل كإبطأ ابن
 أبى ناسأ يوم أحد والأول أنسب لما بعده واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية
 جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن فى ليبطئن والتقدير وإن منكم لمن
 أقسم بالله ليبطئن (فإن أصابكم مصيبة) كقتل وهزيمة (قال) أى المبطل. فرحاً بصنعته وحامداً لرأيه (قد
 أنعم الله على) أى بالقعود (إذ لم أكن معهم شهيداً) أى حاضرأ فى المعركة فيصينى ما أصابهم والفاء فى الشرطية
 لترتيب مضمونها على ما قبلها فإن ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس التبطئة مستدعية
 ٧٣ لشيء ينتظر المبطل. وقوعه (ولئن أصابكم فضل) كفتح وغنيمة (من الله) متعلق بأصابتكم أو بمحذوف
 وقع صفة لفضل أى فضل كائن من الله تعالى ونسبة لإصابة الفضل إلى جناب الله تعالى دون إصابة المصيبة
 من العادات الشريفة التنزيلية كما فى قوله سبحانه وإذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الأولى لما أن
 مضمونها المقصدهم أوفق وأثر نفاقهم فيها أظهر (ليقولن) ندامة على تثبطه وقعوده وتهاككاً على حطام
 الدنيا وتحسراً على فواته وقرئ أيقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من وقوله تعالى (كان لم تكن

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

٤ النساء

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ
نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

٤ النساء

- بينكم وبينه مودة) اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو (باليتمنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً) لئلا يفهم من مطلع كلامه أن تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به آخره وليس لإثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهمك وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أى ليقولن مشبهها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هى داخله فى المقول أى ليقولن المبطون لمن يثبطه من المنافقين وضعة المؤمنين كأن لم تكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستصحبكم فى الغزو حتى تفوزوا بما فاز باليتمنى كنت معهم وغرضه إلقاء العدو بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وتأكيدها وكان مخففة من الثقله واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى فى اليتمنى محذوف أى يا قوم وقيل يا أطلق للتنبية على الاتساع وقوله تعالى فأفوز نصب على جواب التمنى وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى فأننا أفوز فى ذلك الوقت أو على أنه معطوف على كنت داخل معه تحت التمنى (فليقاتل فى سبيل الله) قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أى يبيعونها بها وهم المؤمنون فالقاء جواب شرط مقدر أى إن بطاً هؤلاء عن القتال فليقاتل المحلصون الباذلون أنفسهم فى طلب الآخرة أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطون فالقاء للتعقيب أى لتركوا ما كانوا عليه من التثبط والتفان وليعقبوه بالقتال فى سبيل الله (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه) بنون العظمة التفاتاً (أجرأ عظيماً) لا يقادر قدره وتعقيب القتال بأحد الأمرين للإشعار بأن المجاهد حقه أن يوطن نفسه بإحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث أصلاً وتقديم القتل للإيذان بتقدمه فى استتباع الأجر . روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرج منه إلا جهاد فى سبيله وتهديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر وغنيمة (وما لكم) خطاب للامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة فى التحريض عليه وتأكيدها لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل (لا تقاتلون فى سبيل الله) حال عاملها ما فى الظرف من معنى الفعل والاستفهام للإنكار والنفي
- أى أى شئ لكم غير مقاتلين أى لا عذر لكم فى ترك المقاتلة (والمستضعفين) عطف على اسم الله أى فى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الأسر ووصونهم عن العدو أو على السبيل بحذف المضاف أى فى

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ
الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

٤ النساء

- خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فإن سبيل الله يعم أبواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من أيدي الكفرة أعظمها وأخصها (من الرجال والنساء والولدان) بيان للمستضعفين أحوال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين أو لضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتننين وإنما ذكر الولدان معهم تكميلاً للاستعطف واستجلاب الرحمة وتنبهاً على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ أذاهم الصبيان لإرغام آبائهم وأمهاتهم وإيذاناً بإجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع إلى الله تعالى كل ذلك للبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والإماء إذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الإناث فأطلق الولدان على الولائد أيضاً (الذين) محله الجر على أنه صفة للمستضعفين أو لما في حيز البيان أو النصب على الاختصاص (يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) بالشرك الذي هو ظلم عظيم وبأذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما أسند إليه فإن اسم الفاعل والمفعول إذا أجرى على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه (واجعل لنا من لدنك ولياً) كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنيهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بمصوله لا محالة وتقديم اللام على من للسارعة إلى إبراز كون المستول نافعا لهم مرغوباً فيه لديهم ويجوز أن تتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من ولياً قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى (واجعل لنا من لدنك نصيراً) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى ول علينا والياً من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على أعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج إلى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وأعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه ﷺ فتولاهم أى تول ونصرهم آية نصره ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة أى كن أنت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للبالغة في التضرع والابتهاال (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم أى المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم إلى الله عز وجل وفي إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) أى فيما يوصلهم إلى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى (فقاتلوا أولياء الشيطان) لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على أن ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والإشعار بأن المؤمنين أولياء الله تعالى لما أن قتالهم في سبيله وكل

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ النساء

- ذلك لما كيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فإن ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما أن ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فقاتلوا بأولياء الله وأولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) أى في حد ذاته فكيف بالقياس إلى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى إيذاناً بظهورها قالوا فائدة إدخال كان في أمثال هذه المواقع التأكيد ببيان أنه منذ كان كان كذلك فالمعنى إن كيد الشيطان منذ كان كان موصوفاً بالضعف (ألم تر إلى الذين قيل ٧٧ لهم كفوا أيديكم) تعجيب لرسول الله ﷺ من إحجامهم عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حرصاً عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبغي عنه الأمر بكف الأيدي فإن ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها إلى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي إن جماعة من أصحاب النبي ﷺ منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الأسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة أذى شديداً فيشكون ذلك إلى النبي ﷺ ويقولون انذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي ﷺ كفوا أيديكم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فإني لم أومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع أن القائل هو النبي ﷺ الإيذان بكون ذلك بأمر الله سبحانه وتعالى ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب إنما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا إلى النهي عنه وإنما ذكر في حين الصلاة الأمر بكف الأيدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الأمر غرض وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شك في الدين ولا رغبة عنه بل نفوراً عن الأخطار بالأرواح وخوفاً من الموت بموجب الجبلية البشرية وذلك قوله تعالى (فلما كتب عليهم القتال) الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكنائي إذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور أمر التعجيب كأنه قيل ألم تر إلى الذين كانوا حرصاً على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس) جواب لما على أن فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره بإذا المفاجأة لبيان مسارعته إلى الخشية أثر ذى أثير من غير تلعم وتردد أى فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوه ولعل توجيه التعجيب إلى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالتهم الأولى وقوله تعالى (كخشية الله) مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب على أنه حال من فاعل يخشون أى يخشونهم مشبهين لأهل خشية الله تعالى وقوله تعالى (أو أشد خشية) عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

٤ النساء

خشية الله أو على أنه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جدجده أي يخشونهم خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وأياً ما كان فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية بعضهم خشية الله وخشية بعضهم أشد منها وإما للإيهام على السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول إنهم مائة ألف أو يزيدون (وقالوا) عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا (ربنا لم كتبت علينا القتال) في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإكثار لإيجابه بل على طريق تمني التخفيف (لولا آخر تنال إلى أجل قريب) استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذراً من الموت وقد جوز أن يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحاً (قل) أي تزهيداً لهم فيما يؤملونه بالعود من المناع الفائ وترغيباً فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي (متاع الدنيا) أي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا (قليل) سريع التقضي وشيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل (والآخرة) أي ثوابها الذي من جملته الثواب الممنون بالقتال (خير) أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثيرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل (لمن اتقى) حثا لهم على اتقاء العصيان والإخلال بمواجب التكليف (ولا تظلمون قليلاً) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون فيما ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والقتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرى يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى ظاهر من (أينما تكونوا يدرككم الموت) كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله ﷺ إلى مخاطبين اعتناء بالزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطة ﷺ فلا محل له من الإعراب أو في محل نصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال زعمائكم أنه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم أنه منجاة منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الحرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرى بالرفع على حذف الفاء كما في قوله [من يفعل الحسنات الله يشكرها] أو على اعتبار وقوع أينما كنتم في موقع أينما تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأينما تكونوا متصل بلا تظلمون أي لا تنقصون شيئاً ما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب (ولو كنتم في بروج مشيدة) في حصون رفيعة أو قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعة وقرى مشيدة بكسر الياء وصفها لها بفعل فاعلها مجازاً كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتماداً على دلالة

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٤ النساء

- ما قبله عليه أى ولو كنتم فى بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على أخرى مثلها أى لو لم تكونوا فى بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرده حذفها لدلالة المذكور عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) كلام مبتدأ جرى به عقيب ما حكى عن المسلمين لما بينهما من المناسبة فى اشتغالهما على إسناد ما يكرهونه إلى بعض الأمور وكرهاتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين . روى أنه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي ﷺ المدينة فدعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الإمساك فقالوا مازلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه وذلك قوله تعالى (وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك) أى وإن تصبهم نعمة ورخاء نسبوها إلى الله تعالى وإن تصبهم بلية من جدد وغلاء أضافوها إليك كما حكى عن أسلافهم بقوله تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي ﷺ بأن يرد زعمهم الباطل ويرشدهم إلى الحق ويلقهم الحجر ببيان إسناد الكل إليه تعالى على الإجمال إذ لا يجترئون على معارضة أمر الله عز وجل حيث قيل (قل كل من عند الله) أى كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقاً وإيجاداً من غير أن يكون لى مدخل فى وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الأولى منه تعالى بالذات تفضلاً ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتى بيانه فهذا الجواب المجمل فى معنى ما قيل ردأ على أسلافهم من قوله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله أى إنما سبب خيرهم وشرهم أو سبب إصابتهم السيئة التى هى ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها إليه ويطيروا به وقوله تعالى (فما لهؤلاء القوم) الخ كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعيرهم بالجهل وتقصيص حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى (لا يكادون يفقهون حديثاً) حال من هؤلاء والعامل فيها ما فى الظرف من معنى الاستقرار أى وحيث كان الأمر كذلك فأى شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من أن يفقهوا حديثاً أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه أو يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثاً من الأحاديث أصلاً فيقولون ما يقولون إذ لو فقهوا شيئاً من ذلك لفهموا هذا النص وما فى معناه وما هو أوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بأن الكل فائض من عند الله تعالى وأن النعمة منه تعالى بطريق التفضل والإحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لاسيما النص الوارد عليهم فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة وزر أخرى ولم يسندوا جنابة أنفسهم إلى غيرهم وقوله تعالى (ما أصابك من حسنة) الخ بيان للجواب المجمل المأمور به وأجراؤه ٧٩

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾

على لسان النبي ﷺ ثم سوق البيان من جمته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والإيذان بأن مضمونه مبنى على حكمة دقيقة حقيقة بأن يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم للبالة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين أي ما أصابكم من نعمة من النعم (فن الله) أي فهي منه تعالى بالذات تفضلاً وإحساناً من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وأن كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يفرض كونها ذريعة إلى إصابته نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكفي نعمة حياته المقارنة لأدائها ولا نعمة إقداره تعالى إياه على أدائها فضلاً عن استيجابها لنعمة أخرى ولذلك قال ﷺ ما أريد إدخال الجنة إلا برحمة الله تعالى قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا (وما أصابكم من سيئة) أي بلية من البلايا (فن نفسك) أي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وإن كانت من حيث الإيجاد منتسبة إليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقيل الخطاب لرسول الله ﷺ كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله ﷺ بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لإظهار كمال السخط والغضب عليهم والإشعار بأنهم لفرط جهلهم وبلاذتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لاسيما بمثل هذه الحكمة الأنيقة (وأرسلناك للناس رسولا) بيان لجلالة منصبه ﷺ ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه ﷺ بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار إما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر إلى قيد العموم أي مرسل لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس ولما بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز أن يكون مصدراً مؤكداً كما في قوله [لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم] بسرولا أرسلتهم برسول أي يارسال بمعنى رسالة (وكفى بالله شهيداً) أي على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحى الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي (من يطع الرسول فقد أطاع الله) بيان لأحكام رسالته ﷺ إثريان تحققها وثبوتها وإنما كان كذلك لأن الأمر والنهي في الحقيقة هو الله تعالى وإنما هو ﷺ مبلغ لأمره ونهيه فراجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه . روى أنه ﷺ قال من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد إلا أن تتخذة رباً كما اتخذت النصارى عيسى فزلت . والتعبير عنه ﷺ بالرسول دون الخطاب للإيذان بأن مناط كون طاعته ﷺ طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته ﷺ بل من حيثية رسالته وإظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الألوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له ﷺ انتظاماً أولياً بأباه تخصيص الخطاب

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

٤ النساء

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

٤ النساء

- به ﷺ في قوله تعالى (ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفاً) وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له أى ومن أعرض عن الطاعة فأعرض عنه إنما أرسلناك رسولا مبليغاً لا حفيفاً مهميناً تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظاً حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الأفراد في تولى باعتبار لفظه (ويقولون) شروع في بيان معاملتهم ٨١ مع الرسول ﷺ بعد بيان وجوب طاعته أى يقولون إذا أمرتهم بشيء (طاعة) أى أمرنا وشأننا طاعة أو منا طاعة والأصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام (فإذا برزوا من عندك) أى خرجوا من مجلسك (بيت طائفة منهم) أى من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم (غير الذى تقول) أى زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمن الطاعة لأنهم مصررون على الرد والعصيان وإنما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق أو خلاف ما قلت لها والتبديت إما من البيوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإمام من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ويسوبه وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقى وقرىء بإدغام التاء في الطاء لقرب المخرج وإسناده إلى طائفة منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات والباقون أتباع لهم في ذلك لا لأن الباقين ثابتون على الطاعة (والله يكتب ما يبيتون) أى يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى عليكم فيجدوا بذلك إلى الإضرار بكم سبيلاً أو يثبتته في صحائفهم فيجازيهم عليه وأيا ما كان فالجملة اعتراضية (فأعرض عنهم) أى لا تبال بهم وبما صنعوا أو تحاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها (وتوكل على الله) في كل ما تاتى وما تذر لاسيما في شأنهم وإظهار الجلالة في مقام الإضمار للإشعار بعله الحكم (وكفى بالله وكيلاً) فيكفيك معرفتهم وينتقم لك منهم والإظهار ههنا أيضاً لما مر والتنبية على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه (أفلا يتدبرون القرآن) إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن ٨٢ وإعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الإيمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في أذاره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر أى أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بتفاهم المحكى على ما هو عليه (ولو كان) أى القرآن (من عند غير الله) كما يزعمون (لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلية لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى . قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الأخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفاً بعضه حق وبعضه

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ
الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ٤ النساء

باطل لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وقال أبو بكر الأصم إن هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤون في
السر على أنواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول ﷺ على ذلك ويخبره بها مفصلة
فقليل لهم إن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالى لما اطرده الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك
قط علم أنه بإعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما حمل الاختلاف على
التناقض وتفاوت النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى
فاسد غير ملتئم وبعضه بالغأحد الإعجاز وبعضه قاصر عنه يمكن معارضته كما جنح إليه الجمهور فيما لا يساعده
السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام
ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد أبعد عن الحق بمراحل
(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) يقال أذاع السر وأذاع به أى أشاعه وأفشاه وقيل
معنى أذاعوا به فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ماعسى يتوهم في بعض المواد
من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف
مدلوله عنه وذلك أن ناساً من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول
ﷺ بما أوحى إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه
على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطاً بأمور
تفوت بالإذاعة فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فتعنى عليهم ذلك وقيل (ولو
ردوه) أى ذلك الأمر الذى جاءهم (إلى الرسول) أى عرضه على رأيه ﷺ مستكشفين لمعناه وما ينبغى
له من التدبير والانتفات لما أن عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه ﷺ (وإلى أولى
الأمر منهم) وهم كبراء الصحابة البصراء فى الأمور رضى الله تعالى عنهم (لعله) أى لعلم الرادون
معناه وتدبيره وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول فقبل (الذين يستنبطونه منهم) للإيذان بأنه ينبغى
أن يكون قصدهم رده إليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه أى لعلمه أولئك الرادون الذين يستنبطونه
أى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم أى من جهة الرسول ﷺ وأولى الأمر من صحابته رضوان
الله عليهم أجمعين ولما فعلوا فى حقه ما فعلوا فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه
الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها فكلمة من فى منهم بيانية
وقيل لأنهم كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به
وكانت إذاعتهم مفسدة ولوردوا ذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى أولى الأمر لعلم تدبير ما أخبروا به
الذين يستنبطونه أى يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾

٤ النساء

- كانوا يلقون من رسول الله ﷺ وأولى الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فتعود إذاعتهم مفسدة ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر وفوضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا العلم الذين يستنبطون تديره كيف يدبرونه وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئاً من الخبر عن السرايا مظنوناً غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالأعلى المؤمنين ولوردوه إلى الرسول ﷺ وإلى أولى الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهمهم فساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم إثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات أي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته يارشادكم إلى طريق الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه إلى الرسول ﷺ وإلى الأمر (لا تبعتم الشيطان) وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذكرون ولم تهتدوا إلى سنن الصواب (إلا قليلاً) وهم أولو الأمر الواقفون على أسرار الكتاب الراسخون في معرفة أحكامه فلا يستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بإرسال الرسول وإزالة الكتاب لا تبعتم الشيطان وبقية على الكفر والضلالة إلا قليلاً منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به إلى طريق الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كقس ابن ساعدة الأيادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وأضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالأعداء أي ولولا حصول النصرة والظفر على التواتر والتتابع لا تبعتم الشيطان وتركتم الدين إلا قليلاً منكم وهم أولو البصائر الناقدة والنيات القوية والعزائم الماضية من أفاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين إلى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيقته من الفتح والظفر وقيل إلا اتباعاً قليلاً (فقاتل في سبيل الله) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق إليه النظم الكريم أي إذا كان الأمر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة أحكام الإسلام فقاتل أنت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى (لا تكلف إلا نفسك) أي إلا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله فإن اختصاص تكليفه ﷺ بفعل نفسه من موجبات مباشرة للقتال وحده وفيه دلالة على أن ما فعلوا من التنبط لا يضره ﷺ ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل أي فقاتل غير مكلف إلا بنفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الأمر وقرئ بنون العظمة أي لا تكلفك إلا فعل نفسك لا على معنى لا تكلف أحداً إلا بنفسك (وحرص المؤمنين) عطف على الأمر السابق داخل في حكمه فإن كون حال الطائفتين كما
- ٢٧٠ — أبو الصمود ج ٢

مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا ﴿٨٥﴾

٤ النساء

وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٤ النساء

حكى سبب للأمر بالقتال وحده وبتهريض خالص المؤمنين والتهريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كأنه في الأصل إزالة الحرص وهو ما لاخير فيه ولا يعتد به أى رغبتهم في القتال ولا تعنف بهم وإنما لم يذكر الحرص عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) عدة منه سبحانه وتعالى محققة الإنجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فإن ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روى أن رسول الله ﷺ واعد أباسفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله ﷺ في سبعين راكباً ووافوا الموعد وألقى الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فرجعوا من مر الظهران وروى أن رسول الله ﷺ وافى بجيشه بدرأ وأقام بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً وقد مر في سورة آل عمران (والله أشد بأساً) أى من فريش (وأشد تنكيلاً) أى تعذيباً وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدى إليها والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبلها وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى (من يشفع شفاعاً حسنة يكن له نصيب منها) أى من ثوابها جملة مستأنفة سيقى لبيان أن له ﷺ فيما أمر به من تهريض المؤمنين حظاً موفوراً فإن الشفاعه هى التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية أو الآخروية أو خلاصه من مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فرداً لجعله الشفيع شفعاً والحسنة منها ما كانت في أمر مشروع روعى بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضاً من الأغراض الدنيوية وأى منفعة أجل بما قد حصل للمؤمنين بهتريضه ﷺ على الجهاد من المنافع الدنيوية والآخروية وأى مضرة أعظم مما تخلصوا منه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فإنه شفاعه إلى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روى أنه ﷺ قال من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود (ومن يشفع شفاعاً سيئة) وهى ما كانت بخلاف الحسنة (يكن له كفل منها) أى نصيب من وزرها

● مساو لها في المقدار من غير أن ينقص منه شيء. (وكان الله على كل شيء مقيناً) أى مقتدرأ من أقات على الشيء إذا اقتدر عليه أو شهيداً حفيظاً واشتقاقه من القوت فإنه يقوى البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين (وإذا حييتم بتحية) ترغيب في فرد شائع من أفراد الشفاعه الحسنة لئلا يرغب فيها على الإطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعه السيئة وإرشاد إلى توفية حق الشفيع وكيفية أدائه فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعه منه لأخيه إلى الله تعالى والتحية مصدر حي أصلها تحية كتسمية من سمي

٨٥

٨٦

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ النساء

- رأصل الأصل تحيى ثلاث ياءات فحذفت الأخيرة وعوض عنها تاء التانيث وأدغمت الأولى فى الثانية بعد نقل حركتها إلى الحاء قال الراغب أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت فى كل دعاء وكانت العرب إذا اتى بعضهم بعضاً يقول حياك الله ثم استعملها الشرع فى السلام وهى تحية الإسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قالوا فى السلام مزينة على التحية لما أنه دعاء بالسلامة من الآفات الدينية والدينية وهى مستلزمة لطول الحياة وليس فى الدعاء بطول الحياة ذلك ولأن السلام من أسمائه تعالى فالبداءة بذكره مما لا ريب فى فضله ومزيبته أى إذا سلم عليكم من جهة المؤمنين (لحيوا بأحسن منها) أى بتحية أحسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله إن اقتصر المسلم على الأول وبأن تزيدوا وبركاته إن جمعها المسلم وهى النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التى هى السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها (أوردوها) أى أجيبوها بمثلها روى أن رجلاً قال أحدهم لرسول الله ﷺ السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال ﷺ إنك لم تترك لى فضلاً فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وإنما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي أن السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع الله منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد فى الخطبة وتلاوة القرآن جهر أو رواية الحديث وعند دراسة العلم والأذان والإقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغنى والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعارى فى الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الأجنبية والسنة أن يسلم الماشى على القاعد والراكب على الماشى وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير وإذا التقيا ابتدرا وعن أبى حنيفة رضى الله عنه لا يجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبي ﷺ إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم أى وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروى لا تبدأ اليهودى بالسلام وإذا بدأك فقل وعليك وعن الحسن أنه يجوز أن يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالأحسن عند كون المسلم مسلماً ورد مثلها عند كونه كافراً (إن الله كان على كل شىء حسيباً) فيها سبكم على كل شىء من أعمالكم التى من جملتها ما أمرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما أمرتم به (الله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) جواب قسم محذوف أى والله ليحشرنكم من قبوركم إلى حساب يوم القيامة وقيل إلى بمعنى فى والجملة القسمية إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو خبر ثان للمبتدأ وهى الخبر ولا إله إلا هو اعتراض وقوله تعالى (لا ريب فيه) أى فى يوم القيامة أو فى الجمع حال من اليوم أو صفة للبصير
- أى جمعاً لا ريب فيه (ومن أصدق من الله حديثاً) إنكار لأن يكون أحد أصدق منه تعالى فى وعده وسائر

فَالْكَرَّ فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

٤ النساء

- ٨٨ أخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره (فالكلم) مبتدأ وخبر والاستفهام
- الإنكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن مافيه من معنى التوبيخ متوجه إلى بعضهم وقوله تعالى (في المنافقين) متعلق إما بما تعلق به الخبر أى شئ كائن لكم فيهم أى فى أمرهم وشأنهم لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وإما بما يدل عليه قوله تعالى (فتنين) من معنى الاقتران أى فالكم تفترقون فى المنافقين وإما بمحذوف وقع حالا من فتنين أى كائنتين فى المنافقين لأنه فى الأصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الإطلاق أو من الضمير فى تفترقون وانتصاب فتنين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل مافى لكم من معنى الفعل كما فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة أى فالكم فى المنافقين كنتم فتنين والمراد إنكار أن يكون للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم فى أمر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم وإجرائهم بحرى المجاهرين بالكفر فى جميع الأحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق . روى أنهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ فى الخروج إلى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى أمرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة إلى المدينة ثم بدلهم فرجعوا وكتبوا إلى رسول الله ﷺ إنا على دينك وما أخرجنا إلا اجتواء المدينة والاشتياق إلى بلدنا وقيل هم ناس أظهروا الإسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد ثم رجعوا ويأباه ماسياتى من جعل هجرتهم غاية للنهى عن توليهم وقيل هم العريون الذين أغاروا على السرح وقتلوا راعى رسول الله ﷺ ويرده ماسياتى من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد أخذوا وفعل بهم مافعل من المثلة والقتل ولم ينقل فى أمرهم اختلاف المؤمنين (والله أركسهم) حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الإنكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود النافى بعد بيان عدم الداعى وقيل من ضمير المخاطبين والواو أى شئ يدعوكم إلى الاختلاف فى كفرهم مع تحقق ماوجب اتفاقكم على كفرهم وهو أن الله تعالى قدرهم فى الكفر كما كانوا
 - (بما كسبوا) بسبب ما كسبوه من الارتداد والحق بالمشركين والاحتياى على رسول الله ﷺ والعائد إلى الموصول محذوف وقيل ماضدية أى بكسبهم وقيل معنى أركسهم نكسهم بأن صيرهم للنار وأصل الركن رد الشئ مقلوباً وقرئ ركسهم مشدداً وركسهم أيضاً مخففاً (أريدون أن تهتدوا من أضل الله) تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بإيمانهم من الفتنتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك وإشعار بأنه يؤدى إلى محاولة المحال الذى هو هداية من أضله الله تعالى وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وإرادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الإنكار

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ٤ النساء
إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ
أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَّاءُ
إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمْ قَبْلَ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ٤ النساء

- وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الإنكار إلى الإرادة لا إلى متعلقها بأن يقال أنهم دون الخ للبالغ في إنكاره ببيان أنه مما لا يمكن إرادته فضلاً عن إمكان نفسه وحمل الهداية والإضلال على الحكم بهما ياباه قوله تعالى (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) أي ومن يخالف فيه الضلال كائناً من كان • فلن تجد له سبيلاً من السبل فضلاً عن أن تهديه إليه وفيه من الإفصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فماله من هاد ونظاره وحمل إضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالاضلال محل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب إلى كل واحد من المخاطبين للإشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة إما حال من فاعل تريدون أو تهتدوا والرابط هو الواو واعتراض تذييلي مقرر للإنكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فينبذ يجوز أن يكون الخطاب لكل أحد ممن يصلح له من المخاطبين أولاً ومن غيرهم (ودوا لو تكفرون) كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر ٨٩ وتصديهم لإضلال غيرهم لاثربيان كفرهم وضلالهم في أنفسهم وكلية لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعده انصب على المفعولية أي ودوا أن تكفروا وقوله تعالى (كما كفروا) نصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي كفراً مثل كفرهم أحوال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأى سيبويه وقوله تعالى (فتكفرون) (سواء) عطف على تكفرون داخل في حكمه أي ودوا أن تكفروا فتكفروا سواء مستويين في الكفر والاضلال وقيل كلية لو على بابها وجوابها محذوف كفعال ودوا التقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك (فلا تتخذوا منهم أولياء) الفاء جواب شرط محذوف وجمع أولياء مراعاة جمع المخاطبين فإن المراد نهى أن يتخذ واحد من المخاطبين ولياً واحداً منهم أي إذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم (حتى يهاجروا في سبيل الله) أي حتى يؤمنوا ويحققوا إيمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله ﷺ لا لغرض من أغراض الدنيا (فإن تولوا) أي عن الإيمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة (فخذوهم) أي إذا قدرتم عليهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) من الحل والحرم فإن حكمهم حكم سائر المشركين أسراً وقتلاً (ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً) أي جانبوهم بجانب كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة أبداً (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم ٩٠ أي إلا الذين يتصلون وينتهون إلى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الأسليون كان رسول الله ﷺ وقت

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بَكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَارَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْذَوْهُمْ وَأَقْلَوْهُمْ حَيْثُ تُقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾

٤ النساء

- خروجه من مكة قد وادع هلال بن عويمر الأسلمي على أنه لا يعينه ولا يعين عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة (أو جاءوكم) عطف على الصلة أي أو الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقاتل قومهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من أتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين أو على صفة قوم كأنه قيل إلا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو إلى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والأول هو الأظهر لما سيأتي من قوله تعالى فإن اعتزلوكم الخ فإنه صريح في أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاءوكم بغير عاطف على أنه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون أو استئناف (حصرت صدورهم) حال بإضمار قد بدليل أنه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاءوا أي أو جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله ﷺ غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) أي من أن يقاتلوكم أو لأن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم الخ (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الأخيرة من حكم الأخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الأولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الأولى أي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وإزالة الرعب عنها (فلقاتلوكم) عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير أو الإبدال من الأولى
- وقرئ فلقاتلوكم بالتخفيف والتشديد (فإن اعتزلوكم) ولم يتعرضوا لكم (فلم يقاتلوكم) مع ما علمتم من
- تمسكهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل (وألقوا إليكم السلم) أي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام (فاجعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقاً بالأسر أو بالقتل فإن مكافئهم عن قتالكم وأن يقاتلوا
- قومهم أيضاً وإلقاء السلم وإن لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم (ستجدون آخريين يريدون أن يأمنوا بكم ويأمنوا قومهم) هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار
- وكان دينهم ما ذكر (كلما ردوا إلى الفتنة) أي دعو إلى الكفر وقاتل المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا فيها شرأ من كل عدو شرير (فإن لم يعتزلوكم) بالكف عن التعرض لكم بوجه ما
- (ويلقوا إليكم السلم) أي لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم (ويكفوا أيديهم) أي لم يكفوها
- عن قتالكم (نحذوهم وأقلوهم حيث تقفتموهم) أي تمسكنتم منهم (وأولئك) الموصوفون بما عدد من

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

٤ النساء

- الصفات القبيحة (جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً) حجة واضحة في الإيقاع بهم قتلاً وسيياً لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطاً ظاهراً حيث أذن لكم في أخذهم وقتلهم (وما كان لمؤمن) أى وما صح له ولا لاق بحاله (أن يقتل مؤمناً) بغير حق فإن الإيمان زاجر ٩٢
- عن ذلك (إلا خطأ) فإنه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه إماماً على أنه حال أى وما كان له أن يقتل مؤمناً في حال من الأحوال إلا في حال الخطأ أو على أنه مفعول له أى وما كان له أن يقتله لعله من العلل إلا للخطأ أو على أنه صفة للبصير أى لاقتلا خطأ وقيل إلا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً عمداً ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أى لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل أو إلى الشخص أو لا يقصده به زهوق الروح غالباً أو لا يقصد به محذور كرمى مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرى خطأ بالمدو خطأ كعصا بتخفيف الهمزة . روى أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخاً أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة خوفاً من أهلها وذلك قبل هجرة النبي ﷺ فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يأويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم فقتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس محمد يحنك على صلاة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فوسحاً من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحرث هذا أخى فمن أنت يا حرث لله على إن وجدت خالياً أن أقتلك وقدمابه على أمه فخلعت لا يحل كتفاه أو يرد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث وهاجر فلقية عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله ﷺ فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فزلت (ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقية) أى فعله أو فوجبه تحرير رقية أى إعناق نسمة عبر عنها بما يعبر عنها بالراس (مؤمنة) أى محكوماً بإسلامها وإن كانت صغيرة (ودية مسلمة إلى أهله) مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر الموارث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلى رسول الله ﷺ يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها (إلا أن يصدقوا) أى إلا أن يصدق أهله عليه سعى العفو عنها صدقة حثاً عليه وتنبئها على فضله وعن النبي ﷺ كل معروف صدقة وقرى إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أى تجب الدية أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو إلا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القتال (فإن كان) أى المقتول (من قوم عدو لكم) كفار محاربين (وهو مؤمن) ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا

عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

٤ النساء

- بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات (فتحرير رقبة مؤمنة) أى فعلى
- قاتله الكفارة دون الدية إذ لا ورائته بينه وبين أهله لأنهم محاربون (وإن كان) أى المقتول المؤمن (من قوم) كفرة (بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد موقت أو مؤبد (فدية) أى فعلى قاتله دية (مسجلة إلى أهله) من أهل الإسلام إن وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشياً عن توهم نقض الميثاق (وتحرير رقبة مؤمنة) كما هو حكم سائر المسلمين ولعل لإفراجه بالذكر مع اندراجها فى حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمناً خطأ الخ لبيان أن كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمى أو المعاهد
- لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التورث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما (فمن لم يجد) أى رقبة ليحررها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها من الثمن (فصيام) أى فعلية صيام (شهرين متتابعين) لم يتخلل بين يومين من أيامهما لإفطار (توبة) نصب على أنه مفعول له أى شرع لكم ذلك توبة أى قبولاً لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد لفعل محذوف أى تاب عليكم توبة وقيل على أنه حال من الضمير المجرور فى عليه بحذف المضاف أى فعلية صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة أى كائنة منه تعالى (وكان الله عليهما) بجميع الأشياء التى من جملتها حاله (حكيماً) فى كل ما شرع وقضى من الشرائع والأحكام التى من جملتها ما شرعه فى شأنه
- (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) لما بين حكم القتل خطأ وفصل أقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمداً ٩٣ خلا أن حكمه الدينوى لما بين فى سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الآخرى . روى أن مقيس بن ضبابة الكنانى وكان قد أسلم هو وأخوه هشام وجد أخاه قتيلاً فى بنى النجار فأتى رسول الله ﷺ وذكر له القصة فأرسل عليه السلام معه زبير بن عياض الفهرى وكان من أصحاب بدر إلى بنى النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقبض منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعاً وطاعة لله تعالى ولرسوله عليه السلام ما نعلم له قاتلاً ولكننا نودى ديتة فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيساً فوسوس إليه فقال أتعلم دية أخيك فيكون مسبة عليك أقتل الذى معك فيكون نفسك بنفسك وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيراً من الإبل واستاق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً وهو يقول [قتلته به فرأى وحملت عقله * سراة بنى النجار أصحاب قارع] [وأدركت ثأرى واضطجعت موسداً * وكنت إلى الأوثان أول راجع] فزلت وهو الذى استئناه رسول الله ﷺ يوم الفتح عن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة وقرله تعالى متعمداً حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائى سكون التاء كأنه فر من توالى الحركات (فجزاؤه) الذى يستحقه بجنابته

- (جهنم) وقوله تعالى (خالداً فيها) حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لجزاؤه أن يدخل جهنم خالداً فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وأيد ذلك بأنه أنسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى أن ما يقدر للحال أو للعطف عليه حقه أن يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهراً ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر أن كون جزائه مذكراً لا يقتضى وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها أو جازاه بطريق الإخبار عن وقوعه وأما قوله تعالى (وغضب الله عليه) فمعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة . كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريراً وتأكيذاً لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه أى انتقم منه (ولعنه) أى أبعده عن الرحمة بجعل جزائه مذكراً وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير أن وحمل الماضى على معنى المستقبل كما فى قوله تعالى ونفخ فى الصور ونظائرهما أى لجزاؤه جهنم وأن يغضب الله عليه الخ (وأعد له) فى جهنم (عذاباً عظيماً) لا يقدر قدره ولما ترى فى الآية السكرية من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإبراق والإرعاد وقد تأيدت بما روى من الأخبار الشداد كقوله ﷺ والذى نفسى بيده لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مؤمن وقوله ﷺ لو أن رجلاً قتل بالشرق وآخر رضى بالمغرب لأشرك فى دمه وقوله ﷺ من أغان على قتل مؤمن ولو بشر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى وبنحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها فى خلود من قتل المؤمن عمداً فى النار ولا متمسك لهم فيها إلا لما قيل من أنها فى حق المستحل كما هو رأى عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت فى مقيس بن ضبابة الكنانى المرتد حسبما مرت حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المسك الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً وكذا ما روى عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى فى التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال أى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً سأل عن لقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر أقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الأول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لثلاثين وأس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة أيضاً حيث قال فى قوله تعالى لجزاؤه جهنم الآية هى جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروى مرفوعاً عن النبي ﷺ أنه قال هو جزاؤه أن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الإنسان لمن يجره عن أمر إن فعلته لجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذباً قال الواحدى والأصل فى ذلك أن الله عز وجل يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله ﷺ فى حديث أنس رضى الله عنه أنه ﷺ قال من وعده الله تعالى على عمله ثواباً فهو منجزه له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار والتحقيق أنه لا ضرورة إلى تفريع

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ
مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَنَنَّ اللَّهَ
عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٤ النساء

- ما نحن فيه على الأصل المذكور لأنه إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يحزبه بذلك كيف لا وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا إخباراً بأنه تعالى يحزى كل سيئة بمثلها لعارضة قوله تعالى ويعفو عن كثير (يا أيها الذين آمنوا) إثر ما بين حكم القتل بقسميه وأن ما يتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي إليه من قلة المبالاة في الأمور (إذا ضربتم في سبيل الله) أي سافرتم في الغزو ولما في إذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى (فتبينوا) بالفاء أي فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تزدرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرىء فتبينوا أي اطلبوا لإثباته وقوله تعالى (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام) نهى عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين وقرىء السلم بغير ألف وبكسر السين وسكون اللام أي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد (لست مؤمناً) وإنما أظهرت ما أظهرت متعوذاً بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه وقرىء مؤمناً بالفتح أي مبذولاً لك الأمان وهذا أنسب بالقراءتين الأخريتين والاقتصار على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطئهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى (تبتغون عرض الحياة الدنيا) حال من فاعل لا تقولوا مني عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعاً إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغى به الجاه بل إليهما جميعاً أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى (فعند الله مغانم كثيرة) تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيسكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى (كذلك كنتم من قبل فن الله عليكم) تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيرها لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فن للعطف على كنتم أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضاً في مبادئ إسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام ونحوها فن الله عليكم بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى (فتبينوا)

فصيحة أى إذا كان الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل
بكم فى أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذى
تقتضيه جزالة التنزيل وتستدعيه غفامة شأنه الجليل ومن حسب أن المعنى أول ما دخلتم فى الإسلام
سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فخصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لاسفستكم
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم فيه وإن صرتم أعلاما فيه فمليكم أن تفعلوا
بالداخلين فى الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام فى المكافاة ولا تقولوا الخ فقد أبعد عن
الحق لأن المراد كما عرفت بيان أن تحصين الدماء والأموال حكم مترتب على ما فيه الممانعة بينه وبينهم
من مجرد النفوة بكلمة الشهادة وإظهار أن ترتبه عليه فى حقهم يقتضى ترتبه عليه فى حقه أيضاً إلزاماً
لهم وإظهاراً لخطئهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بتفسير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين
دمائهم وأموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله أيضاً بحكم للمشاركة فيما يوجب
وحيث لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق فى النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم
وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن يقول فخصنت دماءكم وأموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره
بناء على اقتضاء ما ذكر فى تفسير المن إياه بناء على أساس واه كيف لا وإنما ذكره بصدد التفسير وإن
كان أمراً متفرعاً على ما فيه الممانعة مبنياً عليه فى حقهم لكنه ليس بحكم أريد إثباته فى حقه بناء على ثبوته
فى حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق أن يتعرض له ولا بأمر له دخل فى وجوب اعتبار ظاهر
الإسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظامه فى سلمك ما فرع عليه قوله فعليكم أن تفعلوا الخ وحمل الكلام
على معنى إنكم فى أول الأمر كنتم مثله فى قصور الرتبة فى الإسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة
العالية منه فلا تستقصروا حالته نظراً إلى حالتكم هذه بل اعتدوا بها نظراً إلى حالتكم السابقة يرد أنه
قتله لم يكن لاستقصار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فإن الآية الكريمة نزلت فى شأن مرداس
ابن نهيك من أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله ﷺ عليهم غالب
ابن فضالة اللبثى فهربوا وبقي مرداس لثقتهم بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق
غنمه فأخبروا رسول الله ﷺ فوجد وجداً شديداً وقال فقتلتموه إرادة مامعه فقال أسامة إنه قال بلسانه
دون قلبه وفى رواية إنما قالها خوفاً من السلاح فقال ﷺ هلا شققت عن قلبه وفى رواية أفلا شققت
عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفرلى فقال كيف بلا إله إلا الله قال أسامة
فما زال ﷺ يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفرلى وقال اعتق رقبة وقيل نزلت فى
رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد همهم الله تعالى فقصدت رجلاً فلما أحس بالسيف قال إني
مسلم فقتلته فقال رسول الله ﷺ أقتلت مسلماً قال إنه كان متعوذاً فقال ﷺ أفلا شققت عن قلبه (إن
الله كان بما تعملون) من الأعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها (خبيراً) فيجازيكم بحسبها إن خير أئمة
وإن شر أئمة فلا تنهونوا فى القتل واحتاطوا فيه الجملة لتعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾

٤ النساء

- ٩٥ أن على أنها معمولة لتبينوا أو على حذف لام التعليل (لا يستوى القاعدون) بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد مامر من الأمر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه و يترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيمتزله رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روى عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه عما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال إذ لم يكن للتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى (من المؤمنين) متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار بعلّة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى (غير أولى الضرر) صفة للقاعدون جريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأبهة عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة ف وقعت نخذه على نخذي حتى خشيت أن ترضا ثم سرى عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يارسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر (والمجاهدون) لإيرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها (في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم) لمدحهم بذلك والإشعار بعلّة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر والإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبت عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابلتهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيتين المتفاوتتين زيادة ونقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوى الذين الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة أصلية المفضول وقوله عز وجل (فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما إجمالا ببيان كيفيته وكيته مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ وأما تقدير ما لهم لا يستوون فإنما يليق بعمل الاستئناف

دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾

- تعليلاً لعدم الاستواء مسوقاً لإثباته وفيه تعكيس ظاهر فإن الذي يحق أن يكون مقصوداً بالذات إنما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة . وأما عدم استوائهما فقصارى أمره أن يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الأول كما أن قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل أى فضل الله تفضيلة أو على نزاع الخافض أى بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين أى ذوى درجة وتنوينا للتفخيم وقوله تعالى (وكلا) مفعول أول لما يعقبه قدم عليه لإفادة القصر تأكيداً للوعد أى كل واحد من المجاهدين والقاعدين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا أحدهما فقط كما فى قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا على أن اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جمى به تداركا لما عسى يورهم تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام فى الفريقين مغنية لهما عن ذكر القبود التى تركت على سبيل التدرج وقوله تعالى (أجرأ عظيما) مصدر مؤكد لفضل على أنه بمعنى أجر وإيثار على ما هو مصدر من فعله للإشعار بكون ذلك التفضيل أجراً لأعمالهم أو مفعول ثان له بتضمينه معنى الإعطاء أى أعطاهم زيادة على القاعدين أجرأ عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض أى فضلهم بأجر عظيم وقوله تعالى (درجات) بدل من أجرأ بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى (منه) متعلق بمحذوف ٩٦ وقع صفة لدرجات دالة على غناتها وجلالة قدرها أى درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هـ سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفاً وقال السدى هـ سبعمائة درجة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما فى قولك ضربه أسوأ أى ضربات كأنه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى (ومغفرة) بدل من أجرأ بدل البعض لأن بعض الأجر ليس من باب المغفرة أى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التى لا كفرها سائر الحسنات التى يأتى بها القاعدون أيضاً حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى (ورحمة) بدل الكل من أجرأ مثل درجات ويجوز أن يكون انتصابها بإضمار فعلهما أى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن النظام إما لتنزيل الاختلاف العنوانى بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتى تمهيداً لسلوك طريق الإبهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما فى قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موها لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم أريد تفسير ما أفاده

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ اللَّهُمَّ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ٤ النساء

التنكير بطريق الإيهام بحيث يقطع احتمال كونه لوحيد فليل ما قيل والله در شأن التنزيل وإمالات الاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على أن المراد بالتفضيل الأول ما خولهم الله تعالى عاجلاً في الدنيا من الغنمة والظفر والذكر الجميل الحقيقي بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفاتنة للحصر كما ينبي عنه تقديم الأول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود أعنى الوعد بالجنة توضيحاً لحالهما ومسارعة إلى تسليمة المفضل والله سبحانه أعلم . هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير أولى الضرر وأما أولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبأن الاستثناء من النفي إثبات وأما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روى عن رسول الله ﷺ لقد خلفتم في المدينة أقواماً ما سرتهم مسيرة أقطعتهم وأدياً إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوى إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره وبعبارة أخرى إن في المدينة لأقواماً ما سرتهم من مسير ولا قطعهم من واد إلا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشرطة أخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى إلى قوله إذا نصحوهم ورسولهم وقيل القاعدون الأول هم الأضرأ والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في أن الأضرأ أفضل من غيرهم درجة كما لا ريب في أنهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية (وكان الله غفوراً رحيماً) تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة (إن الذين توفاهم الملائكة) بيان لحال القاعدين عن الهجرة إثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل أن يكون ماضياً ويؤيده قراءة من قرأ توفاهم وأن يكون مضارعاً قد حذف منه إحدى التامين وأصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد إلى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع

- وفيت بمعنى أن الله تعالى يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكثهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمى أنفسهم)
- حال من ضمير توفاهم فإنه وإن كان مضافاً إلى المعرفة إلا أنه نسكرة في الحقيقة لأن المعنى على الانفصال وإن كان موصولاً في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلى الصيد وهدياً بالغ الكعبة وثاني عطفه أي محلين الصيد وبالغ الكعبة وثانياً عطفه كأنه قيل ظالمين أنفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للإخلال بأمور الدين فإنها نزلت في ناس من مكة قد أسلدوا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة (قالوا) أي الملائكة للمتوفين تقريراً لهم بتقصيرهم في إظهار إسلامهم وإقامة أحكامهم من الصلاة ونحوها وتوبيخها لهم بذلك (فيم كنتم) أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم (قالوا) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فإذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الإقرار

إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ النساء
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ النساء

- الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجب على زعمهم (كنا مستضعفين في الأرض) أي في أرض مكة عاجزين عن القيام بواجب الدين فيما بين أهلها (قالوا) لإبطالا لتعلمهم وتبكيئاً لهم (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) إلى قطر آخر منها تقدر أن فيه على إقامة أمور الدين كما فعله من هاجر إلى المدينة وإلى الحبشة وأما حمل تدللهم على إظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيباً لهم في ذلك فيرده أن سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر أو لعدم تمكن الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الأرض تكذيباً لهم ورداً عليهم بل لابد من بيان استطاعتهم أيضاً حتى يتم التبكيث وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين إلى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههم ما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريراً وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة وانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللاً بأنهم كانوا مقهورين تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة (فأولئك) الذين حكيت أحوالهم الفظيعة (مأواهم) أي في الآخرة (جهنم) كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لترتهم الفريضة المحتومة فأواهم مبتدأ وجنهم خبره والجملة خبر لا أولئك وهذه الجملة خبر إن والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد عند من يشترطه أو هو الخبر والعائد منه محذوف أي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه وبما في حيزه (وساءت مصيراً) أي مصيرهم أي جهنم وفي الآية الكريمة إرشاد إلى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من إقامة أمور دينه بأي سبب كان وعن النبي ﷺ من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شراً من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد ﷺ (إلا المستضعفين) استثناء ٩٨
- منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه ومن في قوله تعالى (من الرجال والنساء والولدان) متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين أي كائنين منهم وذكر الولدان إن أريد بهم الممالك أو المراهقون ظاهر وأما إن أريد بهم الأطفال فللبالغة في أمر الهجرة وإيهام أنها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجب عليهم والإشعار بأنهم لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانوا واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وأن قومهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت وقوله تعالى (لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) صفة للمستضعفين فإن ما فيه من اللام ليس للتعريف أو حال منه أو من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة ومبادئها واهتمام السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر إليه بنفسه أو بدليل (فأولئك) ٩٩

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٠﴾ ٤ النساء
وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا أَعْدَاؤُكُمْ مُبِينًا ﴿١٠١﴾ ٤ النساء

- إشارة إلى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز (عسى الله أن يعفو عنهم) جىء بكلمة الإطماع ولفظ العفو لإيداناً بأن الهجرة من تأكيد الوجوب بحيث ينبغي أن يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنباً
- ١٠٠ يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعاً لا جزماً وقطعاً (وكان الله عفواً غفوراً) تذييل مقرر لما قبله (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً) ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها أى يجد فيها متحولات ومهاجراً وإنما عبر عنه بذلك تأكيذاً للترغيب لما فيه من الإشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة إلى ما يكون سبباً لرغم أنف قومه الذين هاجروهم والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقاً يرغم بسلوكه قومه أى يفارقهم على رغم أنوفهم (وسعة) أى من الرزق
- (ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت) أى قبل أن يصل إلى المقصد وإن كان ذلك خارج باباً كما ينبغي عنه إنبات الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت إلى الكاف على نية الوقف كما في قوله [من عزي سبني لم أضربه] عجبت والدهر كثير عجبته [وقرئ بالنصب على إضمار أن كما في قوله [والحق بالحجاز فاستريحاً] (فقد وقع أجره على الله) أى ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الأمر الواجب . روى أن رسول الله ﷺ لما بعث بالآيات المتقدمة إلى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخاً كبيراً أحملوني فإني لست من المستضعفين وإني لأهتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجهم إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بأيعك رسولك فمات حميداً فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا لو توفى بالمدينة لكان أنتم أجراً فنزلت . قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهي هجرة إلى الله عز وجل وإلى
- رسول الله ﷺ (وكان الله غفوراً) مبالغة في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود
- ١٠١ عن الهجرة إلى وقت الخروج (رحيماً) مبالغة في الرحمة فيرحمه بإكمال ثواب هجرته (وإذا ضربتم في الأرض) شروع في بيان كيفية الصلاة عند الضرورات من للسفر ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة أى إذا سافرتكم أى مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة (فليس عليكم جناح) أى حرج ومأثم (أن تقصروا) أى في أن تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء أى جعلته قصيراً بحذف بعض أجزائه أو أوصافه فتعلق القصر حقيقية وإنما هو ذلك الشيء لا بعضه فإنه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى

(من الصلوة) ينبغي أن يكون مفعولاً لتقصروا على زيادة من حسبها رآه الأخفش وأما على تقدير أن تكون تبيضية ويكون المفعول محذوفاً كما هو رأى سيويه أى شيئاً من الصلاة فينبغي أن يصار إلى وصف الجزء بصفة الكل أو يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء إذا حبسته أو يراد بالصلاة الجنس ليكون المقصور بعضاً منها وهى الرباعيات أى فليس عليكم جناح فى أن تقصروا بعض الصلاة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الإقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وأدنى مدة السفر الذى يتعلق به القصر عند أبى حنيفة مسيرة ثلاثة أيام ولياليها بسير الإبل ومشى الأقدام بالافتصاد وعند الشافعى مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وأفضلية الإتمام وبه تعلق الشافعى وبما روى عن النبى ﷺ أنه أتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها أنها أتمت تارة وقصرت أخرى وعن عثمان رضى الله عنه أنه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة إسقاط بحيث لا مساغ للإتمام لا رخصة ترفيه إذ لا معنى للتخيير بين الأخف والأثقل وهو قول عمر وعلى وابن عباس وابن عمرو وجابر رضوان الله عليهم وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روى عن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ﷺ وعن أنس رضى الله عنه أخر جنا مع النبى ﷺ من المدينة إلى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة وعن عمران بن حصين رضى الله عنه ما رأيت النبى ﷺ يصلى فى السفر إلا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال أتموا فإنما قوم سفر وحين سمع بن مسعود أن عثمان رضى الله عنه صلى بمى أربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله ﷺ بمى ركعتين وصليت مع أبى بكر رضى الله عنه بمى ركعتين وصليت مع عمر رضى الله عنه بمى ركعتين فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضى الله عنه عن إتمامه بأنه تأهل بمكة وعن الزهرى أنه إنما أتم لأنه أزمع الإقامة بمكة وعن عائشة رضى الله عنها أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وفى صحيح البخارى أنها قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيدت فى صلاة الحضر وأما ما روى عنها من الإتمام فقد اعتذرت عنه وقالت أنا أم المؤمنين فحيث حللت ففى دارى وإنما ورد ذلك بنى الجناح لما أنهم ألفوا الإتمام فكانوا مظنة أن يخطر ببالهم أن عليهم نقصاناً فى القصر فصرح بنى الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا إليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما مع أن ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعى وقوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى إن خفتم أن يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر بعده من صلاة الخوف المؤداة بالجماعة وأما فى حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقاً لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفصيلها وقد ذكر الطحاوى فى شرح الآثار مسنداً إلى يعلى بن أمية أنه قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه إنما قال الله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا وقد

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقْبْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِنَتَكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾

٤ النساء

أمن الناس فقال عمر رضى الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله ﷺ فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الإكمال لأن التصديق بما لا يحتمل التملك إسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم أنه يخالف للكتاب لأن التقيد بالشرط عندنا إنما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط وأما عدمه عند عدمه فساكت عنه فإن وجد له دليل ثبت عنده أيضاً وإلا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقيق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الأدلة الواضحة وأما عند القائلين بالمفهوم فلأنه إنما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط إذا لم يكن له فائدة أخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الأغلب كما في قوله تعالى ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً بل نقول إن الآية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذى نيط به القصر فكل ما ورد عنه ﷺ من القصر في حال الأمن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لإجمال الكتاب وقد قيل إن قوله تعالى إن خفتم الخ متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله فإنه روى عن أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال نزل قوله تعالى وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم سألوا رسول الله ﷺ بعد حول فنزل إن خفتم الخ أى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلاة أن يفتنكم بغير إن خفتم على أنه مفعول له لما دل عليه الكلام كأنه قيل شرع لكم ذلك كراهة أن يفتنكم الخ فإن استمرار الاشتغال بالصلاة مظنة لاقتدارهم على إيقاع الفتنة وقوله تعالى (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر أو لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فإن كمال عداوتهم للؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى (وإذا كنت فيهم) بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها إليه لما فيها من كثرة التغير عن الهيئة الأصلية ومن ههنا ظهر لك أن مورد النص الشريف على المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله ﷺ بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلاة الخوف بعده ﷺ ولا يخفى أن الأئمة بعده نوابه ﷺ قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له ﷺ كفاي قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة وقد روى أن سعيد بن العاص لما أراد

- أن يصلي بطبرستان صلاة الخوف قال من شهد منكم صلاة الخوف مع رسول الله ﷺ فقام حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضى الله عنهم فلم ينكره أحد فخل محل الإجماع وروى في السنن أنهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة بابل فصلى بهم صلاة الخوف (فاقت لهم الصلاة) أى أردت أن تقيم بهم الصلاة (فلتقم طائفة منهم معك) بعد أن جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الأخرى بإزاء العدو ليحرسوكم منهم وإنما لم يصرح به لظهوره (وليأخذوا) أى الطائفة القائمة معك (أسلحتهم) أى لا يضعوها ولا يلقوها وإنما عبر عن ذلك بالأخذ للإيدان بالاعتناء باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء (إذا سجدوا) أى القائمون معك وأتموا الركعة (فليكونوا من ورائكم) أى فلينصرفوا إلى مقابلة العدو للحراسة (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا) بعد وهى الطائفة الواقعة تجاه العدو للحراسة وإنما لم تعرف لما أنها لم تذكر فيما قبل (فليصلوا معك) الركعة الباقية ولم يبين فى الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمرو بن مسعود رضى الله عنهم أن النبي ﷺ حين صلى صلاة الخوف صلى بالطائفة الأولى ركعة وبالطائفة الأخرى ركعة كما فى الآية الكريمة ثم جاءت الطائفة الأولى وذهبت هذه إلى مقابلة العدو حتى قضت الأولى الركعة الأخيرة بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الأخرى وقضوا الركعة الأولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان (وليأخذوا) أى هذه الطائفة (حذرهم وأسلحتهم) لعل زيادة الأمر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي ﷺ فى شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما أن الاشتغال بالصلاة مظنة لإلقاء السلاح والإعراض عن غيرها ومثنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) فإنه استئناف مسوق لتعليل الأمر المذكور والخطاب للفریقین بطريق الالتفات أى تمنوا أن ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشددوا عليكم شدة واحدة والمراد بالأمته ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقاً وهذا الأمر الوجوب لقوله تعالى (ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم) حيث رخص لهم فى وضعها إذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر أو مرض وأمروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقل (وخذوا حذرکم) لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن أبي صالح أن رسول الله ﷺ غزا محارباً وبنى أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحداً فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله ﷺ لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسما ترش فحال الوادى بينه وبين أصحابه فجلس رسول الله ﷺ فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلى الله إن لم أقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله ﷺ إلا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال رسول الله ﷺ الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله ﷺ ليضربه فأكب لوجهه من زلحة زلخها بين كفيه فبدر سيفه فقام رسول الله ﷺ فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى الآن قال لا أحد قال ﷺ تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبداً ولا أهين عليك عدواً

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

٤ النساء

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۚ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

٤ النساء

- فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه فقال غوث والله لآنت خير مني فقال رسول الله ﷺ أنا أحق بذلك منك فرجع غوث إلى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأخبرهم بالخبر وقوله تعالى (إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) تعليل للأمر بأخذ الحذر أعد لهم عذاباً مهيناً بأن يخذلهم وينصرهم عليهم فاهتموا بأموركم ولا تهملوا في مباشرة الأسباب كي يحل بهم عذابه بأيديكم وقيل لما كان الأمر بالحذر من العدو ومهما لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الإيهام بأن الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم (فإذا قضيت الصلاة) أي صلاة الخوف أي أدبتموها على الوجه المبين وفرغتم منها (فادكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أي فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الأحوال حتى في حال المسابقة والقتال كما في قوله تعالى إذا لقيتهم فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (فإذا اطمانتم) سكنت قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما وضعت الحرب أوزارها (فأقيموا الصلاة) أي الصلاة التي دخل وقتها حينئذ أي أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الأحوال الثلاثة الصلاة فيها أي فإذا أردتم أداء الصلاة فصلوا قياماً عند المسابقة وقعوداً جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم متخفين بالجراح فإذا اطمانتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والازعاج وهو رأي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي فرضاً مؤقتاً قال مجاهد وقته الله عليهم فلا بد من إقامتها في حالة الخوف أيضاً على الوجه المشروح وقيل مفروضاً
- ١٠٤ مقديراً في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد أن تؤدي في كل وقت حسبما قدر فيه (ولا تهنوا في ابتغاء القوم) أي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحرب وقوله تعالى (إن تكونوا تألمون فإنهم يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ) تعليل للنهي وتشجيع لهم أي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصاً بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم إلهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع أنكم أولى به منهم حيث ترجون من الله من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ أن تكونوا بفتح الهمزة أي لا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله تعالى فإنهم تعليل للنهي عن الوهن لأجله والآية نزلت في بدر الصغرى (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم فيعلم أعمالكم وضمائمكم (حكيماً) فيما يأمر وينهى لجدوا في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴿١٠٥﴾ ٤ النساء

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴿١٠٦﴾ ٤ النساء

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً ﴿١٠٧﴾ ٤ النساء

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴿١٠٨﴾ ٤ النساء

- (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق) روى أن رجلاً من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق ١٠٥ درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتفتت الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى إلى منزل اليهودي فأخذوها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله ﷺ أن يفعل فنزلت وروى أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فأخذ ليقتل فقبل دعه فإنه قد لجأ إليك فتركوه وأخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاة نحو الشام فنزلوا منزلاً فسرق بعض متاعهم وهرب فأخذوه ورجوه بالحجارة حتى قتلوه وقيل إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنانير فأخذ وألقى في البحر (لتحكم بين الناس بما أراك الله) أي بما عرفك وأوحى به إليك (ولا تكن للخائنين) أي لأجلهم والذنب ● عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه أو هو ومن يسير بسيرته (خصيماً) مخاصماً للبراء أي لاتخاصم اليهود لأجلهم والنهي معطوف على أمر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن الخ (واستغفر ١٠٦ الله) مما هممت به تعويلاً على شهادتهم (إن الله كان غفوراً رحيماً) مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ● (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) أي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ١٠٧ جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلماً لها الرجوع ضرراً إليهم والمراد بالموصول إما طعمة وأمثاله وإما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فإنهم شركاء له في الإثم والخيانة (إن الله لا يحب ● من كان خواناً) مفرطاً في الخيانة مصرأ عليها (أثيماً) منهمكاً فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن ● البغض والسخط بالمباغ في الخيانة والإثم ليس لتخصيصه به بل لبيان إفراط طعمة وقومه فيهما (يستخفون ١٠٨ من الناس) يستترون منهم حياء وخوفاً من ضررهم (ولا يستخفون من الله) أي لا يستحيون منه سبحانه ● وتعالى وهو أحق بأن يستحيأ منه ويخاف من عقابه (وهو معهم) ظالم بهم وبأحوالهم فلا طريق إلى ●

هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

٤ النساء

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾

٤ النساء

وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَى نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾

٤ النساء

وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٢﴾

٤ النساء

- الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ به (اذبيتون) يدبرون ويزورون (مالا يرضى من القول)
- من رمى البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون) من الأعمال الظاهرة والخافية
- ١٠٩ (محيطاً) لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت (ها تم هؤلاء) تلوين للخطاب وتوجيه له إليهم بطريق الالتفات ليدانوا بأن تعديد جنائهم يوجب مشافهمهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى (جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) جملة مبنية لوقوع أولاء خبراً ويجوز أن يكون أولاء اسماً موصولاً بمعنى الذين وجادلتم الخ صلة له والمجادلة أشد الخصامة والمعنى هبوا أنكم خاضتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا
- (فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) فمن يخاصم عنهم يومئذ عند أمذيتهم وعقابهم (أم من يكون عليهم وكيلاً)
- ١١٠ حافظاً ومحامياً من بأس الله تعالى وانتقامه (ومن يعمل سوءاً) قبيحاً يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي (أو يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء مادون الشرك والظلم الشرك وقيل
- هما الصغيرة والكبيرة (ثم يستغفر الله) بالتوبة الصادقة (يجد الله غفوراً) لذنوبه كائنة ما كانت (رحيماً) متفضلاً عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة التائب لا تار المغفرة
- ١١١ والرحمة نعمة زائدة كما مر (ومن يكسب إثماً) من الآثام (فإنما يكسبه على نفسه) حيث لا يتعدى ضرره
- ووباله إلى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلاً وآجلاً (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم
- ١١٢ (حكيماً) مراعيّاً للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر أخرى (ومن يكسب خطيئة) صغيرة أو مالا عمد فيه من الذنوب وقرىء ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين وأصله يكتسب
- (أو إثماً) كبيرة أو ما كان عن عمد (ثم يرم به) أى يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان أو وتذكيره لتغليب الإثم على الخطيئة كأنه قيل ثم يرم بأحدهما وقرىء يرم بهما وقيل الضمير
- للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة (بريئاً) أى بما رماه به ليحمله عقوبته
- العاجلة كما فعله طعمة يزيد (فقد احتمل) أى بما فعل من تحميل جريرته على البريء (بهتاناً) وهو
- الكذب على الغير بما يهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في
- عظمه (وإنما مبيناً) أى بيناً فاحشاً وهو صفة لإثماً وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفضيلى

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

٤ النساء

- كانه قيل بهتاناً لا يقادر قدره وإنما مبيناً على أن وصف الإثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن أمر واحد هو رمى البريء بجناية نفسه قد عبر عنه بهما توبيلاً لآمره وتفظيلاً لحاله فدار العظم والفخامة كون المرمى به للراى فإن رمى البريء بجناية ما خطيئة كانت أو إثم بهتان وإثم في نفسه أما كونه بهتاناً فظاهر وأما كونه إثمًا فلأن كون الذنب بالنسبة إلى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة إلى من نسبته إلى البريء منه أيضاً كذلك بل لا يجوز ذلك قطعاً كيف لا وهو كذب محرم في جميع الأديان فهو في نفسه بهتان وإثم لا محالة ويكون تلك الجناية للراى يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحاً لكن لا انضمام جنايته المكسوبة إلى رمى البريء وإلا لكان الرمى بغير جناية مثله في العظم والمجر دأشهاله على تبرئة نفسه الخاطئة وإلا لكان الرمى بغير جناية مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء وإجراء عقوبتها عليه كما ينبى عنه إثبات الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الإيذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الإشعار بثقل الوزر وصعوبة الأمر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه إلى رمى البريء تزداد الجناية قبحاً لكن تلك الزيادة وصف للجموع لا للإثم (ولولا فضل الله ١١٣ عليك ورحمته) يا علامك مأم عليه بالوحي وتبهيك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة (لهمت طائفة منهم) أى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز أن يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعاً إلى الناس وقيل هم وفد بنى ثقيف قد هوا على رسول الله ﷺ وقالوا جئناك لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعشرنا فردهم رسول الله ﷺ (أن يضلوك) أى بأن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الأمر والجملة جواب لولا وإثمانى همهم مع أن المنفى إنما هو تأثيره فقط إيذاناً بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف أى لأضلوك وقوله تعالى لهمت جملة مستأنفة أى لقد همت طائفة الخ (وما يضلون إلا أنفسهم) لاقتصار وبال مكرم عليهم من غير أن يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى (وما يضرونك من شيء) عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المضدرية أى وما يضرونك شيئاً من الضرر لما أنه تعالى عاصمك وأما ما خطر ببالك فكان عملامك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) أى القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة (وعليك) بالوحي من خفيات الأمور التي من جملتها وجوه إبطال كيد المنافقين أو من أمور الدين وأحكام الشرع (مالم تكن تعلم) ذلك إلى وقت التعليم (وكان فضل الله عليك عظيماً) إذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة.

لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

٤ النساء

وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ
جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾

٤ النساء

- ١١٤ (لاخير في كثير من نجواهم) أى في كثير من تناجي الناس (إلا من أمر) أى إلا في نجوى من أمر (بصدقة أو معروف) وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاوز وقيل النجوى جمع نجى نقله الكرماني وأيا ما كان فلا استثناء متصل ويجوز الانقطاع أيضاً على معنى لكن من أمر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال البر وقد فسرهمنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع على أن المراد بالصدقة الصدقة الواجبة (أو إصلاح بين الناس) عند وقوع المشاقة والمعاودة بينهم من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين إمام متعلق بنفس إصلاح يقال أصلحت بين القوم أو بمحذوف هو صفة له أى كأن بين الناس عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال له ألا أدلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس إذا تفسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا قالوا ولعل السر في أفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر أن عمل الخير المتعدى إلى الناس إما لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة إما جسمانية كأعطاء المال وإليه الإشارة بقوله تعالى إلا من أمر بصدقة وإما روحانية وإليه الإشارة بالأمر بالمعروف وأما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله تعالى أو إصلاح بين الناس (ومن يفعل ذلك) إشارة إلى الأمور المذكورة أعنى الصدقة والمعروف والإصلاح فإنه يشار به إلى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للإبذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها إثر بيان خيرية الأمر بها لما أن المقصود الأصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الأمر به للدلالة على خيريته بالطريق الأولى لما أن مدار حسن الأمر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فحيث ثبت خيريه الأمر بالأمور المذكورة فخيرية فعلها أثبت وفيه تحريض للأمر بها على فعلها أو إشارة إلى الأمر بها كأنه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية
- فإن استتباع الأمر بها للأجر العظيم إنما هو لكونه ذريعة إلى فعلها فاستتباعه له أولى وأحق (ابتغاء مرضاة الله) علة للفعل والتقيد به لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيراً لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان (فسوف تؤتيه) بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء (أجر عظيم) يقصر عنه الوصف
- ١١٥ (ومن يشاقق الرسول) التعرض لعنوان الرسالة لإظهار كمال شناعة ما اجترأوا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآن بذلك (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته (ويتبع غير سبيل المؤمنين) أى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم (نوله

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

٤ النساء

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾

٤ النساء

لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾

٤ النساء

- ما تولى (أى نجعله والياً لما تولاه من الضلال ونخذه بأن نخلى بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) أى ندخله إياها وقرى بفتح النون من صلاه (وساءت مصيراً) أى جهنم وفيها دلالة على حجبة الإجماع وحرمة مخالفته (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) قد مر تفسيره فيما سبق وهو ١١٦ تكرير للتأكيد والتشديد أو لقصة طعمة وقد مر موته كافراً . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن شيخاً من العرب جاء إلى رسول الله ﷺ فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أنى لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه ولياً ولم أوقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين أنى أعجز الله هرباً وإنى لنادم تائب مستغفر فأتى حالى عند الله تعالى فنزلت (ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً) عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة كما أنه افتراء وإثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضلّ الخ وفيما سبق فقد افتقر إثمًا عظيمًا حسبما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه (إن يدعون من دونه) أى ما يعبدون من دونه عز وجل (إلا ١١٧ إنا أنأ) يعنى اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن أنه لم يكن من أحياء العرب حى إلا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بنى فلان قيل لأنهم كانوا يقولون فى أصنامهم هن بنات الله وقيل لأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحلى ويزينونها على هيآت النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتهن إنا أنأ لتأنيث أسمائهن أو لأنهن فى الأصل جماد والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها وإيرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدها وتناهى جهلهم والإناث جمع أنثى كربات وربى وقرى على التوحيد وأنا أيضاً على أنه جمع أنثى كقلب أو جمع إناث كثمار وتمر وقرى وثنا واثناً بالتحفيف والتخفيف جمع وثن كقولك أسد وأسود وأسد على الأصل وقلب الواو ألفاً نحو أجوه فى وجوه (وإن يدعون) وما يعبدون بعبادتها (إلا شيطاناً مريداً) إذ هو الذى أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمراد هو الذى لا يعلق بخير وأصل التركيب للبلاسة ومنه صرح بمرد وشجرة مرداء للتي تنثر ورقها (لعنه الله) صفة ثانية لشيطاناً (وقال لا تخذن من عبادك نصيباً ١١٨ مفروضاً) عطف على الجملة المتقدمة أى شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على أن عبادة الأصنام غاية الضلال بطريق التعليل بأن ما يعبدونها يفعل ولا

وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ إِذَانَ الْأَنْعَمِ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتَكَنْ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ١١٩

٤ النساء

٤ النساء

يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠

٤ النساء

أُولَئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ١٢١

يفعل فعلا اختيارياً وذلك يناقى الألوهية غاية المناقاة ثم استدل عليه بأن ذلك عبادة للشيطان وهو أفضح الضلال من وجوه ثلاثة الأول أنه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فتكون طاعته ضللاً بعيداً عن الحق والثاني أنه ملعون لضلالة فلا تستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث أنه في غاية السعي في إهلاكهم وإضلالهم فوالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلوع عبادته والمغرض المقطوع أي نصيباً قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء (ولأضلنهم ولأمنينهم) الأمانى الباطلة كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك (ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) أي فليقطعنها بموجب أمرى ويشقنها من غير تعلم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسواحب (ولأمرنهم فليغيرن) يمتثلن به (خلق الله) عن نهجه صورة أو صفة وينتظم فيه ما قيل من فقه عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشم ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالاً أو حالاً وما فيها من اللامات كلها للقسمة والأمور به في الموضوعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه (ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله) يباين ما يدعوا إليه على ما أمر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى إلى طاعته (فقد خسر ١٢٠ خسرانا مبيناً) لأنه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار (يعدم) أي مالا يكاد ينجزه (ويمنيهم) أي الأمانى الفارغة أو يفعل لهم الوعد والتنمية على طريقة فلان يعطى ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها (وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بالسنة أوليائه وغروراً إما مفعول ثان للوعد أو مفعول لا حله أو نعت لمصدر محذوف أي وعداً ذا غرور أو مصدر على غير لفظ المصدر لأن يعدهم في قوة يغرم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتنمية لأنها باب من الوعد (أولئك) إشارة إلى أولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلاتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى (ماوهم) مبتدأ ثان وقوله تعالى (جهنم) خبر للثاني والجملة خبر الأول (ولا يجدون عنها محيصاً) أي معدلاً ومهرباً من حاص الحمار إذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالاً من محيصاً أي كائناً عنها ولا مساع لتعلقه بمحيصاً أما إذا كان اسم مكان فظاهر وأما إذا كان مصدراً فلأنه لا يعمل فيما قبله .

١٢١

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾

٤ النساء

لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

٤ النساء

- (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره قوله تعالى (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ١٢٢ خالدين فيها أبداً) قرن وعيد الكفرة بوعده المؤمنين زيادة لمسة هؤلاء ومساءة أولئك (وعده الله حقاً) ● أي وعده وعداً وحق ذلك حقاً فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية وعدو الثاني مؤكداً لغيره ويجوز أن ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لأنه في معنى نعدم إدخال جنات الخ وحقاً على أنه حال من المصدر (ومن أصدق من الله قِيلاً) جملة مؤكدة بليغة ● والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعده الله الصادق لا ولياته والمبالغة في تأكيد ترغيباً للعباد في تحصيله والقبيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القبيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ يا شمام الصاد وكذا كل صا د سا كنة بعدها دال (ليس بآمانيتكم ولا ١٢٣ آمانى أهل الكتاب) أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بآمانيتكم أيها المسلمون ولا بآمانى أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح ولعل نظم آمانى أهل الكتاب في سلك آمانى المسلمين مع ظهور حالها للإبذان بعدم إجداء آمانى المسلمين أصلاً كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الإيمان بالتقوى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهمهم آمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا الوأحسنوا الظن به لا أحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنجن أولى بالله تعالى منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس إلا مرباً مانى المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم وأحسن حالاً وقولهم لا وتين مالا وولداً ولا آمانى أهل الكتاب وهو قولهم إن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقولهم إن تمسنا النار إلا أيا ما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) عاجلاً أو آجلاً لما روى أنه لما نزلت قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فن بنجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ أما تحزن أو تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك (ولا يجد له من دون الله) أي مجاوزاً لموا الالة ● الله ونصرته (وليا) بواليه (ولا نصيراً) بنصره في دفع العذاب عنه .

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

٤ النساء

نَقِيرًا (١٢٤)

وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

٤ النساء

خَلِيلًا (١٢٥)

- ١٢٤ (ومن يعمل من الصالحات) أى بعضها أو شيئاً منها فإن كل أحد لا يتمكن من كمالها وليس مكلفاً بها (من ذكر أو أنثى) فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان أو من الصالحات فمن للابتداء أى كائنة من ذكر الخ (وهو مؤمن) حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تذييل أعلى أنه لا اعتداد به دونه (فأولئك) إشارة إلى من بعنوان اتصافه بالإيمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الإشعار بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الشرف (يدخلون الجنة) وقرئ: يدخلون مبنياً للمفعول من الإدخال (ولا يظلمون نقيراً) أى لا ينقصون شيئاً حقيراً من ثواب أعمالهم فإن النقيير علم فى القلة والحقارة وإذا لم ينقص ثواب المطيع فلأن لا يزداد عقاب العاصى أولى وأحرى كيف لا والمجازى أرحم الراحمين وهو السر فى
- ١٢٥ الاختصار على ذكره عقيب الثواب (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) أى أخلص نفسه له تعالى لا يعرف له رباً سواه وقيل بذل وجهه له فى السجود وقيل أخلص عمله له عز وجل وقيل فوض أمره إليه تعالى وهذا إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أحسن ديناً ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سببك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها يرشدك إليه العرف المطرد والاستعمال الفاشى فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى ونظائره وديننا نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه أحسن من دين من أسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما
- فقيه تنبيه على أن ذلك أقصى ما تنتهى إليه القوة البشرية (وهو محسن) أى آت بالحسنات تارك للسيئات أو آت بالأعمال الصالحة على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره
- عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة حال من فاعل أسلم (واتبع ملة إبراهيم) الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها (حنيفاً) مائلاً عن الأديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع أو من إبراهيم (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) اصطفاؤه وخصه بكرامات تشبه كرامات الخليل عند خليله وإظهاره عليه السلام فى مواقع الإضمار لتفخيم شأنه والتنصيص على أنه الممدوح وتأكيده استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلال فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق فى الرمل فإنهما يتوافقان فى الطريقة أو من الخلة

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ٤ النساء
وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءَ الَّتِي
لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ آلِ الدِّينِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ
بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ٤ النساء

بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جملة من جعلتها الزغيب في اتباع ملته عليه السلام فإن من بلغ من الزاني عند الله تعالى مبلغاً مصححاً لتسميته خليلاً حقيق بأن يكون اتباع طريقته أهم ما يمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمى نحوه أحداق الأمم قيل إنه عليه الصلاة والسلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت وليكنه يريد لها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس من الشدة فرجع غلبانه عليه الصلاة والسلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملئوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها إلى منزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وألقوها فيه وتفرقوا وجاء أحدهم فأخبر إبراهيم بالقصة فاغتم لذلك غمّاً شديداً لاسيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبه عيناه وعمدت سارة إلى الغرائر فإذا فيها أجود ما يكون من الحواري فاخترت وفي رواية فاطمعت الناس وانتبه إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم قالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلاً (ولله ما في السموات وما في ١٢٦ الأرض) جملة مبتدأة سيقّت لتقرير وجوب طاعة الله تعالى على أهل السموات والأرض ببيان أن جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكا لا يخرج عن ملكوته شيء منها فيجازى كلا بموجب أعماله خيراً وشرّاً وقيل لبيان أن اتخاذه عز وجل لإبراهيم عليه السلام خليلاً ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك في شأن من شأنه كما هو دأب الأدميين فإن مدار خلعتهم افتقار بعضهم إلى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرّمه وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان أن الخلّة لا تخرج عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاؤه عليه السلام للخلّة بمحض مشيئته تعالى أي له تعالى ما فيهما جميعاً يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وجل (وكان الله بكل شيء محيطاً) تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فإن إحاطته تعالى علماً ● وقدره بجميع الأشياء التي من جعلتها ما فيهما من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك أكمل تقرير (ويستفتونك ١٢٧ في النساء) أي في حقهم على الإطلاق كما ينبغي عنه الأحكام الآتية لافي حق ميراثهن خاصة فإنه ﷺ قد سئل عن أحوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف أحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب ومالم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى (قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) بإسناد ● الإفتاء الذي هو تبين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما تلى من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك أغنانى زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ أو ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار

- والمجورور وإيثار صيغة المضارع للإيذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب إمام متعلق بيتلى أو محذوف وقع حالا من المستكن فيه أى يتلى كأننا فيه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أن المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وأن العدل في الحقوق المبينة فيه من عظام الأمور التي تجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول لما تلى وما سيتلى ويجوز أن يكون مجروراً على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيّمه كأنه قيل قل الله يفتيكم فيهم وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساع لعطفه على المجرور من فيهم لا اختلاله لفظاً ومعنى وقوله تعالى (في يتامى النساء) على الوجه الأول وهو الأظهر متعلق بيتلى أى ما يتلى عليكم في شأنهم وعلى الآخرين بدل من فيهم وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه وقرىء بياى على قلب همزة أياى ياء (اللآتى لا تؤتونهن ما كتب لهن) أى ما فرض لهن من الميراث وغيره (وترغبون) عطف على الصلة جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وأنتم ترغبون ولا ريب في أنه لا يظهر لتقييد عدم الإتياء بذلك فائدة إلا إذا أريد بما كتب لهن صداقهن (أن تنكحوهن) أى في أن تنكحوهن لا لأجل التمتع من بل لأكل ما لهن أو في أن تنكحوهن بغير إكمال الصداق وذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها من أنها اليتيمة تكون في حجر وليها هو وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق أو عن أن تنكحوهن وذلك ما روى عنها رضى الله عنها أنها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طعماً في ميراثها وفي رواية عنها رضى الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة ووارثها وشريكها في المال حتى في العنق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجهما رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الأول والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لأموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى الآية (والمستضعفين من الولدان) عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وإنما يورثون الرجال القوام بالأموال . روى أن عيينة بن حصن الفزاري جاء إلى رسول الله ﷺ فقال أخبرنا بأنك تعطى الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويجوز الغنيمة فقال ﷺ كذلك أمرت (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقاً بيتلى وأما على تقدير كونه بدلاً من فيهم فالوجه نصبه عطفاً على موضع فيهم أى يفتيكم أن تقوموا ويجوز نصبه بإضمار فعل أى ويأمركم وهو خطاب للولادة أو الأولياء والأوصياء (وما تفعلوا) في حقوق المذكورين (من خير) حسبما أمرتم به أو ما تفعلوه من خير على الإطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندارجاً أولياً (فإن الله كان به عليماً) فيجازيكم بحسبه .

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ ٤ النساء

- (وإن امرأة خافت) شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الأحكام أى إن توقعت امرأة (من بعلمها ١٢٨) نشوزاً) أى تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها (أو إعراضاً) بأن يقل محادثتها ● ومؤانستهما لما يقتضى ذلك من الدواعى والأسباب (فلا جناح عليهما) حينئذ (أن يصلحا بينهما صلحاً) ● أى فى أن يصلحا بينهما بأن تحط له المهر أو بعضه أو القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله ﷺ فوهبت يومها لعائشة رضى الله عنها أو بأن تهب له شيئاً تستميله وقرىء يصلحا من يتصالحا ويصلحا من يسطلحا ويصلحا من المفاعلة وصلحاً إما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على أنه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كأنه قيل إصلاحاً أو تصالحاً أو اصطلاحاً حسبما قرىء الفعل أو بفعل مترتب على المذكور أى فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل أو حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع أنه ليس من جانبها الأخذ الذى هو المظنة للجناح لبيان أن هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطى والأخذ (والصلح خير) أى من الفرقة أو من سوء العشرة ● أو من الخصومة فاللام للعهد أو هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى (وأحضرت الأنفس الشح) أى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه أبداً فلا المرأة ● تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل بجود بحسن المعاشرة مع دمايتها فإن فيه تحقيقاً للصلح وتقريراً له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر إلى حال نفسه فإن ذلك يستدعى التماضى في المما كسة والشقاق بل بالنظر إلى حال صاحبه فإن شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة بما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها إليه لاستمالاته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقتنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح (وأن تحسنا) فى العشرة (وتتقوا) النشوز والإعراض وإن تعاضدت الأسباب الداعية إليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن (فإن الله كان بما تعملون) أى من الإحسان والتقوى أو بما تعملون ● جميعاً فدخل ذلك فيه دخلاً أولياً (خبيراً) فيجازيكم ويبيدكم على ذلك البتة لا استحالة أن يضيع أجر المحسنين وفى خطاب الأزواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبى عن كون النشوز والإعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب فى حسن المعاملة مالا يخفى روى أنها نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول الله ﷺ وشكت إليه ذلك وقيل نزلت فى أبى السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقهم أو يتزوج غيرهما فقالت لا تطلقنى ودعنى على أولادى فاقسم لى من كل شهرين إن شئت وإن شئت فلا تقسم لى فقال إن كان

وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ
وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾

٤ النساء

وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعْنِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَسْعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

٤ النساء

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ٤ النساء

- ١٢٩ يصلح ذلك فهو أحب إلى فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فترأت (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء)
أى محال أن تقدروا على أن تعدلوا بينهما بحيث لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشئون
البتة وقد كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا أملك وفي رواية وأنت أعلم بما لا أملك يعنى فرط محبته لعائشة رضى الله عنها (ولو
● حرصتم) أى على إقامة العدل وبالغتم في ذلك (فلا تميلوا كل الميل) أى فلا تجوروا على المرغوب عنها
كل الجور واعدلوا ما استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل إنما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من
● المراتب الداخلة تحت استطاعتكم (فتدروها) أى التى ملتم عنها (كالمعلقة) التى ليست ذات بعل أو معلقة
وقرىء كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع إحداها جاء يوم القيامة وأحدشقيه مائل
● (وأن تصلحوا) ما كنتم تفسدون من أمورهن (وتتقوا) الميل فيما يستقبل (فإن الله كان غفوراً) يغفر
١٣٠ لكم ما فرط منكم من الميل (رحيماً) يتفضل عليكم برحمته (وإن يتفرقا) وقرىء يتفارقا أى وإن يفارق
كل منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما وفاق بوجه مامن الصلح وغيره (يغن الله كلا) منهما أى يجعله مستغنياً
● عن الآخر ويكفه مهماته (من سعته) من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغبا لصاحبه (وكان الله
١٣١ واسعاً حكيماً) مقتدرأ متقناً فى أفعاله وأحكامه وقوله تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) أى
من الموجودات كائناً ما كان من الخلاق وأرزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منهبة على كمال سعته وعظم
● قدرته (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) أى أمرناهم فى كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن
● قبلهم من الأمم واللام فى الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا (وإياكم) عطف على الموصول
● (أن اتقوا الله) أى وصيناكلا منكم ومنهم بأن اتقوا الله على أن أن مصدرية حذف عنها الجار ويجوز
● أن تكون مفسرة لأن التوصية فى معنى القول فقوله تعالى (وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى
الأرض) حينئذ من تنمة القول المحكى أى ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وإن تكفروا إلى آخر الآية وعلى
تقدير كون أن مصدرية مبنى الكلام لإرادة القول أى أمرناهم وإياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا
الآية وقيل هى جملة مستأنفة خوطب بها هذه الأمة وأياها ما كان فالترتب على كفرهم ليس مضمون قوله
تعالى فإن لله الآية بل هو الأمر بعلمه كأنه قيل وإن تكفروا فاعلموا أن لله ما فى السموات وما فى الأرض

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ ٤ النساء

اِنْ يَشَآءْ يَذْهَبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَاْتِ بِآخَرِيْنَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَدِيْرًا ﴿١٣٣﴾ ٤ النساء

مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا ﴿١٣٤﴾ ٤ النساء

- من الخلائق قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين
- فحقه أن يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى (وكان الله غنياً) أى عن الخلق وعبادتهم (حميداً) محموداً في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينفع بشكرهم وتقواهم وإنما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته (وقه ما في السموات وما في الأرض) كلام ١٣٢ مبتدأ مسوق للخطابين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكى أى له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقاً وملاكاً يتصرف فيهم كيفما يشاء لإيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة (وكفى بالله وكيلاً) ● في تدبير أمور الكل وكل الأمور فلا بد من أن يتوكل عليه لا على أحد سواه (إن يشأ يذهبكم أيها الناس) أى يفتنكم ويستأصلكم بالمرّة (ويأت بآخرين) أى ويوجد دفعة مكانكم قوماً آخرين من البشر أو خلقاً آخرين مكان الإنس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزء أى إن يشأ إفناءكم وإيجاد آخرين يذهبكم الخ يعنى أن إبقاءكم على ما أنتم عليه من العصيان إنما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بإفنائكم لا لعجزه سبحانه تعالى عن ذلك علواً كبيراً (وكان الله على ذلك) أى على إفناءكم بالمرّة وإيجاد آخرين دفعة مكانكم (قديراً) بليغ القدرة وفيه لاسيما في توسيط الخطاب بين الجزء وما عطف عليه من تهديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله ﷺ من العرب أى إن يشأ يمتكم ويأت بأناس آخرين يوالونه فعناؤه هو معنى قوله تعالى وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ويروى أنها لما نزلت ضرب رسول الله ﷺ بيده على ظهر سلمان وقال إنهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجماذه الغنيمة ١٣٤ (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أى فعنده تعالى ثوابهما له إن أراد فإله يطلب أخسهما فليطلبهما ● كمن يقول ربنا آتتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب لأشرفهما فإن من جاهد خالصاً لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أى فعند الله ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية (وكان الله سميعاً بصيراً) عالماً ● بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الأقوال والأعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجاً أولياً .

النساء

٤ النساء

١٣٥ (بأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) مبالغين في العدل وإقامة القسط في جميع الأمور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد (شهداء لله) بالحق تقيمون شهادتكم لوجه الله تعالى وهو خير ثان وقيل حال (ولو على أنفسكم) أى ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقرروا عليها على أن الشهادة عبارة عن الإخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه أو على ثالث بأن تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالك من جهة المشهود عليه (أو الوالدين والأقربين) أى ولو كان على والديكم وأقاربكم (إن يكن) أى المشهود عليه (غنيا) يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه (أو فقيرا) يترحم عليه غالباً وقرىء إن يكن غنى أو فقير على أن كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى (فأله أولى بهما) عليه أى فلا تمتنعوا عنها طلباً لرضا الغنى أو ترحموا على الفقير فإن الله تعالى أولى بجنسى الغنى والفقير المدلول عليهما بما ذكره ولو لا أن الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرىء أولى بهم (فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) أى مخافة أن تعدلوا عن الحق فإن اتباع الهوى من مظان الجور الذى حقه أن يخاف ويحذر وقيل كراهة أن تعدلوا بين الناس أو إرادة أن تعدلوا عن الحق (وإن تلوا) أى ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل بأن تأتوا بها لا على وجهها وقرىء وإن تلوا من الولاية والنصدي أى وإن وليتم إقامة الشهادة (أو تعرضوا) أى عن إقامتها رأساً (فإن الله كان بما تعملون) من لى الألسنة والإعراض بالكلية أو من جميع الأعمال التى من جهاتها ما ذكر (خبيراً) فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الأخيرة متضمن للوعيد (بأيها الذين آمنوا) خطاب لكافة المسلمين فعنى قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل) انبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقيناً أو آمنوا بما ذكر مفصلاً بناء على أن إيمان بعضهم إجمالى والمراد بالكتاب الثانى الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالإيمان به الإيمان بأن كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لإرشاد أمته إلى مآرعه لهم من الدين بالأوامر والنواهي لكن لا على أن مدار الإيمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على أن أحكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن الإيمان بالكل

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾

٤ النساء

٤ النساء

بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣٨﴾

مندرج تحت الإيمان بالكتاب المنزل على رسوله وأن أحكام كل منها كانت حقة ثابتة إلى ورود مانسخها وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من حيث أنها من أحكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرىء نزل وأنزل على البناء للفعول وقيل هو خطاب لمؤمنى أهل الكتاب لما أن عبد الله بن سلام وابن أخته سلامة وابن أخيه سلمة وأسداً وأسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله إنا تؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسول فقال ﷺ بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فزلت فأمنوا كلهم فأمرهم بالإيمان بالكتاب المتناول للتوراة مع أنهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالإيمان ما يعم إنشاء والثبات عليه ولا لأن متعلق الأمر حقيقة هو الإيمان بما عداها كأنه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لأن الأمور به إنما هو الإيمان بها في ضمن الإيمان بالقرآن على الوجه الذى أشير إليه آنفاً لا إيمانهم السابق ولأن فيه حملهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لأهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وأمر كل طائفة بالإيمان بكتابه في ضمن الأمر بالإيمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بألسنتكم فقط (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) أى بشئ من ذلك (فقد ضل ضلالاً بعيداً) عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما أن بالكفر بأحدهما لا يتحقق الإيمان أصلاً وجمع الكتب والرسول لما أن الكفر بكتاب أو برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلاً عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسول لأنهم وسائط بين الله عز وجل وبين الرسل في إنزال الكتب (إن الذين آمنوا) قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى (ثم كفروا) بعبادتهم العجل (ثم آمنوا) عند عوده ١٣٧ إليهم (ثم كفروا) بعبسى والإنجيل (ثم ازدادوا كفراً) بكفرهم بمحمد ﷺ وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد وأصروا على الكفر وازدادوا تمادياً فى الغى (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) لما أنه يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرت على الردة وكان الإيمان عندهم أهون شئ وأدونه لأنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف أى مريداً ليغفر لهم وقوله عز وجل (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) يدل على أن المراد ١٣٨ بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقاً وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا كفراً ونفاقاً ووضع

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ النساء
وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ
فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

٤ النساء

- ١٣٩ بشر موضع أنذرته كما بهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء) في محل النصب أو الرفع على الذم بمعنى
● أريد بهم الذين أوهم الذين وقيل نصب على أنه صفة للمنافقين وقوله تعالى (من دون المؤمنين) حال
من فاعل يتخذون أى يتخذون الكفرة أنصاراً متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوايونهم ويقول بعضهم
● لبعض لا يتم أمر محمد ﷺ فقولوا لليهود (أيبغون عندهم العزة) إنكار لرأيهم وإبطال له وبيان لخبيّة
رجائهم وقطع لا طامعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها أى يطلبون بموالاتة الكفرة القوة
● والغلبة . قال الواحدى أصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى (فإن
العزة لله جميعاً) تعليل لما يفيد الاستفهام الإنكارى من بطلان رأيهم وخبيّة رجائهم فإن انحصار
جميع أفراد العزة فى جنبه عز وعلا بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقضى بطلان التعزز بغيره سبحانه وتعالى واستحالة الانتفاع به وقيل
هو جواب شرط محذوف كأنه قيل إن يبتغوا عندهم عزة فإن العزة لله وجميعاً حال من المستكن فى قوله
١٤٠ تعالى لله لا عتماده على المبتدأ (وقد نزل عليكم) خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ
الذى يستدعيه تعداد جنائياتهم وقرىء مبنياً للمفعول من التنزيل والإزال ونزل أيضاً مخففاً والجملة حال
من ضمير يتخذون أيضاً مفيدة لكمال قباحتهم ونهاية استعصامهم عليه سبحانه ببيان أنهم فعلوا ما فعلوا
من موالاتة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم من ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهى عن
موالاتهم على أبلغ وجه وآكده إثر بيان انتفاء ما يدعونه إليه بالجملة المعترضة كأنه قيل تتخذونهم أولياء
● والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة (فى الكتاب) أى القرآن الكريم (أن إذا سمعتم آيات الله
يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره) وذلك قوله تعالى وإذا رأيت الذين
يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا يقتضى الانزجار عن مجالستهم فى تلك الحالة القبيحة فكيف
بموالاتهم والاعتزاز بهم وأن هى المخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والجملة الشرطية
خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل فى حكم الحالية
وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشریفها وإبانة خطرها وتهويل أمر الكفر بها أى نزل عليكم فى الكتاب
أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزا بها وفيه دلالة على أن المنزل على النبی ﷺ وإن خوطب به خاصة
منزل على الأمة وأن مدار الإعراض عنهم هو العلم بخوضهم فى الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرٍ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾

٤ النساء

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾

٤ النساء

- وأخرى بالسمع وأن المراد بالإعراض إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهنأ بها (إنكم إذا مثلهم) جملة مستأنفة سبقت لتلليل الهمي غير داخلة تحت التنزيل وإذن ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وإفراد المثل لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ شاذاً مثلهم بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية أي في مثل حالهم وقوله تعالى (إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً) تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين إما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلاً بنفاقهم وتعليلاً للحكم بما أخذ الاشتقاق وإما الجنس وهم داخلون تحته دخولا أولياً وتقديم المنافقين على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعاً مثل ما قبله (الذين يتربصون بكم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى ١٤١ المؤمنين بتعدد بعض آخر من جنائيات المنافقين وقبائحهم وهو إما بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين فقط إذ هم المتربصون دون الكافرين أو مرفوع أو منصوب على الذم أي ينتظرون أمرهم وما يحدث لكم من ظفر أو إخفاق والفاء في قوله تعالى (فإن كان لكم فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ) لترتيب مضمونه على ما قبلها • فإن حكاية تربصهم مستتعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما أن نفس التربص يستدعي شيئاً ينتظر المتربص وقوعه (قالوا) أي لكم (ألم نكن معكم) أي مظاهرين لكم فأسهموا لنا في الغنيمة (وإن كان للكافرين نصيب) من الحرب فإنها سجال (قالوا) أي للكفرة (ألم نستحذ عليكم) أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتالكم وأسركم فأبقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بأن ثبطناهم عنكم وخیلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم وإلا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيباً لنا مما أصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحاً وما للكافرين نصيباً لتعظيم شأن المسلمين وتحسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم بإضمار أن (فإنه يحكم بينكم يوم القيامة) حكماً يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا فقد أجرى على من تفوه بكلمة الإسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقاً (ولأن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج أو في الدنيا على أن المراد بالسبيل الحجة (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) كلام مبتدأ سبق لبيان طرف ١٤٢

مَذْبُذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ٤ النساء
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ
عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ ٤ النساء

- آخر من قبائح أفعالهم أى يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل
الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصوى الدماء والأموال وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل
من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون فيمضون
● بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا فنقبس من نوركم (وإذا قاموا إلى الصلاة
● قاموا كسالى) متناقضين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان (يراون الناس)
ليحسبوهم مؤمنين والمرادة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائى يرى غيره عمله وهو
يريه استحسانه والجملة إما استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فاذا يريدون بقيامهم إليها
● كسالى فقيل يراون الخ أو حال من ضمير قاموا (ولا يذكرون الله إلا قليلا) عطف على يراون أى
لا يذكرونه سبحانه إلا ذكراً قليلاً وهو ذكرهم باللسان فإنه بالإضافة إلى الذكر بالقلب قليل أو إلا
زماناً قليلاً أو لا يصلون إلا قليلاً لأنهم لا يصلون إلا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه
١٤٣ تعالى في الصلاة إلا قليلاً عند التكبير والتسليم (مذبذبين بين ذلك) حال من فاعل يراون أو منصوب
على الذم وذلك إشارة إلى الإيمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أى مرددين بينهما متحيرين قد
ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقرئ بكسر الذا
أى مذبذبين قلوبهم أو رأيهم أو دينهم أو هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف
ابن مسعود رضى الله عنه متذبذبين وقرئ مدبذبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى أخذ بهم تارة في
● دبة أى طريقة وأخرى في أخرى (لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) أى لا منسوبين إلى المؤمنين ولا منسوبين
إلى الكافرين أو لا صائرين إلى الأولين ولا إلى الآخرين فحلل النصيب على أنه حال من ضمير مذبذبين
● أو على أنه بدل منه أو بيان وتفسير له (ومن يضل الله) لعدم استعداده للهداية والتوفيق (فلن تجد له
سبيلاً) موصلاً إلى الحق والصواب فضلاً عن أن تهديه إليه والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان
١٤٤ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) نهوا عن موالاة الكفرة صريحاً
● وإن كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير (أتريدون أن تجعلوا لله
عليكم سلطاناً مبيناً) أى أتريدون بذلك أن تجعلوا الله عليكم حجة بينة على أنكم منافقون فإن موالاتهم
أوضح أدلة النفاق أو سلطاناً يسلط عليكم عقابه وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها بأن يقال
أجعلون الخ للبالغة في إنكاره وتهويل أمره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدور
نفسه كما في قوله عز وجل أم تريدون أن تسألوا رسولكم .

- ٤ النساء إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾
- ٤ النساء إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾
- ٤ النساء مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾
- ٤ النساء لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾

- (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة حيث ضمو إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله وخدامهم وأما قوله ﷺ ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتمن خان ونحوه فن باب التشديد والتنهيد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرىء بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده أن جمعه أدراك (ولن تجد لهم نصيراً) يخلصهم منه والخطاب كما سبق (إلا الذين تابوا) أي عن النفاق وهو استثناء من ١٤٦ المنافقين بل من ضميرهم في الخبر (وأصلحوا) ما أفسدوا من أحوالهم في حال النفاق (واعتصموا بالله) أي وثقوا به وتمسكوا بدينه (وأخلصوا دينهم) أي جعلوه خالصاً (لله) لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلة وعلو الطبقة (مع المؤمنين) أي المؤمنين المعروفين الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلاً منذ آمنوا وإلا فهم أيضاً مؤمنون أي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى (وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً) لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم) استئناف ١٤٧ مسوق لبيان أن مدار تعذيبهم وجوداً وعدمًا وإنما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررًا لما قبله من إثباتهم عن توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على أبلغ وجه وآكده أي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به النار أم يستجلب به نفعاً أم يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك وهو الغنى المتعالي عن أمثال ذلك وإنما هو أمر يقتضيه كفرهم فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن النظر يدرك أولاً ما عليه من النعم الذاتية والافاقية فيشكر شكراً مبهماً ثم يترقى إلى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه (وكان الله شاكراً) الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده وأضعاف الثواب بمقابلاته (عليماً) مبالغة في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وإيمانكم فيستحيل أن لا يوفيهكم أجوركم (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والبلاء متعلقة بالجهر ١٤٨ ومن بمحذوف وقع حالا من السوء أي لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء كائناً من القول (إلا من)

إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ٤ النساء

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ٤ النساء

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ ٤ النساء

- ظلم) أى لا جهر من ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فإن ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو أن يبدأ بالشذيمة فيرد على الشاتم ولما انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجلا قوما فلم يطعموه فاشتكاكم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع أى ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء (وكان الله سميعاً) لجميع المسموعات
- فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم (علماً) بجميع المعلومات التى من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيد الاستثناء (إن تبدوا خيراً) أى خير كان من الأقوال والأفعال (أو تخفوه أو تعفوا عن سوءه) مع ماسوخ لكم من مواخذة المسىء والتنصيص عليه مع اندراجة في إبداء الخير وإخفائه لما أنه الحقيق بالبيان وإنما ذكر إبداء الخير وإخفائه بطريق التسيب له كما ينبيء عنه قوله عز وجل (فإن الله كان عفواً قديراً) فإن إرادته في معرض جواب الشرط يدل على أن العمدة هو العفو مع القدرة أى كان مبالغاً في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم
- ١٥٠ وقيل عفواً عمن عفواً قديراً على إيصال الثواب إليه (إن الذين يكفرون بالله ورسوله) أى يؤدى إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لأنهم يصرحون بذلك كما ينبيء عنه قوله تعالى (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله) أى بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة
- بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى (ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض) أى تؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود تؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك إلا كفر بالله تعالى ورسوله وتفريق بين الله تعالى ورسوله في الإيمان لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا ﷺ وعليهم أجمعين
- فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى أيضاً من حيث لا يحتسب (ويريدون) بقولهم ذلك (أن يتخذوا بين ذلك) أى بين الإيمان والكفر (سبيلاً) يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهما قطعاً
- ١٥١ إذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق إلا الضلال (أولئك) الموصوفون بالصفات القبيحة (هم الكافرون) الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونهم إيماناً أصلاً (حقاً) مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى حق ذلك أى كونهم كاملين في الكفر حقاً أو صفة لمصدر الكافرين أى هم الذين كفروا كفراً حقاً أى

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

٤ النساء

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَبَيْنَا مُوسَى سُلْطٰنًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾

٤ النساء

- ثابتا يقينا لا ريب فيه (واعتدنا للكافرين) أى لهم وإنما وضع المظهر مكان المضمّر ذما لهم وتذكيراً لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في زميرهم دخولا أوليا (عذابا مهينا) سيدوقونه عند حلوله (والذين آمنوا بالله ورسوله) أى على الوجه الذى بين في تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا ١٥٢ بالله ورسوله الآية (ولم يفرقوا بين أحد منهم) بأن يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على أحد قد مرت حقيقة في سورة البقرة بما لا مزيد عليه (أولئك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (سوف يؤتيهم أجورهم) الموعودة لهم وتصديره بسوف لنا كيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تراخى وقرىء يؤتيهم بنون العظمة (وكان الله غفورا) لما فرط منهم (رحيما) مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم (يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء) نزلت ١٥٣ في أحبار اليهود حين قالوا الرسول الله ﷺ إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كتابا محررا بخط سماوى على اللوح كما نزلت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعيننا بأنك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوهم لكى يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) جواب شرط مقدر أى إن استكبرت ما سألوهم منك فقد سألوا موسى شيئا أكبر منه وقيل تعليل للجواب أى فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى أكبر منه وهذه المسألة وإن صدرت عن أسلافهم لكنهم لما كانوا معتمدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون أسندت إليهم والمعنى أن لهم في ذلك عرقا راسخا وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم (فقالوا أرنا الله جهرة) أى أرناه نره جهرة أى عيانا أو مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية (فأخذتهم الصاعقة) أى النار التى جاءت من السماء فأهلكتهم وقرىء الصعقة (بظلمهم) أى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التى كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى المعجزات التى أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وقلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد (فعفونا عن ذلك) ولم نستأصلهم وكانوا أحقاه به قيل هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل إن أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أتم أيضا حتى نعفو عنكم (وآتيناهم موسى سلطانا مبينا) سلطانا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا

وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ

٤ النساء

وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)

فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ

٤ النساء

طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥)

- ١٥٤ أنفسهم توبة عن معصيتهم (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم) أى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روى أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتى من قوله عز وجل وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً (وقلنا لهم) على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب) قال قتادة كنا نحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل هو إيليا وقيل هو أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام (سجداً) أى متطاعين خاضعين (وقلنا لهم لا تعدوا) أى لا تظلموا باصطياد الحيتان (في السبت) وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعتدوا فأدغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها إلى العين (وأخذنا منهم) على الامتثال بما كلفوه (ميثاقاً غليظاً) مؤكداً وهو العهد الذى أخذه الله عليهم في التوراة قيل لأنهم أعطوا الميثاق على أنهم إن هموا بالرجوع عن الدين قاله تعالى يعذبهم بأى أنواع العذاب أراد (فما نقضهم ميثاقهم) مازيدة للتأكيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف أى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسح وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم . روى أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسحوا قرده وقيل متعلقة بجرنا على أن قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فيها وما عطف عليه فيكون التحريم معللاً بالكل ولا يخفى أن قولهم إنا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقلوبهم قلوبنا غلغف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره (وكفرهم بآيات الله) أى بالقرآن أو بما فى كتابهم (وقتلهم الأنبياء بغير حق) كزكريا ويحيى عليهم السلام (وقولهم قلوبنا غلغف) جمع أغلف أى هى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد ﷺ أو هو تخفيف غلف جمع غلاف أى هى أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا بحيث لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته أيضاً (بل طبع الله عليها بكفرهم) كلام معترض بين المعطوفين جىء به على وجه الاستطراد مسارعة إلى رد زعمهم الفاسد أى ليس كفرهم وعدم وصول الحق إلى قلوبهم لكونها غلغفاً بحسب الجلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم أو ليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها

٤ النساء

وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ ٤ النساء

- بسبب كفرهم (فلا يؤمنون إلا قليلا) منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه أو إلا إيماناً قليلا لا يعبا به .
- (وبكفرهم) أى بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم وإعادة الجار أطول ما بينهما بالاستطراد وقد ١٥٦
- جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من أسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للإيذان بتكرار كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً) لا يقادر قدره حيث نسبوها إلى ما هي عنه بألف منزل
- (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) نظم قولهم هذا في سلك سائر جنائياتهم التي نعتت ١٥٧
- عليهم ليس بمجرد كونه كاذبا بل لتضمنه لا بهتاناً بل بتكذيبهم بقتل النبي عليه السلام والاستهزاء به فإن وصفهم له بعنوان الرسالة إنما هو بطريق التهكم به عليه السلام كما في قوله تعالى يا أيها الذي نزل عليه الذكر الخ ولإنبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من أن ذلك وضع للذكر الجليل من جمته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جمته تعالى مدحا له ورفعاً لمحله عليه السلام وإظهاراً لغاية جراتهم في تصديدهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك (وما قتلوه وما
- صلبوه) حال أو اعتراض (ولكن شبه لهم) روى أن رهطاً من اليهود سبوه عليه السلام وأمه فدعا عليهم فسخطهم الله تعالى قرده وخنازير فأجمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه إلى السماء فقال لا صحابه أيكم يرضى بأن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فالتقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه السلام فرفع عيسى عليه السلام وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى عليه السلام وقيل إن طيطانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجدده وألقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى عليه السلام فأخذ وقتل وأمثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل إن اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى إلى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا إنسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس وأظهروا لهم أنه هو المسيح وما كانوا يعرفونه إلا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم إلا قليلا وشبه مسنداً إلى الجار والمجرور كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول أو في الأمر على قول من قال لم يقتل أحد ولكن أرجف بقتله فشاع بين الناس أو إلى ضمير المقتول لدلالة إنا قتلنا على أن ثم مقتولا (وإن الذين اختلفوا فيه) أى في شأن عيسى عليه السلام فإنه لما وقعت تلك الواقعة
- اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذباً فقتلناه حتما وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان هذا عيسى

٤ النساء

بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ٤ النساء

- فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عليه السلام إن الله يرفعني إلى السماء إنه رفع إلى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت (لني شك منه) لني تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد بقوله تعالى (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن إليه النفس جزماً كان أو غيره فالاستثناء حينئذ متصل (وما قالوه يقيناً) أي قتلاً يقيناً كما زعموا بقولهم إنا قتلنا المسيح وقيل معناه وما علموه يقيناً كما في قول من قال [كذلك تخبر عنها العالمات بها * وقد قتلت بعلي ذلكم يقيناً] من قولهم قتلت الشيء علماً ونحوه علماً إذا تبائع عليك فيه وفيه تهكم بهم لإشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية (بل رفعه الله إليه) رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه (وكان الله عزيزاً) لا يغالب فيما يريد (حكيماً) في جميع أفعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في أمر عيسى عليه السلام دخولا أولاً (وإن من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى وقوله تعالى (إلا ليؤمنن به قبل موته) جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف إليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل أن تزهق روحه بأنه عبد الله ورسوله ولات حين إيمان لا تقطاع وقت التكليف ويعضده أنه قرى ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما أن أحداً في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه فسرهم كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوقى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى عليه السلام نبياً فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبى وتقول للنصراني أتاك عيسى عليه السلام نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فنظر إلى وقال من سمعت هذا قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينسكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية والإخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة إلى الإيمان به قبل أن يضطروا إليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام أحد إلا ليؤمنن به قبل موته . روى أنه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه الدجال وتقع الأمانة

فِظْلَمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ النساء
وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّحُوهُنَّ وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ النساء
لَكِنَّ الرَّاخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ
وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ٤ النساء

- حتى ترتع الاسود مع الإبل والنور مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفونه وقيل الضمير الأول يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد ﷺ (ويوم القيامة يكون) أي عيسى عليه السلام (عليهم) على أهل الكتاب (شهيداً) فيشهد على اليهود بالكذب وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (فبظلم من الذين ١٦٠ هادوا) لعل ذكرهم بهذا العنوان للإيدان بكال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا أي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس لثريان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والأشكال صادر عنهم (حرماً عليهم طيبات أحلت لهم) ولما قبلهم لا بشيء غيره كما زعموا فإنهم كانوا كلوا ارتكبوا معصية من المعاصي التي افترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من أسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا بأول من حرمت عليه وإنما كانت على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا فكذبهم الله عز وجل في مواقع كثيرة وبكثهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين أي في ادعائكم أنه تحریم قديم. روى أنه عليه السلام لما كلفهم إخراج التوراة لم يحسر أحد على إخراجها لما أن كونه التحريم بظلمهم كان مسطوراً فيها فبهم تواروا قلبوا أصاغرين (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) أي ناساً كثيراً أو صداً كثيراً (وأخذهم ١٦١ الربا وقد نهوا عنه) فإن الربا كان محرماً عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على أن النهي يدل على حرمة المهي عنه (وأكلهم أموال الناس بالباطل) بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة (وأعدنا للكافرين منهم) أي للبصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم (عذاباً أليماً) سيدوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم (لكن الراسخون في العلم منهم) استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف ١٦٢ حالهم عاجلاً وآجلاً أي لكن الثابتون في العلم منهم المنتصرون المستبصرون فيه غير التابعين للظان كأولئك الجبهة والمراد بهم عبد الله بن سلام وأصحابه (والمؤمنون) أي منهم وصفوا بالإيمان بعد ما وصفوا بما يوجب من الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلاً للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) حال من المؤمنون مبينة لكيفية إيمانهم وقيل اعتراض مؤكداً قبله وقوله عز وجل (والمقيمون الصلوة) قيل نصب بإضمار

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَأِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ

زَبُورًا ﴿١٦٦﴾

٤ النساء

فعل تقديره وأعني المقيمين الصلاة على أن الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما أنزل
إليك على أن المراد بهم الأنبياء عليهم السلام أى يؤمنون بالكتب وبالأنبياء أو الملائكة قال مكي أى
ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم إقامة الصلاة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف
على الكاف فى إليك أى يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة وهم الأنبياء وقيل على الضمير
المجروح فى منهم أى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقرئ بالرفع على أنه معطوف
على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغيرات العنوانى منزلة التغيرات الذاتى وكذا الحال فيما سياتى من
المعطوفين فإن قوله تعالى (والمؤتون الزكاة) عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتاً وكذا الكلام
● فى قوله تعالى (والمؤمنون بالله واليوم الآخر) فإن المراد بالكل مؤمنو أهل الكتاب قد وصفوا أولاً
● بكونهم راسخين فى علم الكتاب إيداناً بأن ذلك موجب للإيمان حتماً وأن من عداهم إنما بقوا مصرين
على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء ثم بكونهم عاملين
بما فيها من الشرائع والأحكام واكتفى من بينها ذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة المستتبعين لسائر العبادات
البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقاً لحيازتهم الإيمان بقطريه وإحاطتهم به من
طرفيه وتعريضاً بأن من عداهم من أهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بأحد منهما حقيقة فإنهم بقولهم
عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم إن تمسنا النار إلا أياماً معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله
● تعالى (أولئك) إشارة إليهم باعتبار انصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للإشعار
● بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (سنؤتيهم أجراً عظيماً) خبره والجملة
خبر للمبتدأ الذى هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الأجر للتفخيم وهذا
أنسب بتجاوب طرفى الاستدراك حيث أوعد الأولون بالعذاب الأليم ووعد الآخرون بالأجر
العظيم كأنه قيل لئلا يثر قوله تعالى وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم أجراً
عظيماً وأما ما جنح إليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك الخ خبراً للمبتدأ فى كال
السداد خلا أنه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون
● بالله (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والأنبياء من بعده) جواب لأهل الكتاب عن سؤالهم
رسول الله عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأنه ليس بدعا من
الرسول وإنما شأنه فى حقيقة الإرسال وأصل الوحى كشافاً سائر مشاهير الأنبياء الذين لا ريب لأحد
فى نبوتهم والكاف فى محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أى إحياء مثل إحيائنا إلى نوح أو على أنه

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى

٤ النساء

تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾

حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو رأى سيديوه أى أوحينا الإيحاء حال كونه مشبها بإيحاءنا الخ ومن بعده متعلق بأوحينا وإنما بدىء بذكر نوح لأنه أبو البشر وأول نبى شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والأحكام وأول نبى عذبت أمته لردم دعوته وقد أهلك الله بدعائه أهل الأرض (وأوحينا إلى إبراهيم) عطف على أوحينا إلى نوح داخل معه فى حكم التشبيه أى وكما أوحينا إلى إبراهيم (ولإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط) وهم أولاد يعقوب عليهم السلام (وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان) خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم فى سلك النبیین تشریفاً لهم وإظهاراً لفضلهم كفى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحاً بمن ينتمى إليهم اليهود من الأنبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الإيحاء والتنبية على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي (وآتيناه داود زبوراً) قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هى حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله تعالى وقرىء بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى زبور والجملة عطف على أوحينا داخل فى حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء أى وكما آتيناه داود زبوراً وإيثاره على وأوحينا إلى داود لتحقيق المماثلة فى أمر خاص هو إيتاء الكتاب بعد تحقيقها فى مطلق الإيحاء ثم أشير إلى تحقيقها فى أمر لازم لها لزوماً كلياً وهو الإرسال فإن قوله تعالى (ورسلاً) نصب بمضمر يدل عليه أوحينا معطوف ١٦٤ عليه داخل معه فى حكم التشبيه كما قبله أى وكما أرسلنا رسلاً لا بما يفهمه قوله تعالى (قد قصصناهم عليك) أى وقصصنا رسلاً كما قالوا وفرعوا عليه أن قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الأول منصوب على أنه صفة لرسلاً وعلى الوجه الثانى لا محل له من الإعراب فإنه عما لا سبيل إليه كما ستقف عليه وقرىء برفع رسل وقوله تعالى (من قبل) متعلق بقصصنا أى قصصنا من قبل هذه السورة أو اليوم (ورسلاً لم نقصصهم عليك) عطف على رسلاً منصوب بنصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما أوحينا إلى نوح وإلى رسل الخ. والحق أن يكون انتصابهما بأرسلنا فإن فيه تحقيقاً للمماثلة بين شأنه عليه الصلاة والسلام وبين شئوون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام فى مطلق الإيحاء ثم فى إيتاء الكتاب ثم فى الإرسال فإن قوله تعالى إنا أوحينا إليك منتظم لمعنى آتيناك وأرسلناك حتماً كأنه قيل إنا أوحينا إليك إيحاء مثل ما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان إيتاء مثل ما آتيناه داود زبوراً وأرسلناك إرسالاً مثل ما أرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم فى حقيقة الإيحاء وأصل الإرسال فالللكفرة يسألونك شيئاً لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح أن رسلاً لا يمكن نصبه بقصصنا فإن ناصبه يجب أن يكون معطوفاً على أوحينا داخلاً معه فى حكم التشبيه الذى عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب فى أن قصصنا لا تعلق له بشئ من الإيحاء والإيتاء حتى يمكن اعتباره فى ضمن

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ٤ النساء

- قوله تعالى إنا أوحيانا إليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على أن تقديره في رسلا
- الأول يقتضى تقدير نفيه في الثانى وذلك أشد استحالة وأظهر بطلانا (وكلم الله موسى) برفع الجلالة
 - ونصب موسى وقرىء على القلب وقول تعالى (تكليما) مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمى ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأى طريق وصل مالم يؤكد بالمصدر فإذا أكد به لم يكن إلا حقيقة الكلام والجملة إما معطوفة على قوله تعالى إنا أوحيانا إليك عطف القصة على القصة لاعلى آتيناه وما عطف عليه وإما حال بتقدير قد كما ينبىء عنه تغيير الأسلوب بالالتفات والمعنى أن التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الأنبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور أن نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جهاتها أن بنى إسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها إلا بعد اللثام والى وقد فضل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم ﷺ تسليما كثيرا (رسلا مبشرين ومنذرين)
 - نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال بأن يكون رسلا موطئاً لما بعده أو على البدلية من رسلا الأول أى مبشرين لأهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار (لئلا يكون للناس على الله حجة) أى معذرة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور القوة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك الآية وإنما سميت حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه حجة في فعل من أفعاله بل له أن يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التى لا مرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي ﷺ ما أحد أغير من الله تعالى ولذلك حرم الفواحش مظهر منها وما بطن وما أحب إليه المدح من الله تعالى ولذلك مدح نفسه وما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب فاللام متعلقة بأرسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة أى كائنة على الله أو هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز أن يتعلق كل منهما بما يتعلق به الآخر الذى هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى (بعد الرسل) أى بعد إرسالهم وتبليغ الشرائع إلى الأمم على السننهم متعلق بحجة أو بمحذوف وقع صفة لها لأن الظروف يوصف بها الأحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة (وكان الله عزيزا) لا يغالب فى أمر من أموره ومن قضيته الامتناع عن الإجابة إلى مسألة المتعنتين (حكيم) فى جميع أفعاله التى من جهتها إرسال الرسل وإنزال الكتب فإن تعدد الرسل والكتب واختلافها فى كيفية النزول وتغايرها

لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ النساء

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ٤ النساء

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ٤ النساء

في بعض الشرائع والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما أنه سبحانه وتعالى برأهم على أنحاء شتى وأطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدكم بما يليق بشأنهم وتقتضيه أحوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغيرة من الشرائع والأحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في إرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك من الأمور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد إذ حينئذ تتعاقم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدها وأما التنزيل المنجم الواقع حسب الأمور الداعية إليه فهو أيسر قبولاً وأسهل امتثالاً (لكن الله يشهد) بتخفيف الذنوب ورفع الجلالة وقرىء بتشديد الذنوب ونصب الجلالة ١٦٦ وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنهم لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا الخ قيل إنهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد (بما أنزل إليك) على البناء للفاعل ● وقرىء على البناء للمفعول والباء صلة للشهادة أى يشهد بحقيقة ما أنزل إليك من القرآن المعجز الناطق بنبوته ك وقيل لما نزل قوله تعالى إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهدك بهذا فنزل لكن الله يشهد (أنزله بعلمه) أى ما تيسراً ● بعلم الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نمط بديع يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزله عليه واستعداده لاقتباس الأنوار القدسية أو بعلمه الذى يحتاج إليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجارو والمجرور على الأولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة فى موقع التفسير لما قبلها وقرىء نزل وقوله تعالى (والملائكة يشهدون) أى بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول أنزله ● أى أنزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيقته (وكفى بالله شهيداً) على صحة نبوته ك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججاً ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها (إن الذين كفروا) أى بما أنزل الله تعالى وشهد به ١٦٧ أو بكل ما يجب الإيمان به وهو داخل فيه دخولا أولياً والمراد بهم اليهود حيث كفروا به (وصدوا عن سبيل الله) وهو دين الإسلام من أراد سلوكه بقولهم مانع فى كتابنا وقرىء صدوا مبنيّاً للمفعول (قد ضلوا) بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق (ضلالاً بعيداً) لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق فى الضلال وأبعد من الإقلاع عنه (إن الذين كفروا) ١٦٨ أى بما ذكر آنفاً (وظلموا) أى محمداً ﷺ بإنكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصددهم عما فيه صلاحهم فى المعاش والمعاد (لم يكن الله ليغفر لهم) لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ● (ولا ليهديهم طريقاً).

٤ النساء

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ

٤ النساء

لِللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

- ١٦٩ (إلا طريق جهنم) لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة خلقه تعالى لأعمالهم السيئة المؤدية بهم إلى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم إلى اكتسابها أو سوقهم إليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومها والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع (خالدين فيها) حال مقدرة من الضمير المنصوب
- والعامل فيها مادل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى (أبدًا)
- نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل (وكان ذلك) أي جعلهم خالدين في
- جهنم (على الله يسيرًا) لاستحالة أن يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى (يا أيها الناس) بعد ما حكى لرسول الله ﷺ عمل اليهود بالأباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه الصلاة والسلام وتقرير رسالته ببيان أن شأنه عليه الصلاة والسلام في أمر الوحي والإرسال كشئون من يعترفون بنبوته من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وأكد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة أمر المكلفون كافة على طريق تلوين الخطاب بالإيمان بذلك أمراً مشفوعاً بالوعد بالإجابة والوعيد على الرد
- تنبيهاً على أن الحجة قد لزمتم ولم يبق بعد ذلك لأحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل (قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الأمر بالإيمان وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية أو بمحذوف وقع حالاً من الرسول أي ملتبساً بالحق ومن أيضاً متعلقة إما بالفعل وإما بمحذوف هو حال من الحق أي جاءكم به من عنده تعالى أو جاءكم بالحق كائناً من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين للإيذان بأن ذلك لثريبتهم وتبليغهم
- إلى كمالهم اللائق بهم ترغيباً لهم في الامتثال بما بعده من الأمر والفاء في قوله عز وجل (فآمنوا) للدلالة على إيجاب ما قبلها لما بعدها أي فآمنوا به وبما جاء به من الحق وقوله تعالى (خير لكم) منصوب على أنه
- مفعول لفعل واجب الإضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه أي أقصدوا أو اتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر أو على أنه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء أي آمنوا إيماناً خيراً لكم أو على أنه خبر كان المضمر الواقعة جواباً للأمر لاجزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وأبي عبيدة أي يكن الإيمان
- خيراً لكم (وإن تكفروا) أي إن تصروا وتستمروا على الكفر به (فإن لله ما في السموات والأرض) من الموجودات سواء كانت داخلية في حقيقتهم وبذلك يعلم حال أنفسهم على أبلغ وجه وآكده وأخارجة عنهم مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا أولاً أي كلها له عز وجل

يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ۖ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

٤ النساء

- خلقاً وملاكاً وتصرفاً لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة أو فن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بإيمانكم وقيل فن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره (وكان الله عليماً) مبالغاً في العلم فهو عالم بأحوال الكل فيدخل في ذلك عليه
- تعالى بكفرهم دخولا أولاً (حكيمياً) مراعيًا للحكمة في جميع أفعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى لإيائهم بكفرهم.
 - (يا أهل الكتاب) تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجراً لهم عما هم عليه من الكفر والضلال ١٧١
 - (لا تغلوا في دينكم) بالإفراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء ألوهيته وأما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم له بأنه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق (ولا تقولوا على الله إلا الحق) أى لا تصفوه بما يستحيل انصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزوهه عن جميع ذلك (إنما المسيح) قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى (عيسى) بدل منه أو عطف بيان له وقوله تعالى (ابن مريم)
 - صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته لله تعالى وقوله تعالى (رسول الله) خبر للابتداء والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للأمر بضده أعنى الحق أى أنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها (وكلمته) عطف على رسول الله أى يكون بكلمته وأمره الذى هو كمن من غير واسطة أب ولا نطفة (ألقاها إلى مريم) أى أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل أعلمها إياها وأخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذى هو العامل فيها وقد مقدرة معها (وروح منه) قيل هو الذى نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت
 - بأذن الله تعالى سمي النفخ روحاً لأنه ريج يخرج من الروح ومن لا ابتداء الغاية مجازاً لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً للرشيدي ناظر على بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلاه هذه الآية فقرأ الواقدي ومنخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه فقال إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه تعالى علواً كبيراً فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيدي فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة فاخرة . وهى متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح أى كائنة من جمته تعالى جعلت منه تعالى وإن كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بأمره سبحانه وقيل سمي روحاً لإحيائه الأموات وقيل لإحيائه القلوب كما سمي به القرآن

لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾

٤ النساء

لذلك في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وقيل أريد بالروح الوحي الذي أوحى إلى
مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا إنه روح فلما
كان عيسى عليه السلام متكوناً من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول
الله في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته تعالى وروحه منه في الوجود لتحقيق الحق من أول الأمر بما هو
● نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائع (فآمنوا بالله) وخصوه
● بالالوهية (ورسله) أجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية (ولا
تقولوا ثلاثة) أي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبي عنه قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي
إلهين من دون الله أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن
● وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بالأول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة (انتهوا)
● أي عن التثليث (خير لكم) قد مر وجوه انتصابه (إنما الله إله واحد) أي بالذات منزّه عن التعدد
● بوجه من الوجوه فالله مبتدأ وإله خبره وواحد نعت أي منفرد في ألوهيته (سبحانه أن يكون له ولد)
● أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد أو سبحوه تسبيحاً من ذلك فإنه إنما يتصور فيمن يماثله شيء
ويتطرق إليه فناء والله سبحانه منزّه عن أمثاله وقرئ أن يكون أي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى
● (له ما في السموات وما في الأرض) جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقديره أي له ما فيهما من
الموجودات خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج عن ملكوته شيء من الأشياء التي من جملتها عيسى عليه
● السلام فكيف يتوهم كونه ولداً له تعالى (وكفى بالله وكيلاً) إليه بكل كل الخلق أمورهم وهو غني عن العالمين
فأني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم ويقوم مقامهم
١٧٢ (لن يستنكف المسيح) استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الأنفة والترفع من نكفت الدهم
● إذا نحيته عن وجهك بالأصبع أي لن يأنف ولن يترفع (أن يكون عبد الله) أي عن أن يكون عبداً له
تعالى مستمراً على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وأن ذلك أقصى مراتب الشرف
والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع أن شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه أحواله
ويفصح عنه أقواله أو لا يرى أن أول مقالة قالها للناس قوله إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً
لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة . روى أن وفد نجران قالوا الرسول الله ﷺ لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبداً
لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبداً له تعالى دون أن يقال عن
عبادة الله ونحو ذلك مع إفادة فائدة جلية هي كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فإن كونه
عبداً له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعاً فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف

- عن عبادته تعالى كما أشير إليه بخلاف عبادته تعالى فإنها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها (ولا الملائكة المقربون) عطف على المسيح أى ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيد الله تعالى وقيل إن أريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج إلى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزماً لعدم استنكافه عليه السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازاه عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعالم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحثية وإنما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضاً فلا اتجاه لما قالوا حينئذ وإن سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرموس ولئن سلم إرادة التفضيل فغاية الأمر الدلالة على أفضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من هو أعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الأنبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً وهل التشاجر إلا فيه (ومن يستنكف عن عبادته) أى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا ماسبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فإن عدم طاعتهم له تعالى بما لا سبيل لهم إلى إنكار اتصافهم به . إن قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع أن ذلك منهم كان بطريق إنكار كون الأمر من جهة تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لأنهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله ﷺ وهل هو إلا استنكاف عن طاعة الله تعالى إذ لا أمر له عليه الصلاة والسلام سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (ويستكبر) الاستكبار الأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيراً واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً فإنهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحقوق العار والنقص من المستنكف عنه (فسيحشرهم إليه جميعاً) أى المستنكفين ومقابلهم المدلول عليه بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في المفصل تعويلاً على إنباء التفصيل عنه وثقة

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا
وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ٤ النساء
يَنَاءِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بِرَهْنٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ ٤ النساء

بظهور اقتضاء حشر أحدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين
في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتماداً على ظهور اقتضاء
إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء لكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف
عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم إليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه إن الأنسب
بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة
١٧٣ وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال
الفريق المطوى ذكره في الإجمال قدم على بيان حال ما يقابله لإبانة لفضله ومسارة إلى بيان كون حشره
أيضاً معتبراً في الإجمال وإبراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب
لما قبله وما بعده للتنبيه على أنه المستتبع لما يعقبه من الثمرات (فيوفيهم أجورهم) من غير أن ينقص منها
● شيئاً أصلاً (ويزيدهم من فضله) بتضعيفها أضعافاً مضاعفة ويأعطاء ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
● خطر على قلب بشر (وأما الذين استنكفوا) أي عن عبادته عز وجل (واستكبروا فيعذبهم) بسبب
● استنكافهم واستكبارهم (عذاباً أليماً) لا يحيط به الوصف (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً) بلى
١٧٤ أمورهم ويدبر مصالحهم (ولا نصيراً) بنصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه (بأيها الناس) تلوين
للخطاب وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثرياً بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال وإلزامهم
بالبراهين القاطعة التي تخزلها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على أن الحججة
● قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمتعذر (قد جاءكم) أي وصل إليكم وتقرر في قلوبكم بحيث
● لا سبيل لكم إلى الإنكار (برهان) البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة
النبي ﷺ المثبت لما فيه من الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه بما أثبتته الآيات الكريمة من حقيقة الحق
وبطلان الباطل وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ عبر عنه به لما معه من المعجزات
● التي تشهد بصدقه وقيل هو المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله تعالى (من
رَبِّكُمْ) إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده التلويح من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى على أن من لا ابتداء الغاية مجازاً وقد جوز على الثاني كونها تبعية
بمحذوف المضاف أي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين
● لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه إليهم لتريتهم وتكليمهم (وأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) أريد به أيضاً
القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه آنفاً وأخرى بالنور النير بنفسه المنور غيره إيداناً

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾

٤ النساء

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيْهَا إِن لَّمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا أُتْنَتَيْنِ فَلَهُمَا النِّسْلَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حِظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ أَن تَصَلُّوا وَلََّهٗ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ٤ النساء

بأنه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيقته وكونه من عند الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره مبين لغيره من الأمور المذكورة وإشعاراً بهدائه للخلق وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلاً للبغيارة العنوانية منزلة للمغايرة الذاتية وعبر عن ملاسته للمخاطبين تارة بالجمي المسند إليه المنبي عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه من غير أن يجيء به أحد ويجيء على شبه الكفرة بالإبطال وأخرى بالإزالة الموقوع عليه الملائم لحقيقة كونه نوراً توقيراً له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به وإسناداً لنزله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشریفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول ﷺ أو عن المعجزات الظاهرة على يده أو عن الدين الحق فالأمرهين وقوله تعالى إليكم متعلق بأنزلنا فإن أنزله بالذات وإن كان إلى النبي ﷺ لكنه منزل إليهم أيضاً بواسطة عليه الصلاة والسلام وإنما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ونظائره لإظهار كمال اللطف بهم والتصریح بوصوله إليهم مبالغاً في الأعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر وللحفاظة على فواصل الآي الكريمة (فأما الذين آمنوا بالله) حسبما يوجه البرهان الذي أتاها (واعتصموا به) أي عصموا به ١٧٥ أنفسهم ما يريدونها من زيغ الشيطان وغيره (فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن إفادة الفضل بالإدخال على طريقة قوله [علفتها تبنا وماء بارداً] وتوین رحمة وفضل تفخيمى ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة (ويهديهم إليه) أي إلى الله عز وجل وقيل إلى المواعود وقيل إلى عبادته ● (صراطاً مستقيماً) هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين المواعدين للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي قبل انتصاب صراطاً على أنه مفعول لفعل محذوف ينبي عنه يهديهم أي يعرفهم صراطاً مستقيماً (يستفتونك) أي في الكلالة استغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى (قل الله يفتيكم في ١٧٦ الكلالة) وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه يروى

أنه أتى رسول الله ﷺ في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أختاً فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضاً فعاده رسول الله ﷺ فقال إنني كلاله فكيف أصنع في مالي . وروى عنه رضى الله عنه أنه قال عادنى رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل فتوضاً وصب من وضوئه على

- فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني كلاله فنزلت وقوله تعالى (إن امرؤ هلك)
- استئناف مبين للفتيا وارفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى (ليس له ولد) صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد بأنه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام أى إن هلك امرؤ غير ذى ولد ذكرأ
- كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضاً معتبر في الكلاله ثقة بظهور الأمر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى (وله أخت) عطف على قوله تعالى ليس له ولد أوحال والمراد
- بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة (فلها نصف
- ماترك) أى بالفرض والباقي للعصبة أولها بالرد إن لم يكن له عصبة (وهو) أى المرء المفروض (يرثها)
- أى أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بقائه (إن لم يكن لها ولد) ذكرأ كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع ما لها إذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا إرثه لها في الجملة فإنه يتحقق مع وجود بنتها
- وليس في الآية ما يدل على سقوط الأخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وإنما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة (فإن كانتا اثنتين) عطف على الشرطية الأولى أى اثنتين فصاعداً (فلهما
- الثلثان مما ترك) الضمير لمن يرث بالأخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى قيل وقائدة الإخبار عنها باثنتين مع دلالة ألف التثنية على الاثنيتين التنبيه على أن المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون
- الصغر والكبر وغيرهما (وإن كانوا) أى من يرث بطريق الأخوة (أخوة) أى مختلطة (رجالاً
- ونساء) بدل من أخوة والأصل وإن كانوا أخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث (فللذكر) أى
- فللذكر منهم (مثل حظ الاثنتين) يفتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما أنزل من كتاب
- الله تعالى في الأحكام . روى أن الصديق رضى الله عنه قال في خطبته ألا إن الآية التى أنزلها
- الله تعالى في سورة النساء فى الفرائض فأولها فى الولد والوالد وثانها فى الزوج والزوجة والأخوة من
- الأم والآية التى ختم بها السورة فى الأخوة والأخوات لا يوين أولاً والآية التى ختم بها سورة
- الأنفال أنزلها فى أولى الأرحام (يبين الله لكم) أى حكم الكلاله وأحكامه وشرائعه التى من جملتها
- حكمها (أن تضلوا) أى كراهة أن تضلوا فى ذلك وهذا رأى البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائى
- والفراء وغيرهما من الكوفيين إلى تقدير اللام ولا فى طرفى أن أى لثلاث تضلوا وقال الزجاج هو
- مثل قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا أى لثلاث تزولا وقال أبو عبيد رويت
- للكسائى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وهو لا يدعون أحدكم على ولده أنه يوافق من الله لإجابة
- أى لثلاث يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصاً فيما ذهب إليه الكسائى وأضرابه
- فإن التقدير فهما عند البصريين كراهة أن تزولا وكراهة أن يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا
- تقدير وإنما هو مفعول بين أى بين لكم ضلالكم الذى هو من شأنكم إذا خليتكم وطباعكم لتحتزوا

- عنه وتنحروا خلافه وأنت خير بأن ذلك إنما يليق بما إذا كان بيانه تعالى تعيين على طريقة مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك (والله بكل شيء) من الأشياء.
- التي من جعلها أحوالكم المتعلقة بحياتكم وعبادتكم (عليكم) مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم
 - عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثاً وأعطى من الأجر كمن اشترى محرراً وبرى من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والله أعلم.

تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الثاني من تفسير العلامة أبي السعود
وبليه الجزء الثالث وأوله سورة المائدة



فهرست الجزء الثانى من تفسير العلامة أبى السعود

صفحة

(٣ - سورة آل عمران)

٢

- ١٥ قوله تعالى : قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا. عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار .
٢٥ قوله تعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين .
٤٠ قوله تعالى : فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله .

(الجزء الرابع)

- ٥٨ قوله تعالى : كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم لإسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة
٧٢ قوله تعالى : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون .
٨٥ قوله تعالى : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .
١٠٠ قوله تعالى : إذ تصعدون ولا تفلحون ولا تتلوون على أحد والرسول يدعوكم .
١١٣ قوله تعالى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل .
١٢٣ قوله تعالى : لتبطلوا في أموالكم وأنفسكم .

(٤ - سورة النساء)

- ١٣٧ قوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة .
١٥١ قوله تعالى : ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد .

(الجزء الخامس)

- ١٦٣ قوله تعالى : والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيما نكح .
١٧٥ قوله تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً .
١٩٢ قوله تعالى : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها .
٢٠١ قوله تعالى : فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .
٢١٢ قوله تعالى : فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا .
٢٢٤ قوله تعالى : ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً أوسعة .
٢٣٢ قوله تعالى : لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس .
٢٤٢ قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط .

(الجزء السادس)

- ٢٤٧ قوله تعالى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم .
٢٥٤ قوله تعالى : إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .
(تم فهرست الجزء الثانى من تفسير أبى السعود)